



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة غرداية

مخبر الجنوب الجزائري للبحث

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

في التاريخ والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

مراكز الإشعاع الثقافي في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني

أطروحة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ تخصص: تاريخ حديث

تحت إشراف:

أ.د/ الشيخ لكحل

إعداد الطالب:

خديجي هواري بومدين

لجنة المناقشة:

الرقم	اللقب والاسم	الرتبة	مؤسسة الإنتماء	الصفة
01	أ.د. جلول بن قومار	أستاذ التعليم العالي	غرداية	رئيسا
02	د. الشيخ لكحل	محاضر أ	غرداية	مشرفا ومقررا
03	أ.د. عبد القادر الميلىق	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي بأفلو	مشرفا مساعدا
04	أ.د. محمد دراج	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	ممتحنا
05	أ.د. عمر بن قايد	أستاذ التعليم العالي	غرداية	ممتحنا
06	د. أحمد جعفري	محاضر أ	غرداية	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025/2024



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية



مخبر الجنوب الجزائري للبحث
في التاريخ والحضارة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

مراكز الإشعاع الثقافي في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني

أطروحة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ تخصص: تاريخ حديث

تحت إشراف:

أ.د/ الشيخ لكحل

إعداد الطالب:

خديجي هواري بومدين

السنة الجامعية: 2025/2024



إهداء

الحمد لله عزّ وجلّ على نعمه وتوفيقه، وتيسير اتّباع سنّة نبيّه محمّد

صلى الله عليه وسلم في طلب العلم ونيله...

– أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع:

إلى والديّ الكريمين، وزوجتي وأبنائي وإخوتي

وإلى كل من علّمني ومن كان له فضل عليّ.

خديجي هواري بومدين

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا ملئ السماوات والأرض، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ومصادقا لقوله صلى الله عليه وسلم "مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَأَيُّ شُكْرِ اللَّهِ"

فإني أتقدم بالشكر الخالص والتقدير والامتنان إلى كل من قد لي يد العون في سبيل انجاز هذا العمل وأخص بالذكر:

أستاذي المشرف: الدكتور لكحل الشيخ، الذي تعلمت منه الإخلاص والتفاني في العمل، الذي صبر عني كثيراً، ولم يخجل عليا بأي شيء، رغم التزاماته الكثيرة، وكان لي بمثابة الوالد قبل المرشد.

كما أتقدم بالشكر والامتنان أيضاً للمشرف المساعد: الأستاذ الدكتور الميلى عبد القادر، الذي كان بمثابة الأخ المرافق والموجه والناصح طيلة فترة التكوين وإعداد الأطروحة.

كما أن الشكر الجزيل موصول سلفاً إلى أستاذي في الحياة أبي وأمي اللذان علماني حمل مشعل العلم والأدب، لأكون خير منبت وخير محصد، صاحبِي الفضل في كل حرف خطته أناملِي، من تحمل مشقة هذا العمل بالحل والترحال، والتوجيه والتحفيز.

قائمة المختصرات:

أولاً: باللغة العربية

الرمز	الدلالة
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ نشر
د.ط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	التاريخ الميلادي
مج	مجلد
هـ	التاريخ الهجري

ثانيا: باللغة الأجنبية

الرمز	الدلالة
N	Numéro
P	Page
T	Tom
Tr	Traduction
V	Volume

المقدمة

المقدمة

تعتبر دراسة التاريخ الحضاري للأمة مهمة في إبراز هويتها ومكانتها الحضارية بين الأمم والشعوب؛ إلا أن تلك الدراسات لم تنل حظها الأوفر من البحوث العلمية مقارنة بما نالته نظيرتها المهمة بالشق السياسي، وهذا ما لمستّه أيضاً في تاريخ بلادنا الذي لم تكن التفاتة المؤرخين للشق الثقافي منه كافية، خاصة في منطقة الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني الذي شهدت مناطقها حركة علمية وثقافية تبوّأت مصافّ الحواضر العلمية وأنجبت الكثير من العلماء الأجلاء وأصبحت مراكز إشعاع ثقافي مستقطبة لطلاب العلم.

ولأجل ذلك جاءت دراستنا الموسومة بـ: "مراكز الإشعاع الثقافي بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني".

وهي دراسة تهدف إلى تسليط الضوء على أهم الحواضر التي شهدت نشاطاً ثقافياً وعلمياً مُلفتاً من خلال ما رصدته من جهود العلماء بمنطقة الجنوب الجزائري وإسهاماتهم في تنمية المنطقة رغم الطبيعة الجغرافية الوعرة، وكذا من خلال انعكاس هذه الجهود على البعد الحضاري للمجتمع وفعالياته وتأثيراته، حتى أضحت حواضر علمية أمدتنا بإنتاج فكري وعلمي مما جعلها قبلة للباحثين وطلبة العلم. ولقد ركّزنا هذه الدراسة على مراكز الإشعاع الثقافي في كل من: (منطقة وادي ميزاب - منطقة توات - منطقة وارجلان - منطقة وادي ريغ).

لقد اعتمدت في دراستي على تسمية "وارجلان" لأنه الاسم الذي كان سائداً في التاريخ الوسيط والحديث على غرار اسم "ورقلة" الذي لم يُرَسَّخ إلا بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1854م، واعتمدت كذلك على تسمية "وادي ميزاب" بإضافة الياء بعد الميم.

- دوافع اختيار الموضوع:

إنّ سبب اختياري لموضوع "مراكز الإشعاع الثقافي في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني" هو الرغبة مني في إعادة الاعتبار للعنصر المحلي وإسهاماته التي أغفلتها معظم الكتابات الغربية أو المحلية القليلة، وكذا إشهارها إقليمياً وعالمياً، خاصة في مضمار بناء علمائنا للتراث الإنساني.

إضافة إلى أسباب أخرى أهمها:

- محاولة إدراج دراسة نوعية تحمل صيغة المقارنة والتحليل في تطبيقها بين مراكز الإشعاع الثقافي والحواضر العلمية في الجنوب الجزائري.
 - ورغبتني في الإلمام والتوسع في الموضوع من جميع جوانبه.
 - محاولة منا للتعامل مع الوثائق الأرشيفية وخاصة المخطوطات التي لا تزال حبيسة المكتبات واطهارها ودراستها قدر الإمكان لإعطاء الفائدة للباحثين والطلبة وكل من لديه ميول اتجاهها.
 - الرغبة في إزالة غموض وانحراف الأفكار التي طالت منطقة الجنوب الجزائري في الجانب العلمي والثقافي والتي ما زال آثارها ينعكس سلبا على المجتمع.
 - تشجيع أستاذي المشرف الدكتور الشيخ لكحل على الخوض في الموضوع والتأكيد على أهميته.
 - ميولي الشخصي في البحث والتنقيب على الحواضر العلمية الصحراوية خلال العهد العثماني، والتعرف على علمائها واسهاماتهم الفكرية والثقافية، وكذا مؤسسات ومراكز الإشعاع الثقافي آنذاك.
 - إيماني الراسخ أنّ أي عمل يخص تراث بلادنا واسهامات شخصياتنا الوطنية وآثارهم العلمية والفكرية هو شرف يسعى كل باحث لنيه.
- إطار البحث:**

أمّا عن الإطار المكاني للدراسة فهو الجنوب الجزائري بالحدود الجغرافية الحالية، وقد جعلت من أقاليم: (توات، ووادي ميزاب، ووارجلان، ووادي ريغ) محلا للدراسة.

وفيما يخصّ الإطار الزمني فقد جعلت ما يقابل الفترة العثمانية في الجزائر الممتدة من سنة: (1518م إلى 1830م) هي الحدود الزمنية للدراسة مع مراعاة ما قد تقتضيه طبيعة الدراسة من إلقاء الضوء بين الفينة والأخرى على تواريخ قبل الفترة بقليل أو بعدها.

- إشكالية البحث:

شهدت منطقة الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني انتعاشا فكريا وعلميا كبيرين، أدى إلى ظهور مراكز إشعاع ثقافية وحضارية أضحت منارة وقبلة استقطبت العلماء وطلاب العلم.

- فما أهم مراكز الإشعاع الثقافي بالجنوب الجزائري خلال الفترة الحديثة؟

- وما مدى إسهامات أعلام المنطقة في تنشيط الحقل المعرفي والعلمي؟ وما حدود تلك الإسهامات والتأثيرات؟

- مناهج البحث :

ومن هذا المنطلق، فإن الخطوات التحليلية في دراسة موضوع البحث، تتسم بالجمع بين مجموعة من المناهج التاريخية، ومن ذلك:

المنهج الوصفي، لسرد الأحداث والوقائع التاريخية، وبلورتها من ناحية المصادر، وفي فهمها، والتأكد من صحتها، وفي عرضها، وتفسيرها، واستخلاص النتائج العامة منها، والتي لا تقف فائدتها عند فهم أحداث الماضي فحسب، بل تتعداه إلى المساعدة في تفسير الأحداث والمشاكل الجارية، وفي توجيه التخطيط بالنسبة للمستقبل.

والمنهج التحليلي، لنقد بعض الآراء وتحليلها، وتصحيح المفاهيم والأخطاء التي تُنم غالبا عن النظرة الأوروبية الضيقة في الكتابة عن التاريخ الثقافي في الصحراء الجزائرية في العهد العثماني. كما أرى أنه دون شك يجب أن ندرج في هذه الدراسة **المنهج المقارن**، كون دراستنا تتكلم عن مراكز إشعاع عديدة تشترك في عديد النقاط كطبيعة المناخ والتضاريس الصحراوية، ونجدها تختلف كذلك في كيفية تلقين العلوم وتفكير أعلامها، إضافة إلى استعمال هذا المنهج في المقارنة بين الروايات والمعطيات التاريخية التي تمنحها لنا المصادر والمراجع خاصة إذا حدث اختلاف في تفاصيل حدث ما.

- صعوبات البحث:

ولقد واجهتنا في مسار إنجاز هذا العمل مجموعة من الصعوبات، نذكر منها:

- غياب بعض المخطوطات التي سمعت أو قرأت عنها وسعيت للوصول إليها دون جدوى.

- المسافة الكبيرة الموجودة بين مراكز الإشعاع الثقافي محل الدراسة، مما استدعى منا تخصيص أيام عديدة ومنفصلة للقيام بزيارات ميدانية لها.

- صعوبة الوصول إلى تراجم العديد من العلماء والأعلام.

- الدراسات السابقة:

من بين الدراسات السابقة للموضوع اطروحتا دكتوراه تحت عنوان:

1- الحياة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية

لـ "سالم بوتدرارة" تحت إشراف الأستاذ "حنيفي هلايلي"، جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس-، السنة الجامعية: (2015-2016).

رُكزت هذه الدراسة على إقليم توات بالخصوص وكانت سطحية عن باقي المراكز الإشعاعية، بالإضافة إلى شح الملاحق من الوثائق الأرشيفية رغم معرفتنا بوجود كمية معتبرة من المخطوطات بمنطقة توات وهو ما عملنا على الاجتهاد في جمعه.

2- الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10-13 هـ / 16-19م وهي

اطروحة دكتوراه لـ " زدك ابراهيم" تحت إشراف الأستاذ " بلحاج معروف"، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-، السنة الدراسة: (2018-2019).

في هذه الدراسة تم اغفال باقي المراكز الإشعاعية في الجنوب الجزائري، كما كانت الدراسة خالية من إسهامات علماء المنطقة وتأثيرهم على المجتمع وهذا ما عملنا على إضافته.

إضافة إلى بعض الدراسات التي تناولت بعض عناصر موضوع الدراسة، نذكر منها:

3- مدينة وارجلان: دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (في الفترة 4-

10هـ/10-16م) وهي اطروحة دكتوراه لـ "بن عمر حاج عيسى إلياس"، تحت إشراف الأستاذ "العرج عبد العزيز"، جامعة الجزائر، 2013 .

استفدنا من الجزء الثاني من القرن السادس عشر ميلادي فقط، كون دراستنا تجاوزت فترتها الزمنية إلى غاية القرن التاسع عشر.

- ودراسة للأب "جون ليتيليو" تتعلق بتاريخ وارجلان من جذورها الأولى إلى غاية القرن

العشرين

- Jean Lethielleux: Ouargla cité saharienne des origines au début du XX siècle, Paris, 1983.

-

- أهم المصادر والمراجع المعتمدة ونقدها:

لقد سعت في هذه الدراسة إلى الإلمام بالكثير من المصادر والمراجع التي تطرقت إلى موضوع بحثي، نذكر منها:

- أولا: المصادر

- مخطوط "جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء اللف الثاني"، لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيبي الموجود بالخزانة البكرية بتمنطيط، والذي أفادني كثيرا في عملي في الفصل الثاني فيما يخص تراجم علماء وأعلام منطقة توات، إلا أنه يذكر تراجم لعلماء تونس وفاس أيضا

- مخطوط "الرحلة في طلب العلم" لعمر بن عبد القادر التلاني وهو مخطوط بخزانة ابن الوليد بقصر بعبد الله بأدرار والذي أفادني هو الآخر في مستهل الحديث عن بعض علماء منطقة توات.

- مخطوط غصن البان في تاريخ وارجلان لمؤلفه الشيخ إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام الموجود عند ورثة عائلة بومعقل بقصر وارجلان الذي استفدت منه كثيرا في الفصل الثالث من بحثي خاصة ما تعلق بالمؤسسات الثقافية بوارجلان وكذا سرد بعض الأحداث السياسية التي جرت بالمنطقة خلال العهد العثماني، إلا أن المخطوط تغلب عليه الذاتية من طرف صاحبه.

- كتاب "تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" للرحالة ابن بطوطة الذي استفدت منه في ذكر الأسماء القديمة لبعض المناطق الصحراوية مثل: "توات"، إلا أنه لم يذكر باقي بلدان ومراكز الإشعاع الثقافي التي هي محل الدراسة.

- عبد الرحمان بن خلدون في كتابه: "العبر وديوان المبتدأ والخبر والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" الذي يعد من أهم المصادر التاريخية التي لا غنى للباحث في التاريخ عنها، لما اشتمل عليه من وصف دقيق وتحليل الحوادث التاريخية، وذلك من خلال ما ذكره عن التجارة والرحلات ومسالكهما في المنطقة التي هي قيد الدراسة.

- الحسن الوزان في كتابه: "وصف إفريقيا" الذي أفادنا في التعريف ببعض الأماكن الموجودة في إقليم مجال الدراسة، وكذا الجانب الاجتماعي والاقتصادي وكذا التخطيط العمراني.

- العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد في كتابه: "الرحلة العياشية 1661-1663"، المشهورة بماء الموائد والتي تعتبر مصدرا في غاية الأهمية وذلك لأنّ هذه الرحلة تمّت من طرف المؤلف نفسه بالمعينة الميدانية خلال فترة الدراسة وفي بعض أماكن الدراسة، ولقد وظّفتها خاصة في الفصل التمهيدي عند حديثي عن الخصائص الطبيعية والجغرافية لمنطقة الجنوب الجزائري.

- الونشريسي في كتابه: "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب" الذي يعتبر أهم ما أُلّف في فقه النوازل ببلاد المغرب وقد استعنت به في فهم بعض المسائل المتعلقة بالقضايا الاجتماعية المتشابهة وإجراء بعض المقارنات بما ورد في المصادر المحلية، وقمت باستغلال هذا المصدر المهم في الفصل الثاني عندما ذكرت الكتابات التي كانت في منطقة توات.

- رحلة الرحالة عبد الرحمان بن إدريس التواتي الذي مرّ بأرض وادي ميزاب في رحلته من توات إلى الجزائر سنة 1233هـ / 1817م والذي استفدنا منه عند تكلمنا عن الأوضاع العامة لمنطقة ميزاب، ووصف بعض قصورهم واطلع على بعض خزائنهم ومكتباتهم وذلك ما خدم بحثي في الفصل الأول.

- وكتاب "طبقات المشايخ بالمغرب" لأبو العباس الدرجيني الذي أفادني كثيرا في الفصل الأول حين تكلمت عن أصل بني ميزاب وكذا وصفه لبعض حلقات العلم ونظام العزابة، واستعنت أيضا به في الفصل الثالث من بحثي حين ذكرت روايته في أصل تسمية وارجلان، وكذا ذكره لبعض الأحداث التي وقعت في منطقة سدراتة.

- ثانيا: المراجع باللغة العربية

أما بالنسبة للمراجع المعتمدة فهي كثيرة ومتنوعة، نذكر من بينها:

- "رسالة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب" للحاج أيوب إبراهيم بن يحيى (القرادي)، وقد وجدت فيه مادة علمية ثرية وظفتها في الفصل الأول عند حديثي عن أصل بني ميزاب وبعض عاداتهم، والزراعة عندهم وطريقة السقي.

- "وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية" لبكير بن سعيد أعوش، الذي أفادني هو الآخر في وصف بعض مساجد منطقة ميزاب.
- "العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب" لصالح بن عمر أسماوي، الذي استقيت منه معلومات قيمة فيما يخص النظام التعليمي في منطقة ميزاب، وسير حلقة العزابة، وأسواقها .
- "تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم سعد الله ولقد استفدت من الجزء الثاني منه والمتعلق بالفترة العثمانية كثيرا، خاصة القسم الثاني في معرض الحديث عن العلوم المتداولة، وبعض المساجد والطرق الصوفية التي شهدتها مراكز الإشعاع الثقافي في الجنوب الجزائري، والصناعات التقليدية المنشورة، وكذا استعنت به في التعريف ببعض أعلام وعلماء المنطقة محل الدراسة.
- "الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات" لمحمد باي بلعالم وهو كتاب جدُّ قيِّم استفدت من الجزء الأول منه كثيرا في الفصل الثاني من أطروحتي خصوصا تحديد الموقع الجغرافي لمنطقة توات، ونشأة الزوايا، وأهم أعلام منطقة توات خلال العصر الحديث.
- "توات والأزواد" لمحمد حوتية، وهو كتاب مؤلف من جزئين، أصله أطروحة دكتوراه، وهي دراسة تاريخية من خلال المصادر المحلية، استقيت من الجزء الأول منه بعض المعلومات عن بعض مدن منطقة توات، وكذا بعض أعلام زوايا المنطقة.
- "ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)"، لناصر الدين سعيدوني، حيث أفادني هذا المرجع في سرد بعض الأحداث التاريخية الخاصة بإقليم وادي ريغ وكذا الحياة الاقتصادية حيث أخذت منه معلومات قيمة فيما تعلق بالزراعة والحرف التي كانت بالمنطقة خلال العهد العثماني.

ثالثا : المراجع باللغة الأجنبية:

- رحلة الجنرال دوماس Daumas التي دونها في كتاب معنون تحت اسم "الصحراء الجزائرية: دراسة جغرافية وتاريخية".

"Le sahara Algérien études géographique statistiques et historiques".

الذي زار منطقة الجنوب الجزائري سنة 1842م وقدم وصفا جغرافيا للمنطقة كما قدم إحصائيات عديدة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. ولقد وظفت هذا المصدر خصوصا في الفصل الأول عندما ذكرت مساجد منطقة ميزاب، كما استعنت به الفصل الثاني حيث ذكرت رواية له عن أصل تسمية منطقة توات، وكذا الفصل الثالث عندما ذكرت إلحاق مدينة تقرت للدولة العثمانية، وكذا الحرف والصناعات التي كانت موجودة في منطقة وارجلان.

- كما استفدت من كتاب تروملي (Trumelet) المعنون بعنوان " Les Français dans les desert " ، حيث أخذت من هذا المصدر معلومات هامة في الفصل الثالث فيما يخص قصة تأسيس ورقلة والوضع العام لها قبل الإحتلال الفرنسي.

- وكتاب الضابط الفرنسي مارتان (Martin) الموسوم بعنوان: الواحات الصحراوية (Les Oasis sahariennes) الذي اعتمده في الفصل الثاني كونه اهتم بتاريخ توات.

- "كتاب مدينة ورقلة (صحراء الجزائر) "، لمؤلفه مادلين روفيلوبريقول (Madeleine Rouvillois-Brigol) (Rouvillois-Brigol) Madeleine Rouvillois-Brigol: Le pays de Ouargla (Sahara algérien) , paris, 1975.

الذي قام بدراسة جغرافية وتاريخية لمدينة ورقلة، واستعنا به في الفصل الثالث من بحثنا حين تكلمنا عن الروايات التي تخص أصل تسمية وارجلان.

- كتاب "ورقلة حاضرة صحراوية من جذورها الأولى إلى غاية القرن العشرين" للأب جون ليتيليو (Jean Lethielleux)

Jean Lethielleux, Ouargla cité Saharienne, Paul Geuthner, Paris, 1984

استعنت بهذا المرجع في الفصل الثالث عند ذكر أصل تسمية وارجلان إذ ذكرنا للأب جون ليتيليو رواية حول هذا .

- خطة البحث:

ومن أجل الوصول إلى الأهداف المسطرة والإجابة عن الإشكالية المطروحة سالفًا، فقد قمت بتقسيم الأطروحة إلى أربعة فصول إضافة إلى الفصل التمهيدي.

- فقد قمنا بتسمية **الفصل التمهيدي** تحت عنوان: البيئة الجغرافية والتاريخية للجنوب الجزائري، ويعتبر بمثابة مدخل لموضوع أطروحتنا شمل الحيز الجغرافي محل الدراسة وأهميتها التاريخية، وقمنا بتقسيمه إلى مبحثين:
- المبحث الأول تحت عنوان: البيئة الجغرافية للجنوب الجزائري، حيث قمنا بتحديد الموقع الجغرافي للجنوب الجزائري، وذكرنا أهم الخصائص التضاريسية والمناخية للمنطقة.
- أما المبحث الثاني فنوّه به: الأهمية التاريخية للجنوب الجزائري عبر العصور، حيث قمنا بالتطرق إلى أهمية منطقة الجنوب الجزائري عبر العصور من فترة ما قبل التاريخ إلى غاية التواجد العثماني في الجزائر مروراً بفترة العصر الإسلامي.
- أما **الفصل الأول** فنوّه به: مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة ميزاب، وقد قسمناه إلى ثلاث مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى الأوضاع العامة بمنطقة ميزاب خلال العهد العثماني، فقمنا بتحديد أصل تسمية ميزاب وضبطنا موقعها الجغرافي والفلكي، ثم قمنا بدراسة شاملة للوضع السياسي والاقتصادي محدّدين بذلك أهم طبيعة العلاقة الميزابية-العثمانية ودور نظام العزابة في تسيير شؤون الإباضين الإجتماعية والدينية، ونوع المزروعات والصناعات والمبادلات التجارية وطرقها آنذاك، أما المبحث الثاني فتطرقنا إلى مؤسسات الإشعاع الثقافي بمنطقة ميزاب حيث تحدثنا عن المساجد والمدارس والزوايا والمكتبات، وخصصنا المبحث الثالث في التكلم عن أهم علماء منطقة ميزاب خلال العهد العثماني.
- وجاء **الفصل الثاني** بعنوان: مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة توات، وضم ثلاث مباحث، المبحث الأول تحت عنوان: الأوضاع العامة لمنطقة توات خلال العهد العثماني، فبدأنا بذكر الروايات التي ذكرت أصل تسمية توات، ثم عرجنا على ذكر الأوضاع السياسية التي شهدتها منطقة توات منذ قيام دولة الأشراف السعديين بالمغرب الذين حاولوا في عديد المرات ضمّ المنطقة إلى غاية التواجد العثماني هناك وولاء السكان لهم، ثم ذكرنا الأوضاع الإقتصادية السائدة في المنطقة، حيث شمل حديثنا الشق الزراعي والصناعي والمسالك التجارية وأسواق توات، وخصصنا المبحث الثاني من هذا الفصل للحديث عن مؤسسات الإشعاع الثقافي التي شهدتها منطقة توات فذكرنا الكتابات والمساجد والزوايا والمكتبات وكيفية تحصيل طلبة العلم على الإجازات.

- **أما الفصل الثالث** فعنوانه ب: مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة وارجلان، وتفرع إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول جاء تحت عنوان الأوضاع العامة لمنطقة وارجلان خلال العهد العثماني واستهلنا حديثنا في البداية عن أصل تسمية وارجلان، ثم ذكرنا الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وارجلان، وبعدها خصصنا المبحث الثاني لسرد الأوضاع السياسية الهامة التي شهدتها منطقة وارجلان تحت نظام السلطنات والمشيخات بداية من تأسيس سلطنة بني غابول إلى غاية حملة صالح ريس على المنطقة وفرض ضريبة سنوية عليها وتولية مولاي علاهم ملكا عليهم فيما بعد، وذكرنا الأوضاع الإقتصادية التي شملت الجانب الزراعي حيث ركزنا على النخيل التي كانت تغرس والأنواع العديدة للتمور التي كانت تُنتج وأشرنا أيضا إلى الصناعات والحرف المنتشرة في المنطقة، ثم تكلمنا عن التجارة المحلية لمنطقة وارجلان ودورها كمركز تجاري مهم للمبادلات التجارية الخارجية، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان مؤسسات الإشعاع الثقافي بمنطقة وارجلان حيث تطرقنا إلى نظام التعليم المالكي والإباضي بوارجلان، والكتاتيب والمساجد والزوايا المنتشرة وذكرنا المكتبات وأهم الكتب التي تحتويها، أما المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى تراجم أهم علماء وأعلام منطقة وارجلان خلال فترة محل الدراسة.

- **وجاء الفصل الرابع** بعنوان: مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة وادي ريغ، ويضم هو الآخر ثلاث مباحث، خصصنا المبحث الأول في الحديث عن الأوضاع العامة لمنطقة وادي ريغ فبدأنا بذكر أصل تسمية منطقة وادي ريغ، ثم حددنا موقعها الجغرافي والفلكي، ثم ذكرنا الأوضاع السياسية التي شهدتها منطقة وادي ريغ بداية من تأسيس إمارة بني جلاب وطبيعة العلاقة التي كانت بينهم وبين العثمانيين، ثم ذكرنا الأوضاع الإقتصادية السائدة في المنطقة، حيث شمل حديثنا الشق الزراعي والصناعي والتجاري، وخصصنا المبحث الثاني من هذا الفصل للحديث عن مؤسسات الإشعاع الثقافي فبدأنا أولا التكلم عن الحركة التعليمية بمنطقة وادي ريغ، ثم تكلمنا عن المساجد والزوايا والطرق الصوفية المنتشرة في الفترة العثمانية، والمبحث الثالث جاء تحت عنوان علماء وادي ريغ، حيث ذكرنا فيه علماء منطقة وادي ريغ وأهم إسهاماتهم العلمية والفكرية. وأتمنا دراستنا **بخاتمة** شاملة أوجزت ما توصلت إليه من نتائج وملاحظات حول موضوع أطروحتنا.

الفصل التمهيدي

البيئة الجغرافية والتاريخية للجنوب الجزائري

- المبحث الأول: البيئة الجغرافية للجنوب الجزائري
- المبحث الثاني: الأهمية التاريخية للجنوب الجزائري عبر العصور

مقدمة:

بدأت الأخبار عن الجنوب الجزائري تظهر بشكل محدود وغامض في كتابات الجغرافيين، حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ظهر أول توثيق شامل لتلك المنطقة في كتاب "صورة الأرض" الذي كتبه "ابن حوقل النصيبي"، ووثق تجاربه وملاحظاته فيه.

وجاء بعده "عبيد الله البكري" الذي قدم معلومات مهمة عن صحراء بلاد المغرب في كتابه "المسالك والممالك" عام 460هـ / 1068م، الذي نقل معلومات فريدة وقيمة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية لصحراء بلاد المغرب عامة وصحراء المغرب الأقصى خاصة.

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، ظهرت مؤلفات جغرافية مهمة أيضا مثل: "ياقوت الحموي" الذي انتهى من تأليف كتابه "معجم البلدان" عام 621هـ / 1224م، كما أنّ الجغرافي "سعيد المغربي" المتوفى 685هـ / 1286م أورد معلومات هامة بالنسبة لدارسي الصحراء في كتابه "الجغرافيا".

وبمرور الزمن ووصولنا إلى القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر الميلادي)، بدأت المعلومات حول الصحراء تتضح بشكل أكبر، وذلك بفضل ما جاء في كتب مثل: "مناهج الفكر" و "مناهج العبر" لـ"محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي" المعروف "بالوطواط"، وفي كتاب "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" لـ"أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي"، ولم يكن هذا فحسب، بل كان لـ"ابن فضل العمري"، دوره في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار".

بالفعل، إلى جانب الكتب الجغرافية، ظهرت مدونات الرحالة التي أسهمت بشكل كبير في توفير معلومات غنية عن الواحات والمدن في الصحراء. من بين هذه المدونات، يمكن ذكر رحلة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لـ"محمد بن عبد الله بن محمد اللوتي الطنجي"، المعروف باسم "ابن بطوطة"، وأيضاً رحلة "أبي الحسن بن عبد الله بن محمد الوزان" الملقب بـ"ليون الإفريقي"، والتي قدمت معلومات هامة عن الصحراء ومعالمها .

ويعد "العياشي" من أهم الرحالة الذين قدّموا لنا معلومات غزيرة في رحلته الكبرى التي سماها "ماء الموائد"، ومن الرحلات التي عبرت الصحراء "رحلة الورتلاني" و"رحلة ابن الدين

الأغواطي"، إضافة إلى كتاب "الصروف في تاريخ الصحراء وسوف" لمؤلفه "إبراهيم بن محمد الساسي العوامر" وغيرها.

إنّ كل من الإطار الطبيعي والتاريخي يعتبران المحددان الأساسيان لمختلف المنتجات الحضارية لأمة معينة، وسنحاول من خلال هذا الفصل التمهيدي رسم الملامح العامة والجوهرية للإطار المكاني (الطبيعي) والزماني (التاريخي) لمنطقة الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني.

المبحث الأول

البيئة الجغرافية للجنوب الجزائري

أ- الموقع الجغرافي للجنوب الجزائري:

يمتد الجنوب الجزائري على مساحة جغرافية كبيرة؛ حيث تغطي الصحراء معظم أراضيه بمختلف تضاريسها من رق، وعرق وحمادات وكتل جبلية، ما يجعلها متحفاً طبيعياً مفتوحاً وأرضاً بكرّاً مفتوحة الآفاق، فهي البیداء والخلاء والفيافي وغيرها من الأسماء¹، وإن كان اسم الصحراء حسب بعض الاجتهادات اللغوية مشتق من السحر أي وقت ما قبل الفجر حيث يمكن تمييز الخيط الأبيض من الأسود، وهو ما يتم بوضوح في الخلاء حيث لا حواجز طبيعية في الأفق مع صفاء السماء²؛ إلا أننا نجد أن أغلب التعريفات في المراجع والكتب تذهب إلى أن هناك صعوبة في تعريف الصحراء حيث تم الاتفاق على مبدأ أنها منطقة جافة، ويرتبط التعريف كذلك بأنها الأقاليم التي تفتقر إلى الحياة النباتية والحيوانية لكن ليس بمعنى الافتقار التام بل توجد هناك حياة تتسم بالصعوبة وقساوة المناخ³.

ويُعدُّ الجنوب الجزائري جزءاً من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً، ومن جبال الأطلسي شمالاً إلى بلدان الساحل جنوباً⁴.

وتغطي الصحراء الكبرى مساحة ثمانية ملايين كم²، يشترك فيها كل من جنوب المغرب والجزائر وتونس وليبيا وشمال مصر وغرب موريطانيا ومالي والنيجر والتشاد وجنوب السودان⁵.

أما مساحة الصحراء الجزائرية فتبلغ 1987600 كم²، وبذلك تحتل مساحة واسعة تجاوزت نسبتها 90% من مساحة القطر الجزائري⁶.

¹ عمراوي احميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة -الجزائر، 2009، ص10 .
² عبد القادر كركار، الجنوب الجزائري من المقاومة إلى الثورة التحريرية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الوادي، 31-12-2012، ص19.
³ محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998، ص12.
⁴ اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص15.
⁵ اسماعيل العربي، نفسه، ص13.
⁶ عمراوي احميدة، المرجع السابق، ص10.

فالصحراء الجزائرية، هي صحراء تقع في وسط شمال أفريقيا، وهي جزء من الصحراء الأفريقية الكبرى إذ تمثل 20%، تمثل مساحة الصحراء في الجزائر أكثر من 80% من مساحتها الإجمالية، يكثر وجود الواحات في هذه الصحراء ومن الأمثلة على ذلك واحة عين صالح وتقرت بالجزائر ويكثر بها أيضاً حقول البترول مثل: عين أميناس والعقرب القاسي وحاسي مسعود والسبع ورقان¹.

تتربع الصحراء الجزائرية على أكثر من مليوني كم² أي 5/4 من المساحة الكلية². يحدّها شمالاً سلسلة جبال الأطلس وهي عبارة عن سلسلتين عاليتين من الجبال يحصران بينهما مجموعة من الهضاب العليا تتمثلان في الأطلس التلي بالشمال -غير الصحراوي- والأطلس الصحراوي جنوبه وتقع سلسلة جبال الأطلس بشمال غرب الصحراء الكبرى³.

والصحراء في تركيبها الجغرافي أبسط من المنطقة التالية⁴، إذ لا نجد بها الجبال المتقطعة، ولا المرتفعات المعقدة ولا السهول الضيقة المحصورة، ولا الالتواءات الحديثة، ولكن نجد السهول التحاتية الواسعة، والأحواض المغلقة، والجبال بحافاتهما الشديدة الإنحدار، والعروق الرملية المتنقلة⁵.

ينحصر الإقليم الصحراوي شرقاً بين الهوامش الجنوبية للأطلس الصحراوي شمالاً، وتونس وليبيا شرقاً والنيجر وهضبة تادميت غرباً كما يمكن تحديد هذا الإقليم من ناحية الغرب بخط طول 3° شرقاً المار بالجزائر العاصمة، في حين يحدد الإقليم الجنوبي الغربي بمعالم طبيعية واضحة تتمثل في السفوح الجنوبية للسلسلة الأطلسية شمالاً وهضبة تادميت شرقاً وكل من المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا ومالي غرباً وجنوباً⁶.

¹ ابن سعيد المغربي أبو الحسن، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 105-109.
² حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 12 يونيو 2018، ص 68.

³ نفسه، ص 69.

⁴ احميدة عميراي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة -الجزائر-، 2009، ص 10.

⁵ عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر (طبيعية-بشرية-اقتصادية)، مكتبة الشركة الجزائرية لمراقة وشركائها، ط1، الجزائر، 1968، ص 56.

⁶ أحمد حمدي وآخرون، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، دراسات وبحوث، الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، سلسلة ملتقيات، ورقلة-الجزائر-، 15-16-17 أفريل 1996، ص 22.

أمّا "أحمد توفيق المدني" فيحدد الموقع الجغرافي للصحراء الجزائرية فيقول: "تبتدئ سلسلة الأطلس الصحراوي، في الشرق بجبال الأوراس وتستمر سائرة نحو الغرب بجبال أولاد نائل وجبال الجلفة وجبال العمور وجبال القصور، فاذا انحدرت منها وجدت نفسك امام الصحراء فأرضها ليست منبسطة كما تظهر، وانما ترتفع شيئا فشيئا نحو الجنوب حيث يبلغ ارتفاعها عند الهقار 1900 مترا عن سطح البحر، تنقسم إلى قسمين، القسم الصخري الحمادة¹، والقسم الرملي وهو العرق²".

وهناك من يُحدّد الجنوب الجزائري بحيث يقول بأن رقعته الجغرافية تمتد بين الجلفة والأغواط والبيض شمال الصحراء إلى بشار وتندوف غربا ومن غرداية إلى ورقلة وتقرت ووادي سوف وأريغ وبسكرة شرقا، ومن أدرار إلى جانت وإيزي وتمنغست بأقصى الجنوب الجزائري³.

تبدأ أولى مظاهر الصحراء والجنوب الكبير حيث نجد كبرى التجمعات السكنية في عدد من الوديان كوادي ميزاب بمدنه غرداية، بونورة، العطف، مليكة، بني يزقن، بريان، وإلى الشمال القرارة⁴.

وادي ريغ بمدنه وقراه كالمغير، أم الطيور، تندلة، في الشمال وجامعة، سيدي عمران، تمرنة، مازر، تقديدين، سيدي يحيى، لغيفان في الوسط وتبسست، المقارين، الزاوية العابدية، النزلة، غمرة، بلدة عمر، تماسين، القوق، لقصور تقرت-عاصمة بني جلاب- في الجنوب⁵.

ووادي سوف بمدنها الوادي، قمار، الزقم، سيدي عون، الرقية، تاغزوت، الدبيلة، كوينين، والرياح، وادي العلندة والبياضة، أمّا في الغرب فوادي الساورة وما يضم من مدن وقري كبشار، العبادلة، بني عباس، تاغيت⁶.

¹ انظر رقم 02.

² أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2005، صص 222-229.

³ المجلس الأعلى للغة العربية، الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري (أعلامه و قضاياها الفنية و الموضوعية)، منشورات المجلس، 2018، ص 7.

⁴ عبد القادر كركار، المرجع السابق، ص 20.

⁵ Paul soleillet, l'Afrique occidentale (Algérie -M'Zab- Tidikelt), Avignon imprimerie de f Seguin aine, 1877, p233.

⁶ عبد القادر كركار، المرجع السابق، ص 20.

هذا إلى جانب مناطق المنخفضات التي تضم واحات عديدة كمنطقة الزيبان حيث واحات طولقة، ليشانة، ليوة وماجاورها، ومنطقة ورقلة بواحاتها العديدة¹، وفي وسط الصحراء منطقة القورارة أوتيقورارين بعاصمتها تميمون وإلى الجنوب توات الوسطى حيث مدن أدرار، تامنيط، زاوية كونتة، فنوغيل، تامست وإلى الجنوب منها تيدكلت بعاصمتها عين صالح وبالتعمق جنوبا كتلة جبال الاهقار حيث تعتبر تامنغست عاصمتها وجبال التاسيلي بعاصمتها جانت².

ب- تضاريس الجنوب الجزائري :

تتكون الصحراء من ثلاثة أنواع من التضاريس وهي: **العرق المكون من كثنان رملية** مثل العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، **الرق المكون من تضاريس صخرية**، وكذلك **كتل صخرية بركانية في أقصى الجنوب**³.

حاول " فيليكس جاكو"⁴ تقديم نظرة عامة حول الطبيعة الجيولوجية للبلاد الجزائرية، لهدف الوصول إلى فكرة ضرورية وهي أنّ صحراء الجزائر ليست مجرد أرض رملية قاحلة، وليست مبسوطة كبحيرة هادئة، فهي تتنوع ما بين أراض وعرة صخرية قليلة الارتفاع، تنجم عن التلال والهضاب، وطبقات من الرمل الدقيق، ومساحات نادرة قليلة خضراء مزروعة⁵، ولذلك يتضمن كتابه وفق منهجية دقيقة أقسام الأرض الجزائرية جيولوجيا وطبيعا ابتداء من الساحل ووصولاً إلى الصحراء الكبرى، أو ما يسمى بالفلاة ويعرض "الكسندر راتو" Alexandre Rato " للقراء صورة موجزة للطريق نحو بسكرة حيث بدت مليئة بالتلال الوعرة الواقعة على جانبي الطريق، وبين مسافة

¹ أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليها جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 65.

² عبد القادر كركار، المرجع السابق، ص 20.

³ Cherbi, Massensen, Louvain-la-Neuve : De Boeck, DL 2015, cop. 2015 p p 41-42.

⁴ فيليكس جاكو: من مواليد عام 1819 م عمل طبيبا عسكريا و جراحا ثم أستاذا مجازا في تخصص الأمراض المعدية، كما كان محررا في مجلة Gazette الطبية بباريس، استطاع أن يؤلف سردا وثائقيا مدعوما برسومات أنجزها شخصيا، شارك في حملة كافينياك في الصحراء الجزائرية عام 1847م، حتى عد أول طبيب صحراوي، وهو من الأوائل بعد الكولونيل دوماس (Dumas). ينظر:

P. Huard, p Lefebvre, J. L. Plessis, François-Félix Jacquot (1819- 1857), communication la séance 10 /12/ 1983 , Société Française d' histoire de la médecine, p p. 403- présentée à 410 .

⁵ أنساعد سميرة، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين التاسع عشر و العشرين، مجلة دراسات، العدد الثاني، ديسمبر 2012، ص 28.

وأخرى بقايا آثار رومانية، ومع الاستمرار في المشي تزداد الطبيعة توحشا، وحدة، لحلول الصخور مكان الأراضي الخضراء المنبسطة، إلى أن تبدأ الواحات بالظهور تدريجيا بداية بواحة بسيطة وصغيرة هي واحة القنطرة، وبعد مشي عبر وديان ضيقة، ومرتفع صعب، يصل الرحال إلى أرض واسعة منبسطة تبدو منها واحات جميلة، تشكّل مدينة بسكرة، غير أن الجو كان حارا جدا في شهر ماي، تصل حرارته 41 درجة، زادت من شدته رياح السيروكو الآتية من الجنوب¹.

تتميز صحراء الجزائر بالبساطة وأنها غير معقدة مقارنة بالمنطقة الشمالية، فهي تكاد تكون خالية من المرتفعات باستثناء جبال بركانية منها جبال الهقار وأوغرطة والطاسيلي وبعض الالتواءات الحديثة²، ويغطي سطحها أحواضا وانحدارات شديدة وعروق رملية متحركة³، وعليه يمكن تقسيم صحراء الجزائر بناء على مظاهر السطح والبنية الخارجية إلى مناطق ثلاث:

1- الصحراء المنخفضة الشرقية:

أول من أطلق عليها الصحراء المنخفضة مهندس المناجم "ج. رولاند" وهو مهندس مناجم سنة 1880م، وورد في تقريره العلمي بأنّ هذه المنطقة عبارة عن مسطحات أرضية طباشيرية تحدها شمالا حواف الأطلس الصحراوي وجنوبا مرتفعات الهقار، ومرتبطة إحداها بالأخرى من الشمال إلى الجنوب جانبيا بتضاريس المناطق المجاورة لها⁴.

وما يُميّز الصحراء المنخفضة أنّها كانت خلال الزمن الرابع متصلة بالبحر عبر منطقة الشطوط الحالية، وهي الآن عبارة عن منخفض في الركن الشمالي الشرقي للصحراء الجزائرية، وتظهر به بعض الشطوط من أهمها شط ملغيغ الذي يقع بانخفاض بحوالي 31م عن مستوى سطح البحر، فهذا المكان يعتبر أخفض مكان على سطح البحر في الجزائر⁵.

¹ أنساعد سميرة، المرجع السابق، ص 21.

² انظر الملحق رقم 01.

³ حلّيمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر (طبيعية - بشرية - اقتصادية)، دمشق، 1968م، ط 2، ص 56.

⁴ Ginette Aumassip, Néolithique sans poterie de la région de l'Oued Mya (Bas-Sahara), Alger, 1972, p 07.

²⁰ حلّيمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 48.

يمتد طول الصحراء المنخفضة بحوالي 700 كلم من الشمال إلى الجنوب، ويُقدَّر عرضها بنصف طولها تقريبا، ارتفاعها منخفض بحوالي مائة متر بمنطقة وادي سوف، ومائتا متر بورقلة، ممَّا ساعد على ظهور الواحات لوفرة المياه الباطنية¹، أمَّا وسطها فتغطيه رمال العرق الشرقي الكبير في شكل أقواس رملية على شكل جبال من الرمل، وكلما اتجهنا جنوبا وشرقا تبدأ الصحراء المنخفضة في الاختفاء تدريجيا ويتجلى ذلك عند حدودها مع هضاب وادي ميزاب وتدمائيت وحمادة تغرت والظهرة، وهي تنقسم إلى عدة مناطق أهمها:

-منطقة سوف: تقع بين دائرتي عرض 33 و34 ° شمالا وخطي طول 6 و8 ° شرقا على الأطراف الشمالية للعرق الشرقي الكبير يحدها شط وادي ريغ غربا، وملغيغ وغرسة شمالا، وشط الجريد شرقا²، وتصل حدودها إلى الحدود الليبية جنوبا وجبال النمامشة شمالا، لتنتهي مع حدود منطقة الزاب³.

-منطقة ورقلة: تقع على حواف العرق الشرقي الكبير، وتقع في منخفض مقفل غربا بانحدارات شديدة للهضبة الصخرية بحوافها المحطمة ومجري السيول المتقطعة التي تمتد إلى متليلي وغرداية حيث تتوزع بها سلسلة من المناطق المتباعدة وتشتهر المنطقة بواحاتها وكثرة نخيلها⁴.

-منطقة الزيبان: كان هذا المصطلح قديما يطلق على منطقة أوسع من بسكرة إلى سهول الحضنة، لكن حديثا تطلق على بسكرة والمناطق المحيطة بها، مثل الزيبان الظهري والشرقي والزيبان الغربي التي تتميز بواحات نخيلها وجودة تمورها⁵.

¹ الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين في شمال إفريقيا والسودان و الدرعية، تر و تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص 96.

² André-Roger Voisin, Le Souf (Monographie), El- walid el- oued, 2004, pp 15- 16.

³ إبراهيم مياصي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة، مجلة الثقافة، ع 13، الجزائر، 1996، ص 194.

⁴ الحسين بن محمد السعيد الورثاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1974، ص 604.

⁵ أبو عبد الله الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة و تحقيق المهدي الغالي، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2013، ص 194.

2- الهضاب الصخرية الشمالية والوسطى والغربية:

تمتد هذه المنطقة من هضبة ميزاب شرقا إلى حمادة غير عند الحدود المغربية ومن سفوح الأطلس الصحراوي الغربي شمالا إلى غاية دائرة عرض 26° شمالا، وهي منطقة مرتفعة يزيد ارتفاعه عن 600 إلى 700 م بينما تنحدر الوديان فيها من الغرب إلى الشرق¹، وتنقسم إلى أقاليم هي:

-سلاسل أوغوظة والساورة: تمتد من سفوح الأطلس الغربي للطاسيلي يبلغ عرضها 125 كلم²، وتختفي سلسلة أوغوظة في الشمال تحت الحمادات التي يجدها من الشرق وادي الساورة ويفصلها عن العرق الغربي الكبير².

-العرق الغربي الكبير: وهي سلاسل من الكثبان الرملية تمتد من بني عباس بأقصى الجنوب الغربي حتى هضبة المنيعه شرقا وعرق الشيخ وعرق ايقدي بالحدود الجزائرية الموريطانية، فيحيط بالحافة اليسرى لوادي الساورة ، ويمتد إلى غاية حواف هضبة منطقة الزاب شمالا وكتلة تادميت جنوبا³، ليتخذ شكل هلال في مساحة تقدر بـ 80000 كلم² تقريبا⁴.

-هضبة ميزاب: تقع في الشمال والوسط وتفصل الصحراء المنخفضة عن العرق الغربي الكبير متكونة من سلسلة من المرتفعات تنتهي بمنحدرات شديدة تدعى الباطن وتشقها وديان زقير، والنساء ، وميزاب، لتقاطع في مناطق تدعى الشبكة وتكسوها كتل يطلق عليها الكور⁵.

-حمادة غير: تقع بين سفوح الأطلس الغربية وجبال أغوظة أي الشمال الغربي من منطقة إيفود وهي رواسب ترتفع بحوالي 30م من الحجر الرملي والحصى الأحمر الخشن⁶.

-هضبة تادميت : تطل حافتها الغربية على وادي قورارة وسبخة تميمون الكبيرة، وجنوبا على سلسلة من المنخفضات منها تديكلت الصغيرة ويجدها من الجنوب الغربي منخفض توات وتلتقي بالساورة في الشمال الغربي وبعرق شاش في أقصى الجنوب الغربي¹.

¹ جيلاني صاري، دور البيئة في الجزائر، ط1، الجزائر، 1983، صص 18-19.

² R.Furon, le sahara(géologie,ressources,minérales), payot, paris, 1964, p141 .

³ محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد، ملامح المغرب العربي، الإسكندرية، 1959م، ص 24 .

⁴ Despois,et R.Rayna,op cit p443 .

⁵ جمال الدين الديناصوري، جغرافية العالم (دراسة إقليمية)، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص 281 .

⁶ محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد، ملامح المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1959، ص 25 .

3- مرتفعات الجنوب الشرقي (الهقار - الطاسيلي):

تعتبر كتلة الهقار المحاطة بجبال الطاسيلي مركز وسط الصحراء الكبرى²، تقدر مساحتها بحوالي 300000 كلم²، ومتوسط ارتفاعها 1000م³، وتعتبر الآتاكور قلب الهقار تتخذ شكل القبة التي تعلوها الطفوح البركانية وهي أكثر تلك الأجزاء ارتفاعا مثل: قمة تاهات 3006م وإيلمان 2732م وإسكرام 2728م وتنحدر هذه الكدية بشدة صوب الشرق والجنوب⁴.

وأهم مناطق الصحراء الجبلية: الآتاكور وتوابعها، وآتاحف وتنزروفت، والأمادور وطاسيلي الناجر، وأجنات وطاسلي الجنوب⁵.

ج- المناخ السائد بمنطقة الجنوب الجزائري:

إن القسم الأعظم من الوطن العربي، يقع داخل نطاق المنطقة المدارية المتميزة بحرارتها، ففي فصل الشتاء تقع أشعة الشمس عمودية على العروض المدارية جنوب خط الاستواء ونتيجة لذلك نجد درجات الحرارة ترتفع بوجه خاص في جنوب الوطن الجزائري⁶ أي في صحرائه الواسعة، وقد تنخفض درجات الحرارة لكن ليس لدرجة البرد الشديد، فدرجة الحرارة لا تنخفض في المتوسط كثيرا⁷.

وفي فصل الصيف تسقط الشمس عمودية على الجهات الواقعة بين دائرتي الإستواء والسرطان ونتيجة لذلك يكون القسم الأوسط الذي يشغل الصحراء أشد حرارة وعلى العموم نلاحظ أن النطاق الصحراوي الجاف بطبيعة الحال يتميز بالخصائص المناخية التالية:

¹ حيمي عبد الحفيظ، من صحراء الجزائر في الكتابات الجغرافية ومدونات الرحالة المغاربة، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 3، العدد 1، يناير 2020، ص 162.

² مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

³ عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأبجاء، الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد، 1995م، ص 33.

⁴ محمد السويدي، بدو الطوارق بين التغيير والثبات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 108.

⁵ عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 34.

⁶ احمدية عميرواي، المرجع السابق، ص 12.

⁷ لعروق محمد الهادي، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، 1998، ص 14.

- الإرتفاع الشديد في درجة الحرارة صيفا مع انخفاض ملحوظ شتاء لأن مدى الحرارة ما بين النهار والليل كبير سواء صيفا أو شتاء¹، وشبه جاف ينذر معه تساقط الأمطار إلى درجة لا يتجاوز فيها بضع سنتيمترات وفي غير انتظام، فقد يحدث أن يسقط المطر عاما ثم ينقطع لسنوات لأنه نتيجة سحب إعصارية تمطر فجأة دون أن تدوم طويلا².

سقوط مطر قليل محتمل على الهوامش الشمالية والجنوبية بحيث يسقط على الهامش الشمالي شتاء وعلى الهامش الجنوبي صيفا ومن الطبيعي أن تصبح هذه الهوامش نقاط انتقال³.
الرطوبة النسبية: الرطوبة نسبة من الماء في شكل غاز وهي نافعة للنباتات وهناك غابات تعيش على الرطوبة النسبية وتوجد هذه الرطوبة في عين صالح وكذلك تمنراست ولذلك لجأ إليها السكان⁴.

-الرياح :

تهب على الصحراء رياح مختلفة في فصول متباينة :

-الرياح الساخنة الرطبة : تهب في كل فصول السنة على ارتفاعات مختلفة هي تتراوح بين 6

و12 كلم في فصل الصيف والصفر والعشر كيلومترات في فصل الشتاء واتجاهها من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي فيفصل الشتاء ومن الجنوب الشرقي نحو الشمال⁵ الغربي في فصل الصيف ورياح ساكنة تتراوح سرعتها بين 1 و3 كلم/ سا وساخنة لأنها قادمة من المنطقة الاستوائية ورطبة كعلوها وتظهر رطوبتها بوضوح عند تلامس سطح الأرض وتحمل هذه الرياح في فصل الصيف السحب العالية المتقطعة البيضاء التي تشبه خصائل الشعر وفي فصل الشتاء سحب السمحاق الطباقية العالية⁶.

¹ احمدواوي عمراوي، المرجع السابق، ص12.

² ابراهيم مياسي، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر العاصمة، 1987-1986، ص13.

³ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص15 .

⁴ عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص38.

⁵ عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص68.

⁶ H.Cuny , les déserts dans le monde, payot, paris,1961, p 174.

-الرياح المعتدلة الرطبة : وهي الرياح الموسمية التي تهب من خليج غانا على ارتفاعات تتراوح بين 0 و 2000 متر في فصل الصيف متجهة نحو الشمال الشرقي في بعض الأحيان والشمال الغربي أحيانا أخرى ومُشبعة ببخار الماء لأنها قادمة من المحيط الأطلسي وهي التي تُسبب سقوط الأمطار في فصل الصيف على منطقة الهقار والهوامش الجنوبية للصحراء¹.

-الرياح الساخنة الجافة : وهي رياح تهب على ارتفاع 1000 متر من الشمال الشرقي في فصل الصيف بالخصوص، وهي رياح محملة بالأتربة تسبب اضرار كبيرة لمنطقة افريقيا الغربية وتصل رياح الهرمطان حتى المحيط الأطلسي الذي تتلوث مياهه الساحلية بما تلقيه فيها هذه الرياح من رواسب هوائية أتت بها الصحراء الكبرى².

-الرياح الباردة الجافة : وهي الرياح الإليزية والتجارية التي تغزو شمال وشرق الصحراء من شهر أكتوبر الى شهر ماي وتهب نحو خط الاستواء على علو يتراوح بين الصفر و1000متر هي رياح شديدة السرعة³.

-الأمطار:

حددت الصحراء في الشمال وفقا لخط تساوي الأمطار (isolyete) ب100 ملم وفي الجنوب ب 150ملم، وفي الصحراء الشمالية سجل 140 ملم في بسكرة، و 43 ملم في ورقلة، وفي الشمال الغربي للصحراء سجل 67 ملم في بشار، 15 ملم في أدرار وفي الصحراء الوسطى سجل 44 ملم في تمنراست، 20 ملم في جانت، 17 ملم في عين صالح .وبصفة عامة وتعد التساقطات جد ضعيفة في هذه المنطقة كما انها غير معتدلة⁴.

-الحرارة :

تقدم لنا في الإقليم الشمالي إن الفوارق الحرارية اليومية تزداد كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب وتبلغ أقصاها في الصحراء التي تشتد فيها الحرارة ابتداءا من طلوع الشمس وتصل في

¹ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص15 .

² احميداي عمراوي، المرجع السابق، ص12.

³ عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص ص68- 69 .

⁴ المركز الوطني للدراسات، المرجع السابق، ص ص 23-24 .

وسط النهار الصيفي الى 50 ° مئوية وبعد الغروب يجل محل الحرارة القيص البرد الزمهرير¹، وتنخفض درجة الحرارة الى ما دون الصفر في ليالي الشتاء حتى تتجمد المياه، التي منها تنشأ الرمال وتتراوح الفوارق الحرارية اليومية بين 11 ° و 18 ° في الصيف وقد سجلت مراصيد ورقلة 17 ° وعين صالح 17.7 ° من الفوارق الحرارية اليومية وكذلك الفوارق الحرارية الشهرية مرتفعة ففي عين صالح يبلغ المتوسط الحراري لشهر يناير 12.2 °، وشهر اغسطس 32 ° وفي توقرت 10 ° لشهر يناير و 34.7 ° لشهر اغسطس، وبذلك تكون الفوارق الحرارية الشهرية بمدينة عين صالح 19.8 ° ولمدينة توقرت 24 °².

-الغطاء النباتي:

يتمتد الإقليم الصحراوي إلى الجنوب من سلسلة الأطلس الصحراوي يحده شمالا إقليم الإستبس، أما جنوبا فيتجاوز حدود الصحراء الجزائرية، وبحكم موقعه بعيدا من الأمطار يكون فقيرا في الحياة النباتية التي تتميز:

-أثما سريعة الظهور والإختفاء نتيجة للأمطار التي تصلها من بعيد وهي أمطار فجائية غير منتظمة، تدوم وقتا قصيرا فتؤثر بذلك على النباتات التي تظل بدورها مختفية تحت التربة عدة سنوات الى ان تنزل عليها أقل كمية مطرية فتتنمو بشكل غريب وتدوم حياتها أيا ما معدودة، ثم تظهر مرة أخرى اذا ما نزلت الأمطار وعاودتها الرطوبة³.

-إن أغصانها غالبا ما تكون مجردة من الأوراق وجذورها قصيرة ودقيقة، وكثيرا ما كانت مسلحة بالأشواك لتدرا عن نفسها هجومات الحيوانات وتقلل من عملية التبخر في هذا الإقليم الذي تشدد فيه الحرارة وعملية التبخر⁴.

- عروقها كثيرة ومتشعبة حيث انها ممتدة في اتجاهات مختلفة الى اعماق بعيدة حتى تصل الى الماء، وأغنى المناطق الصحراوية نباتا هي بطون الأودية لأن طبقة اختزان المياه لها غير بعيدة عن

¹ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 15 .

² عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 39 .

³ يوسف حليس، الموسوعة النباتية لمنطقة سوف (النباتات الصحراوية الشاسعة في منطقة العرق الشرقي الكبير)، ومراجعة وتقديم الدكتور السنوسي محمد مراد، الوليد، الوادي، 2007، ص 64.

⁴ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 21 .

سطح الأرض، وبذلك يسهل على النباتات المعتمدة على المياه الباطنية ان ترسل شبكة عروقها الى امتصاص حاجياتها من الماء بسهولة¹.

- يصبح عشب السهوب نادراً انطلاقاً من الشمال، وتتغير أنواعه لإفساح المجال أمام صحراء الرق، أمّا العرق فلا يغطي إلا خمس الصحراء حيث يقع العرق الشرقي الكبير على حدود وادي ريغ، وهي سلسلة من الواحات الممتدة على طول وادٍ تحت الأرض².

يحد وادي الساورة من الغرب العرق الغربي الكبير. وبين هاتين المجموعتين العظيمتين يوجد وادي ميزاب المنحوت في هضبة³.

هذه الصحراء الشمالية، المليئة بالواحات، تناقض تلك الموجودة في الجنوب، والتي تهيمن عليها سلسلة جبال الهقار على ارتفاع يزيد عن ثلاثة آلاف متر تربط الحمادات الرتيبة الشاسعة مثل هضبة تاديمات بين المنيعه وعين صالح المناطق الجغرافية الكبيرة للصحراء⁴.

د-الأودية في الجنوب الجزائري:

الأودية هي مصدر خيرات الصحراء وبركتها وحياتها، نجد في أول الأمر تلك الأودية في جهة الشرق تنحدر من جبال الأوراس، فتتكون حولها الحياة او يزدهر بها الإقليم وهي:

-وادي العرب ووادي البيض، وادي عبيد ووادي القنطرة، وادي بسكرة فهذه الأودية التي تضيع من سوء الحظ في شط ملغيغ، هي التي تكون ذلك العمران العظيم في الزيبان ما بين خنقة سيدي ناجي شرقا وطولقة غربا، ثم إننا نجد بعد ذلك تلك الأودية الأخرى التي تخترق الصحراء وأهمها⁵:

¹ إسماعيل العربي، نفسه، ص22.

² يوسف حليس، المرجع السابق، ص67.

³ Jean-Pierre Durand; Habib Tengour , L'Algérie et ses populations, Bruxelles : Editions Complexe, 1982, p2021 .

⁴ " الصحراء الجزائرية تسبح فوق بحر من المياه العذبة"، www.aljazeera.net، مؤرشف من الأصل في 12 يونيو 2020، اطلع عليه بتاريخ 2022-07-22 على الساعة 15:32.

⁵ أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية ويليها جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 66 .

-وادي اريغ وهو ينحدر من هضبة الصحراء نحو شط ملغيغ فتتكون حوله واحات تقرت وتماسين ثم جامعة وغيرها وهناك وادي ايغارغار الذي هو أصل وادي ريغ، الذي يأتي بالماء من هضبة الهقار، بالإضافة إلى وادي سوف الذي تكونت حوله مجموعة مباركة من أبداع وأجمل واحات القطر الجزائري¹ أهمها الواد وقمار ، كوينين وهي اكبر مراكز العلم والعروبة بهذا القطر الى جانب واحات الزيبان، أما آخر هذه الأودية وادي الجدي ينبع جنوب مدينة آفلو من جبال عمور ويسير نحو الزيبان وهو مصدر حياه الأغواط واولاد جلال وكان يحمل اسم واد مزي².

وهناك قسم ثاني من الأودية الصحراوية هي المنحدرة من جبال الهقار وتظهر في شكل شبكة منحدره في كل الاتجاهات، من أهمها وادي تمنراست الذي ينبع بالقرب من مدينة تمنراست، عاصمة الهقار ووادي تافاست الذي يربط بين قلب الهقار وجمهورية النيجر ووادي جارات الذي يصرف السفوح الشمالية الغربية لجبال افطيس بهضبة الهقار ويلفظ ما يجمعه من مياه في سبخة المخترقين وتتميز اودية الهقار بفيضاناتها في فصل الصيف³.

¹ انظر الملحق رقم 02.

² عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص88.

³ نفسه، ص71.

المبحث الثاني

الأهمية التاريخية للجنوب الجزائري عبر العصور:

1- ما قبل التاريخ:

تشير مختلف الاكتشافات والأبحاث التي أجريت في المنطقة خلال القرنين الماضيين أنها كانت مأهولة في عصور ما قبل التاريخ بما يزيد على المائتين الف عام وتشهد على ذلك الأدوات المختلفة الأنواع والأحجام ورؤوس السهام المكتشفة في أرجاء المنطقة والتي ترجع إلى مختلف العصور فقد تم اكتشاف مواقع من أحجار الصوان ثنائية الوجهين ترجع إلى أكثر من مئة ألف سنة في "عرق توارق" قرب "قارة كريمة"¹ كما تم اكتشاف مجموعة كبيرة من الأدوات تعود إلى العصر الحجري الأخير والعصر الحجري الحديث في كل من حوض الحمراية، حاسي مويلح، حاسي لمخادم وبرج ملالة، ومنقش والآبار القديمة وبامنديل وحاسي الحجر وأولاد جلال.²

وخلال الألفية الثانية قبل الميلاد كانت قبائل بربرية تسمى الجيتول تجوب منطقة الصحراء المنخفضة وهي قبائل بدوية تعتمد على الرعي وتنتقل حتى الشمال بحثا عن المراعي وقد أطلق عليهم من المؤرخون العرب "البتير" وهم أمازيغ الصحراء البدو وتعتبر زناته إحدى أهم القبائل البترية التي سكنت المنطقة في هذه الفترة.³

وبعد قضاء الرومان على الدولة القرطاجية بعد معركة جاما سنة 202 ق.م بدأت الإمبراطورية الرومانية في التوسع بشمال إفريقيا على حساب الممالك البربرية وقد استطاعوا أن يتوغلوا حتى الصحراء وأقاموا العديد من المدن والحاميات على ما يسمى بخط الليمس الذي كان يشكل الجزء الشمالي من "الزيان" ولا تزال الآثار التي تعود لهذه الفترة واضحة للعيان بعدة نقاط بالمنطقة في بسكرة، جميلي، باديس، الدوسن، تهودة، ليشانة وغيرها.⁴

¹ انظر الملحق رقم 15.

² اكتشفت 84 أداة ذات الوجهين في عرق التوارق جنوب ورقلة ب 20 كم، وهي موجودة بمتحف "باردو" بالجزائر العاصمة و يرجع عمرها ما بين 100.0 إلى 200.000 سنة. انظر :

Aumassip(G),Chaid-saoudiv(Y), préhistoire du sahara et de ses abords,Maisonneuve Ed,Paris, 2004, p94.

³ مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، الدار البيضاء، 2004، ص 29 .

⁴ غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث منطقة بسكرة و النجوم الأوراسية، منشورات جمعية التاريخ والتراث الأثري بباتنة، ب ت ن، ص 13.

أما عن وصولهم إلى واد ريغ وورقلة فغير مؤكد رغم بعض الإشارات المادية والتاريخية التي تشير لشيء من هذا القبيل كقطع النقود الرومانية التي عثر عليها¹، أما سوف فقد تركوا بعض الآثار مثل "بئر الرومان" جنوب الوادي².

والجدير بالذكر أن أصحاب المنطقة الأصليين أثبتوا أنهم أصحاب شخصية قوية وأمة مستقلة وبقوا محافظين على هويتهم ولم يندمجوا في حضارات غيرهم³.

وبالنسبة لإقليم توات فترجع بنا الشواهد والبقايا الأثرية التي تم اكتشافها إلى العصر الحجري القديم، إذ تؤكد هذه البقايا الأثرية تواجد حضارة الإنسان الحجرية متمثلة في الصناعات الحجرية البدائية والتي أطلق عليها حضارة الحصى المهيأة⁴، وقد عثر على بقايا أدوات من هذه الصناعة في ناحية رقان وأولف متمثلة في مكاشط ومحكات وقطع حجرية أخرى مهذبة⁵.

وفيما يخص إقليم توات، فقد توصل الباحثان بيار روفو Pierre Roffo وجويل أبونو Joel Abonneau عثرا على عدد كبير من الأدوات الحجرية، ورسومات صخرية في أماكن مختلفة، ولقد صادفنا أشكالا لرسومات حيوانية وهندسية لأعضاء الجسم البشري كاليد والرجل وهذا على سطح الصخور التي تواجدت على جوانب الأودية⁶.

يذكر يوسف الحاج سعيد في كتابه "تاريخ بني ميزاب" أن عدد الأدوات التي وجدها "بيار روفو" بلغت 2959 أداة، وهي تثبت بذلك أن إنسان ما قبل التاريخ قد استقر حيننا من الزمن بهذه البلاد، ويضيف قائلا: "أن هذه الصخور الكثيرة التي تفشت عليها حروف ورموز وحروف أمازيغية وأعداد، وربما كانت عقولا بين سكان البدو المتعاملين والمسجلة لمحمل معالمهم"⁷.

¹ الليمس: عبارة عن حزام من الحصون والقلاع و نقاط الحراسة وكذا مخازن التموين والطرق والجسور تمتد من الشرق للغرب بموازاة سلسلة الأطلس الصحراوي بشكل يفصل المناطق الخاضعة للرومان بالشمال عن المناطق الجنوبية للحد من الثورات .

² إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975، ص 110 .

³ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 7.

⁴ حضارة الحصى المهيأة: يرجع الباحثون الأنثروبولوجيون تاريخها إلى أكثر من مليوني سنة قبل الميلاد.

⁵ Saoudi Noredine, ALINSAN: Revue de Préhistoire et d'Anthropologie culturelle, N°1, 1983, p7.

⁶ بالحاج بن بنوح معروف، العمارة الإسلامية، ط 1، قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2007، ص ص 37-38.

⁷ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، ط 2، المطبعة العربية، غرداية، 2005، ص 3.

كما وجدت رسوم في كهوف ومغارات وجبال كجبل دار أوسير، وأبي مسعود وعبد الدايم إضافة إلى أن هناك بعض المدن قد زالت، غير أن أطلالها لازالت قائمة وهذا بين العطف وغرداية مثل أولوال، وأخيرة¹ وباب السعد القديم وغيرها².

2- العصر الإسلامي :

كانت منطقة الجنوب الجزائري بوابة رئيسية للفتوحات الإسلامية التي قادها عقبة بن نافع الذي استشهد قرب تهودة (بالزاب الشرقي) في معركة ضد جيش من البنزطيين والبربر³.

وقد مرت هذه المنطقة بمراحل متنوعة عاشت فيها بداية كجزء من ولاية المغرب الإسلامي خلال الخلافة الأموية ثم العباسية، وبعدها في ظل الدويلات الإسلامية⁴.

فقد كان جزء كبير من المنطقة كوادي ريغ ووارجلان خاضعا للدولة الرستمية (160-296 هـ/776-906م) ولعبتا دورا تجاريا كبيرا كمركز يربط خطوط التجارة بين تيهرت عاصمة الرستميين وبلاد الصحراء والسودان ، كما يذكر المؤرخون بأنهما كانتا ملجأ للرستميين بعد سقوط عاصمتهم تيهرت من قبل الفاطميين⁵.

ونجد أنّ إبراهيم بن الأغلب التميمي مؤسس الدولة الأغلبية (184-296 هـ/800-909م) كان واليا على إقليم الزاب - والذي كانت عاصمته طينة⁶ - من قبل العباسيين.

كما نجد أن الفاطميين توسعوا على حساب المنطقة لكن لم يسيطروا لم تكن مكتملة بسبب اختلافهم مذهبيا مع السكان وقسوتهم على أصحاب المذاهب الأخرى ، وبعدها أصبح كل من إقليم الزاب ووادي ريغ وورقلة ضمن رقعة الدولة الحمادية⁷.

¹ أخيرة : كانت عامرة بشرق " العطف" إلى جهة القبلىة ، و تبعد عنها بمسافة كيلومترين ، فإل سنة : 43 هـ \ 669 م كانت موجودة .

² بابا السعد القديم : بها قصر أنشأه الشيخ " بابا السعد" سنة 438 هـ \ 1046 م ، يقع في مرتفع جبلي ب 500 م غرب غرداية الحالية .

³ موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 ، الجزائر، 1981، ص23 .

⁴ بن قرية صالح و آخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ط1، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص28 .

⁵ محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت، 1987، ص55.

⁶ طينة: موقع قريب من مدينة بريكة الحالية بولاية باتنة، كانت سابقا عاصمة لإقليم الزاب الذي كان يشمل عدة مناطق كالحضنة و الزيبان .

⁷ عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الوفاء ودار الصحوة، القاهرة، 1991، ص80 .

بعد تفكك الدولة الموحدية الى ثلاث إمارات متنازعة دولة بني حفص شرقا، وبني مرين غربا، وبني زيان بالمغرب الأوسط، كانت الصحراء المنخفضة تتبع في معظم الاحيان للحفصيين، وقد شهد عام 627هـ/1230 م دخول ابي زكرياء الحفصي الى ورقلة التي اعجب بها فأعاد بناء جامعها القديم ومئذنته وهكذا بقيت المنطقة تحت اللواء الحفصي ولواسميا لأنها كانت خاضعة للسلطات المحلية ومنها امارة بني مزني (677 - 840هـ/1279 - 1402 م)، وإمارة بني جلاب بتقرت (817 - 1270 هـ / 1414 - 1854 م)، وهي من أصول مرينية وكان وادي ريغ وأجزاء من الزيبان تحت حكمهم، كما كانت ورقلة في يدي بني ابي غبول التي حكمت من القرن الثالث عشر حتى مطلع القرن السابع عشر ميلادي وهي أسرة محلية تنتمي إلى بني وقين حسب ابن خلدون¹.

واستمر حكم الحكام المحليين للمنطقة تحت لواء الحفصيين أحيانا ومستقلين عنهم أحيانا أخرى خاصة في الظروف العصيبة التي مرت بها الدولة الحفصية حتى مجيء الحكم العثماني².
أمّا منطقة توات فقد كانت لها أهمية تجارية كبيرة خصوصا بعد سقوط مملكة غانا وتراجع الطرق التجارية الصحراوية الغربية التي كانت تربط مراكش وغانا وحلول الطرق المارة بتوات محلها³.
وقد أخضع المرينيون هذه المنطقة وغزوا بعض قصورها وفرضوا عليها الكثير من الضرائب⁴، وبقي الإقليم التواتي في عصره الوسيط يتراوح بين الإستقلال أحيانا وبين غارات جحافل الأعراب والخضوع للمملكات المجاورة أحيانا أخرى حتى مطلع العصر الحديث، ومجيء العثمانيين إلى شمال إفريقيا وقيام دولة الأشراف السعديين في المغرب الأقصى وتأثيرات هاتين الدولتين على المشهد السياسي التواتي⁵.

² عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مج7، تح سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت - لبنان، -2000م، ص108.

² محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص55.

³ عبد العزيز بن عبد الله، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، ط 1، دار نشر المعرفة، المغرب، 2001، ملحق2، ص338.

⁴ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص508.

⁵ محمد باي بلعالم، التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية و حضارتها، محاضرة مطبوعة، أعمال المهرجان الثقافي الأول التعريف بمنطقة أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص45.

3- العهد العثماني :

كان الإباضيون في وادي ميزاب مستقلين عن أي حكم أو دولة ما، لكنهم اتجهوا سنة 1516 م إلى الجزائر لتوقيع معاهدة حماية و دفاع مع السلطة العثمانية، وفعلا تم التوقيع على المعاهدة التي قضت في ترك السلطة للميزابيين في تسيير شؤونهم الداخلية بوادي ميزاب والاعتراف بمذهبهم الإباضي وحماية ممتلكاتهم وتجارتهم، مقابل تقديم الولاء للدولة العثمانية بالجزائر¹.

في حين أن "حسن آغا" تمكن سنة 1541م من السيطرة على بسكرة بعد حصارها ثم توسعوا على كل منطقة الصحراء المنخفضة، والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية تركت الحكام السابقين للمنطقة في منصبهم شرط إعلان الولاء لهم، ففي ورقلة كان الحكم في يد بني أبي غابول ثم أسرة آل علاهم (1602-1849م) التي تعود أصولها إلى أسرة فاس المغربية وحكمت ورقلة حوالي قرنين ونصف، وفي منطقة ريغ كان الحكم لبني جلاب، لكن الأمور لم تكن هادئة على الدوام فكثيرا ما يرسل البايك حملات عسكرية تأديبية في حالة العصيان لأخذ الضرائب عنوة، وأحيانا يرسل السلاطين المحليين حملات إلى مناطق نفوذهم لاختضاعهم، كما كانت العلاقة بين الحكام متوترة أيضا فكثيرا ما أدى ذلك إلى نشوب الحروب².

- وصفو القول فإنّ منطقة الجنوب الجزائري تشمل مساحة جغرافية واسعة حيث تغطي

الصحراء معظم أراضيها، كما تتميز بتضاريس متنوعة كالرق، والعرق وبها كتل صخرية بركانية.

- يسود الجنوب الجزائري أودية متنوعة كواادي العرب وواادي القنطرة وواادي ريغ وواادي جدي

وغيرها، وتعتبر هذه الأودية العنصر الأساسي في الإستقرار.

- تعتبر منطقة الجنوب الجزائرية منطقة أهلة بالبشر منذ زمن بعيد رجّحه الباحثون بعصور ما

قبل التاريخ، حيث شهدت المنطقة قبل ظهور الحضارات التاريخية آثارا للمجتمعات المحلية كالرسوم

الصخرية في منطقة تاسيلي ناجر وغيرها.

- مرّ على المنطقة حضارات كان لها تأثير مباشر على الساكنة مثل الحضارة الفينيقية، والرومانية،

ثم الحضارة الإسلامية بعد الفتح الإسلامي، والحضارة العثمانية خلال القرن السادس عشر.

¹ قبالة مبارك، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة ماجستير في علم الآثار، تخصص آثار صحراوية، 2009-2010، ص55.

² Rouvillois-Brigol(M),op.cit, p23 .

الفصل الأول

مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة ميزاب

- المبحث الأول: الأوضاع العامة
- المبحث الثاني: مؤسسات الإشعاع الثقافي
- المبحث الثالث: علماء منطقة ميزاب

مقدمة الفصل

تعرفنا في الفصل التمهيدي على المميّزات الطبيعية والجغرافية للجنوب الجزائري، واستعرضنا أهميته التاريخية عبر العصور، ولا يمكننا الحديث عن الجنوب الجزائري دون أن نذكر أحد أهم مناطقه ألا وهي منطقة وادي ميزاب.

تُعد منطقة وادي ميزاب من الحواضر الصحراوية العتيقة والضاربة في القدم، حيث عرفت التواجد البشري منذ العصور الحجرية، ومرّ عليها العديد من الأجناس كالجيتول والأمازيغ، والزنوج، والعرب، كل جنس من هؤلاء ترك بصمته الحضارية منها ما تعلّق بأدوات حجرية تعود إلى العصر الحجري الحديث، وبقايا أثرية تعود إلى التاريخ القديم، وقصور رَجَح المؤرخون أنّها تعود إلى الفترة الإسلامية، وأخرى تعود إلى الفترة الحديثة خاصة قصري بريان والقرارة اللذان يعود فترة تأسيسهما إلى القرن السابع عشر ميلادي.

تقع منطقة وادي ميزاب في منطقة صحراوية قاحلة، حارة صيفا وباردة وقليلة التساقط شتاء، ورغم هذه الصعوبات البيئية والمناخية إلا أنّني لمست الجدّيّة والعزيمة والإرادة عند الميزابيين في مواجهة هاته المعوقات وتحقيق النهضة في المنطقة، فحفر الآبار وبنى السدود، وغرس النخيل، ومارس الحرف والصناعات التقليدية والتجارة، واعتنق أهلها المذهب الإباضي منذ العصور الوسطى، وكان تسيير شؤونها جماعيا من قبل مجلس العزابة، وخضت للدولة العثمانية والتزمت بدفع الضرائب ولم تتمرد اطلاقا.

ومع بداية التاريخ الحديث برزت علامات النهضة العلمية والثقافية في المنطقة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فشيّد أهل المنطقة المساجد والزوايا والمعاهد والمكتبات وفق مخطط علمي منظم ودقيق، لتصبح منطقة وادي ميزاب قبلة لطلبة العلم لاستقاء العلوم من جهة، وللعلماء لتبادل المعارف من جهة أخرى، وإحدى أهم مراكز الإشعاع الثقافي والعلمي في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني.

المبحث الأول

أوضاع منطقة ميزاب خلال العهد العثماني

01- أصل تسمية "ميزاب": اختلفت المصادر التاريخية والمعاجم اللغوية في نطق كلمة "مِيزَاب"، فقالوا: ميزاب، ميزاب، مُصْعَب، نَزَاب، وميزاب¹، والأرجح حسب عبد الرحمان بن خلدون أن أصل التسمية مُصَاب نسبة لبني مصاب من بني واسين وهم الذين سكنوا المنطقة بعد أن نزلوها².

كما أشار ابن خلدون في موضع آخر في حديثه عن القبائل الزناتية أن مصاب شعب زناتي ذو أصل بربري، حيث قال: "...بني بادين من بني عبد الوادي وبني توجين ومصاب وبني زردال في من يضاف إليهم من شعوب زناتة"³.

وسبب تحريف مصعب إلى ميزاب أن من البربر من لا يستطيع النطق بالعين محققة، وإنما ينطق بها همزة، وقد يسهلها إلى الألف ونجد ذلك جليا في بعض المخطوطات القديمة التي نقرأ فيها أمي سعيد وأمي عيسى بدلا من عمى وعمى عيسى.

كما أن تقارب مخارج الصاد والزاي والضاد وتعدد اللهجات والألسنة من جهة أخرى أدت إلى اختلاف في نطق هذه الكلمة فقالوا: مصعب ومصاب وميزاب، وعليه مع مرور الزمن أصبح يطلق على بني مصاب بني ميزاب.

والجدير بالذكر أن بني ميزاب هناك من ذكرهم "مصاب" مثلما جاء في كتابات ابن خلدون ومنها مثلا قوله: "...وأكثر سكان هذه القصور العربية في الصحراء بنويامدس هؤلاء وهم من سائر قبائل البربر مثل ورتطغير ومصاب وابن عبد الواد وبني مرين"⁴، ومن ذكرهم بني مصعب فقد جاء في طبقات المشايخ: "ما بلغنا أن أبا عبد الله كان يخرج للحلقة في أوان الربيع إلى وادي لنب

¹ معجم مصطلحات الإباضية، الجزء الثاني ص-ي، سلطنة عمان، وزارة الشؤون الدينية، 2008، ص951.

² عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، المرجع السابق، ص123.

³ نفسه، ص123.

⁴ نفسه، ص79.

مصعب لمأرب، منها أنه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ، واستصلاحها وتديير قوى أجسادهم واستصلاحها...¹.

أما مبارك المليبي فقد جاء في قوله: "ومن أفخاذ بادين مصاب بالوطن المعروف بهم المدعو اليوم ميزاب، والزاي والصاد متقاربان... وبنو عبد الوادي الذين بميزاب من بني مطهر بن يمل بن يزقن بن القاسم²"، وأما أبوراس الناصري فقد أشار إلى تواجد عناصر سكانية أخرى بمنطقة وادي ميزاب مثل قبائل لماية وأخلاق من صنهاجة وغيرهم³.

في حين يرى محمد دبوز أنّ: "الميزابيين من العرب والبربر، ففي عروقهم دماء العرب والبربر جميعا ولا حجة لما يدعيه الاستعمار ومقلدوهم من أنهم بربر خلص، فالبربر الخلص إذا أمكن وجودهم في المغرب ففي رؤوس الجبال المنقطعة التي لا تعرف دولة ولا حضارة، أما الميزابيون فمتحضرون وأبناء أكبر دولة إسلامية نشأت في الجزائر، اختلطوا فيها بالشعوب الإسلامية سيما العرب، فالدماء العربية فيهم أكثر، ومما يدل على ذلك فصاحتهم الكبيرة في العربية، وخلو لسانهم من اللكنة الموجودة في بعض أنحاء البلاد⁴.

ويضيف قائلا: "وكانت أماكن وادي ميزاب موطنًا لزناتة وكذلك مدينة الأغواط⁵ فإنها للقبيلة البربرية الأغواط من الزناتة، ويذكر الشيخ عبد الرحمان بكلي أن: "سكان ميزاب الأصليون من قبيلة بني مصعب البربرية فرع زناتة⁶".

ويؤكد الشيخ القراي ذلك قائلا: "أن معظم الميزابيين ينتمون إلى قبيلة زناتة، فهذا لا يشير إلى أنها تتواجد عائلات أو عشائر عربية، بل قد نجد هذه العائلات بشكل قوي في قرى عديدة، غير أن العنصر الغالب هو العنصر البربري الذي ينتمي إلى قبيلة زناتة¹".

¹ أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د.ت، الهامش رقم: 1، ص 83.

² مبارك بن محمد المليبي، تاريخ الجزائر في القدم والحديث، ج 2، م.و.ك، د.ت، ص 24.

³ أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج 1، تح: محمد غالم، منشورات CRASC، وهران، 2005، ص ص 114-115.

⁴ محمد علي دبوز، نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، الجزائر، 2007، ص 167.

⁵ الأغواط: قال فيها الأغواط في الرحلة: فهي بلدة كبيرة، يحيطها سور وتحصينات، وبها أربعة أبواب وأربعة مساجد، سكانها يتكلمون العربية، ولباسهم من الصوف، انظر: الحاج بن الدين الأغواط، مجموع رحلات، المصدر السابق، ص 87.

⁶ محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010، ص 44.

إضافة إلى هذا وذاك فقد تطرق محمد بن يوسف أطفيش في رسالته إلى أصل ميزاب، ومّا جاء فيها: "جرى تسمية أهل هذه القرى الخمس بل السبع بني ميزاب بضم الميم وتخصيصهم بهذا الاسم ثم ظهر لي أن ذلك تحريف وأنّ الصواب في ميزاب بميم بعدها ياء مبدلة من واو، ويضيف أصله موزاب بكسر الميم وإسكان الواو قلبت ياء لسكونها بعد كسرة وذلك لأنّه مأخوذ من وزب الماء يزب كوعد يعد أي سال وانحدر..."²، هناك من يرى أن لفظة "ميزاب" نسبة إلى جبال الزاب المعروفة، والميزاب هي كلمة بربرية زناتية يقصد بها الهضبة، وهذه الهضاب تتواجد جنوب بسكرة³.

وجاء في قول قاسم بن أحمد الشيخ في كتابه: معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر، أنّ: "الاجتمع الإباضي لم يقيم على الانتماء العرقي، فإنّه من الطبيعي أن ينصهر في بوتقة عناصر بشرية أخرى من مختلف الأجناس... فهناك عناصر عربية، أعجمية وزنجية وغيرها، نزحت إلى المنطقة واندججت في المجتمع الميزابي من أقدم العصور، وبما أن الطابع الأغلب للمجتمع هو البربرية فقد اكتسى ذلك الطابع"⁴.

وتذكر بعض الروايات الشعبية الشفوية، أن هذه المنطقة كانت تتوفر على جبال وعرة تتخللها وديان جافة وكاذبة، تعود إلى العصر الجيولوجي الرابع⁵، تنشط أثناء التساقط، وتشكل شلالات يطلق عليها العامة ميزاب⁶، أي الماء الذي يسقط من عل، أو نسبة إلى أحد هذه الوديان الذي يعرف باسم ميزاب، أو نسبة إلى فرع من فروع قبيلة نفوسة الليبية.

كما عرفت المنطقة لاحقا باسم بلاد الشبكة⁷ وهي عبارة على جبال صخرية صلبة عالية تخترقها وديان متقاطعة شكلت رسما طبيعيا يشبه الشبكة المصنوعة من الجبال، تتجه من الجنوب

¹ الحاج أيوب بن يحيى القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحيى بن بھون حاج المحمّد، ط1، العالمية للطباعة والخدمات، العطف-غرداية-، الجزائر، 2009، ص1.

² محمّد بن يوسف أطفيش، رسالة شافية في بعض التواريخ، مخطوط، معهد الدراسات الإسلامية، تحت رقم: C831، A 864 R، ص55-56.

³ بكير بن سعيد أعوش، مزاب يتكلم تاريخيا عقائديا إجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر-، 1993، ص68.

⁴ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر، ط1، جمعية التراث، غرداية-الجزائر-، 2001، ص56.

⁵ Claude Pavard, lumières du m'Zab, sned, Alger, 1974, P02.

⁶ علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1986، ص431.

⁷ مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، دار الهدى للنشر، عين مليلة-الجزائر-، 2011، ص297.

الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتنتهي بسبخة سفيون شمال شرق وارجلان، وعليه عرفت هذه المنطقة عبر تاريخها الطويل بثلاثة أسماء مختلفة: بادية بني مصعب، أرض الشبكة، ووادي ميزاب.

2. موقع منطقة ميزاب¹:

تقع منطقة وادي ميزاب فلكيا بين دائرتي عرض 32° و $33^{\circ} 20'$ شمالا، وخطي طول 2° و $4^{\circ} 50'$ شرقا². أما ما تعلق بالجانب الجغرافي فالمنطقة تقع وسط شمال الصحراء الجزائرية، على بعد حوالي 600 كم جنوبي مدينة الجزائر العاصمة، يحدّها شمالا وادي بوزبير، ومن الغرب وادي زرقون، وتحادي شرقا زلفانة والقرارة، أما جنوبا فيحدها وادي متليلي³.

3. الأوضاع السياسية في منطقة وادي ميزاب:

لقد أصبحت الجزائر إيالة عثمانية في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، وحينها كان الإباضيون في وادي ميزاب مستقلين عن أي حكم أو دولة ما تسير شؤونهم الداخلية وكان يتولاها نظام "العزابة"⁴ بمختلف تنظيماته وأجهزته الاجتماعية والدينية التابعة له⁵. حيث يذكر صاحب "حرب الثلاثمائة سنة" الواقعة التي لجأ فيها خير الدين إلى « حيلة حربية غريبة» حيث أرسل جماعة من المجاهدين الجزائريين بكل سرعة إلى ساحل البحر يقدرها المؤرخون بخمسمائة 500 رجل وما كادت الفرقة الفدائية تحل بالموقع الذي اتخذه الإسبان معسكرا لهم، والذي لم يتركوا لحراسته إلا عددا قليلا، حتى أخذوا يدمرون المعسكر ويشعلون النار في القوارب التي تصل الأسطول بالبحر، ويهددون سفن الأسطول⁶.

كان الإسبانيون يرون من كدية الصابون تطورات هذه العملية الخطيرة التي كادت أن تقضي على خط مواصلاتهم البحري، فوقعوا في المكيدة وارتدت قوات كثيرة منهم نحو البحر لمحاولة إنقاذ

¹ انظر الملحق رقم 04.

² الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، ص 16.

³ ناصر بلحاج، الماء في حواضر الصحراء، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، غرداية، 2011، ص 29.

⁴ العزابة: أتت من العزوب عن الدنيا، والزهد فيها أي أن الأفراد المكونين لها تتوفر فيهم هذه الشروط. أي البعد النسبي عن زينة الحياة الدنيا والإلتزام الكلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: بكير سعيد أكوش، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف طفيش، ص 102، وانظر الملحق رقم 09.

⁵ قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر، ط1، جمعية التراث، غرداية الجزائر، 2011، ص 31.

⁶ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965، ص 284.

السفن والقوارب. وهكذا انقسمت قواتهم نصفين، ففتح المجاهدون أبواب المدينة فجأة فانطلقوا يهاجمون الإسبان من كل جهة، فاختل نظامهم وفقدوا مواصلاتهم ثم شلت حركة قيادتهم فأصبحوا كقطعان الغنم السائمة بين أيدي المجاهدين واخترطتهم السيوف من كل جانب وانصب عليهم وابل الرصاص فمات منهم جمع كبير ووصل الباقون منهم إلى الساحل¹.

ولقد استمرت هذه التبعية في عهد " صالح ريس " سنة 1552 م، ولفترة طويلة في عهد " محمد عثمان باشا " داي الجزائر، كما أظهرتها الأحداث التاريخية في عهد الباي " محمد الكبير عثمان " باي وهران و" صالح بن مصطفى " باي قسنطينة سنة 1785 م².

كانت سنة 1629 م تاريخ الصدام المسلح بين الأتراك والكراغلة³، فالكراغلة وضعوا مخططا للاستيلاء على الحكم وطرد الأتراك، فاجتمعوا في حصن الإمبراطور، وعندما وصلت الأتراك أخبار هذا المخطط، سارعوا إلى إفشاله فألبسوا عددا من العمال الميزابيين ملابس نسائية وعندما ارتدى هؤلاء الملاحف، أخذوا معهم الأسلحة و الذخيرة على شكل متاع مستورد، وتقدموا إلى مدخل الحصن وكأنهم نساء هرين من ظلم الأتراك، وبمجرد دخول هؤلاء الرجال الحصن وهم بذلك القناع، هاجموا المتمردين وبمساعدة مجموعة كانت تتبعهم، فأخضعوهم و أحبطوا مشاريعهم⁴ وكان ذلك في 19 رمضان 1028 هـ / 12 ماي 1629 م ولقي الكثير منهم مصرعهم⁵.

لقد صنفت جماعة بني ميزاب من المجموعات السكانية " البرانية " ويحتكر أفرادها في المدن الكبرى و خاصة الجزائر وقسنطينة العمل في مطاحن الحبوب والحمامات، وتوكل لهم في العادة ذبح الحيوانات وبيع اللحوم ونقل البضائع، ويوجد منهم من يعمل في دكاكين الفحم والفواكه وفي المقاهي وغيرها. تميزت كذلك جماعة بني ميزاب بالتفاني في العمل ونزاهتها وحرصها على إتقان العمل، إلى جانب إخلاصها كما ذكرنا سابقا للحكام، فهذا كله مكنها من كسب ثقة

¹ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م-1792م)، المرجع السابق، ص 207-208.

² هو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، مطبعة البعث، الجزائر، د.ت، ص 226 .

³ ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984 ، ص 95 .

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب وتح: محمد العربي الزبيري، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص154. ينظر: عبد

الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج3 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. 128-129.

⁵ سعيدوني وبوعبدلي، المرجع السابق، ص 95 .

وتأييد السلطة بالجزائر وحصولها على مزيد من التعهدات والامتيازات في نهاية القرن الثامن عشر وكونت ثروات ضخمة (شراء الدور والمنازل والمجلات والبساتين والحمامات والمخابر) وأصبح أمين بني ميزاب محل ثقة الحكام، وخاصة بازدياد تعداد جماعته التي تجاوزت الألف شخص في مدينة الجزائر خلال السنوات الأولى للقرن التاسع عشر وازدياد ثروتها¹، والذي ساهم في ارتفاع دخله والذي قدر قبل الاحتلال ب : 450 ريال بوجو، ومع ترضيات مالية تأتيه من ميزابيين البلدية ومليانة وقسنطينة وبسكرة و وهران².

إنه وعلى الرغم من علاقات الود والتفاهم التي كانت بين جماعة بني ميزاب والسلطة الحاكمة في الجزائر، فلا بأس أن نبين حادثة كادت أن تعكر هذه العلاقات، ففي عهد حكم " حسن باشا " سنة 1792 م قام باي قسنطينة " صالح باي " وهذا بعد أن وصل إلى الأغواط بالعزم على التحرك نحو وادي ميزاب لإخضاعه بالقوة العسكرية مثل باقي المناطق، فاتصل الميزابيون مع السلطة بمدينة الجزائر ومع حاشية الداوي للحيلولة دون تحقيق هذا المشروع، كونه مخالف للمعاهدة الموثقة بين الطرفين --دار السلطان والميزابيين - وفعلا فقد وفقوا في كسب تعاطف الداوي والذي أمر " صالح باي " بالتوقف عن توجهه نحو وادي ميزاب³.

04- الأوضاع الاقتصادية في منطقة وادي ميزاب :

أ- الزراعة:

كانت الزراعة هي النشاط الرئيسي في المنطقة، حيث كانت الأشجار المثمرة تنمو في الوديان والتلال المحيطة بوادي ميزاب، وتشمل الحمضيات مثل: الليمون والبرتقال، بالإضافة إلى زراعة الزيوت النباتية مثل زيت الزيتون وزيت الأركان.

أما المزروعات الموسمية فإن منطقة ميزاب، تتميز بكون عملية زراعتها وجنيها تتم بصورة جماعية وتغرس على ضفاف الأودية، ففي الربيع يغرسون الدلاع والبطيخ وبعد أن يينع في شهري ماي وجوان، يعلن عن ذلك ويتم قطفها جماعيا، وتوزع بطريقة متميزة حيث ينال من ساهم في عملية

¹ لقد قام بعض حكام الجزائر في حل الازمات الى الاقتراض من صندوق جماعة بني ميزاب، مما جعل الكثير من المواطنين يعتقدون بأن أمين بني مزاب أكثر أغنى و ثروة من باي التيطري و قايد ساباو، ينظر :سعيدوني و بوعبدلي، المرجع نفسه، ص100.

² سعيدوني و بوعبدلي، المرجع نفسه، ص100.

³ قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، المرجع السابق، ص33.

الغرس والقطف قسمتين، ومن حضر في إحداها تعطى له قسمة واحدة، أما الذين لم يساهموا في الحالتين من العجزة والأرامل لا يهملهم أقاربهم حيث يخصصون لهم نصيبا من هذا الإنتاج¹، وفي فصل الخريف تتم نفس العملية مع زرع مادة الفول والقمح والشعير².

بالرغم من ندرة المياه في هذه المناطق التي تمتاز بالجفاف والقحط، ويقل فيها التساقط، ولكن إرادة وعبقرية إنسان المنطقة جعلته يسيطر على ما هو متوفر من الماء، ويحافظ عليه بكل ما أوتي من قوة، ويوزعه بدهاء وحكمة، وحرصوا على جمع أية قطرة مطر تنزل بأرضهم، وذلك باستغلال السيول التي تسيل نتيجة تساقط الأمطار، وجندوا لها رجالا مهمتهم السهر على مراقبة حركة السيول، عرفوا باسم "أمناء السيل"³، و شيدوا أبراجا لمراقبة فيضانات الوديان، وبنوا السدود في معظم الأماكن التي تتجمع فيها مياه المطر في وادي ميزاب، كما لم يستغنوا عن مياه الآبار التقليدية رغم مشقة حفرها واستخراج مياهها كما سدوا حاجتهم من الفواكه، وصدروا الفائض منها إلى الأسواق الخارجية، واهتموا بالزراعة المعاشية، والموسمية وتربية الحيوانات.

لم تكن في منطقة وادي ميزاب الآبار التي يطلق عليها اسم "عيون" وماؤها يتدفق على وجه الأرض، بل كانت آبار وادي ميزاب يستخرج ماؤها بالدلو والحبل بواسطة الدواب والبغال والجمال، وهي أنواع منها: آبار القصور وتكون في الشارع وفي المساجد⁴ وفي السوق وتشرف على تسييرها حلقة العزابة، وآبار الواحات وتكون في الغابات والبساتين وعددها كثير جدا⁵، ويطلق على البئر اسم (تيرست) باللهجة الميزابية، وآبار خارج الأسوار وماؤها عذب لكونها تتزود بماء المطر وما يميز هذه الآبار الأخيرة كونها غير عميقة وتجف إذا لم تسقط الأمطار⁶.

وعملية حفر هذه الآبار في منطقة وادي ميزاب شاقة جدا و تستغرق وقتا طويلا ، وقد يستغرق في بعض الحالات حفر البئر الواحدة أكثر من عشرين 20 سنة، و تستعمل في حفره

¹ الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى (القرادي)، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب، غرداية - الجزائر، 2008، ص 58.

² نفسه، ص 59 .

³ أمناء السيل: هي جماعة في وادي ميزاب مكلفة بتنظيم استغلال المياه ومنع التجاوزات والمخالفات، حيث يتوزعون على كل ساقية اثنان أو ثلاثة. انظر: ناصر بلحاج، النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة ما بين القرنين 15 و19م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 2013-2014، ص 205.

⁴ صالح بن عمر (أسماوي)، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2008، ج2، ص، 743 .

⁵ صالح بن داود بافولولو، ميزاب بلد المعجزات، 2015، ص 47.

⁶ نفسه، ص 48 .

أدوات حديدية بسيطة جدا كالفأس، والمعول والقادوم وقطع حديدية ومطرقة، والمسححة¹، وتبنى من الداخل بالحجارة، وما يلاحظ أنه إلى جانب كل بئر بمنطقة وادي ميزاب تغرس نخلة، و إذا كبرت و أثمرت تباع ثمارها و يحدد بجزء من ثمنها حبل البئر والجزء الآخر ينفق على صيانة البئر، ويذكر الباحث يوسف بن بكبير الحاج سعيد، أن عدد الآبار في وادي ميزاب قد تتجاوز أربعة آلاف 4000 بئر، عمق الكثير منها ثمانين 80 مترا².

كان يشرف على عملية السقي إما المالك، أو يؤجر عاملا يقوم بهذه المهمة، لكون الآبار التقليدية ملكية خاصة لشخصين أو أكثر، ومعظم البساتين تتوفر على آبار يستخرج ماؤها بواسطة دلو تجره البغال أو الحمير أو الجمال، وقد لاحظ هذه العملية الرحالة عبد الرحمان بن إدريس التواتي الذي مر بأرض وادي ميزاب في رحلته من توات إلى المحروسة الجزائر سنة 1233هـ /1817م حيث قال: ((إلا أن الماء عندهم لا يجري وحده بل يستخرجونه بالبغال والحمير (والإبل....))³ ويتم ذلك حسب المدة المحددة له والتقسيم المعمول به وهو الخروبة، ويقول القرادي فإن من ملك ستة خروبوات فله ربع البئر ومن ملك اثني عشرة خروبة فله نصف البئر والخروبة (تخروبت)⁴ تعادل ساعة وتنجزاً إلى أجزاء أصغر.

بالرغم من ندرة الأمطار لكن في حالة تساقطها لا تضيع منها قطرة واحدة، وذلك لكون وادي ميزاب مشيدا على مرتفعات، تخترقها وديان كلما سقط المطر نزل ماؤه المجمع من عل، وعند ذلك تعود مسؤولية هذا الماء المتدفق إلى أمناء السيل، الذين يقومون بتوزيعه على الفلاحين كل حسب حجم بستانه وحاجته للماء ووفق قوانين عرفية يسهر على تطبيقها أمناء السيل ويطبقون ما نصت عليه القوانين العرفية الصادرة عن مجلس وادي ميزاب سنة 1052هـ/1643م⁵ خاصة في مجال سرقة الماء المتمثل في تحويل ماء السيل إلى بستان المعتدي دون إذن الأمناء، كما كانت تحفر الآبار في الواحة وتبقى جافة لمدة طويلة حتى يأتي المطر وينزل ماء السيل فتمتلئ هذه الآبار،

¹ المسححة: نوع من أنواع أدوات الحفر والزراعة شكلها مصفح ولها مقبض من الخشب يعمل بها الإنسان منحني الظهر .

² الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى (القرادي)، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب، غرداية -الجزائر، 2008، ص42.

³عبد الرحمان بن إدريس (التلاني التواتي)، رحلة من توات إلى الجزائر العاصمة 1233هـ/1817م، تح:مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، نشرت ضمن ثلاث رحلات مغاربية المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص241.

⁴ ديوان حماية وترقية سهل وادي ميزاب، الآبار التقليدية بوادي ميزاب غرداية، الجزائر، 2004، ص24.

⁵ ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص205.

وتقوم بتغذية الطبقة السفلى من الأرض الحاضنة للمياه الجوفية، كما يستغل هذا الماء المجمع في هذا النوع من الآبار لمدة زمنية في السقي إلى غاية نفاذه.

وتعتبر النخلة أهم منتج زراعي اهتم به الميزابيون، ويعود بداية ظهورها في المنطقة بعد تأسيس قصر العطف في القرن الحادي عشر الميلادي، وقد جلبت الفسائل إلى هذه المنطقة من وارجلان و وادي ريغ¹، وغرست في سهول الوادي وما لبث أن أصبحت واحات في جميع قصور بلاد الشبك، وحسب رأي الرحالة عبد الرحمن بن إدريس التنلاي فإن شجرة النخيل ناجحة جدا بوادي ميزاب².

حسب بعض المراجع فإن عدد أنواع النخيل في الجزائر أكثر من 950 نوعا³، أجودها عالميا دقلة نور، فقد حددت بعض المراجع أن عدد الأصناف الموجودة بوادي ميزاب قد وصلت في القرن التاسع عشر الميلادي حوالي أربعة وعشرين 24 نوعا من أشجار النخيل المثمرة، ومن بين هذه الأنواع نذكر: (دقلة نور، الغرس، تافزوين، بنت خبال، دقلة بيضاء، لثيمة، العجينة، العجينة، الحمراية، لولو، طرطاقة، سبعة بذراع، دقلة عمامور، أنتالت، بوغروس... وغيرها)⁴.

ب-الصناعة:

عرف منطقة وادي ميزاب الصناعة التقليدية⁵ خلال الفترة محل الدراسة، فتنوعت إلى صناعة طينية أو نسيجية وغيرها ويرجع ذلك إلى توفر المواد الأولية لهذه الصناعة وبكميات معتبرة، وكذا حرص أبناء المنطقة على سد احتياجاته اليومية من أدوات منزلية، وزراعية، وأدوات البناء، والدفاع الذاتي.

¹ فرحات بن علي الجعبري، وادي ميزاب المدينة الدولة، (د ت ط)، ص 67-68.

² محمد الصالح حوتية، رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنلاي إلى ثغر الجزائر المحروسة، في أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والإقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18 و19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي بالوادي، يومي 24-25 جانفي 2012، ص 160.

³ S.Hannachi, Inventaire varital de la palmeraie Algerienne ,Anepm Rouiba
Algerie, 1999, p198.

⁴ عبد الرحمان حاجي، ولكم في النخلة حياة يا أولي الألباب، (د د ط)، الجزائر، 2012، ص 49.

⁵ الصناعة التقليدية: هي تحويل أو إنتاج شيء ما يلي حاجة الإنسان المادية، يصنعه يدويا وبطرق بدائية دون الاستعانة بآلات صناعية متطورة وهذا النوع من الصناعة يعد من الصناعات المستدامة التي توارثت بين الأجيال عبر الزمن. انظر:

Maurice.jardon: texte berbres; traduit et annotec par.j.delheure, fichier de documentation
berbère.fort-national, Alger. 1970. p. 72

فأنتج الجبس والجير لبناء منزله، والإقفال، الأجمة والمناجل، والسكاكين، والمعاول لاحتياجاته المنزلية والفلاحية وصنع الحلبي من التبر الذي كان يستورده من بلاد السودان الغربي والزرابي والحنابل والبرانس، والعباءات، والحائك من صوف ووبر وشعر المواشي المتوفرة في المنطقة وصنع من الفخار الأكواب والأباريق والقلل والصحون والقناديل والوزير¹، وشيد لها مصانع خاصة في مليكة والقرارة، وصنع الأحذية، والقرب والدلاء من جلود الحيوانات خاصة من جلد التيس، وعرف صناعة البارود، فاستعمله في أفراجه وضد أعدائه².

كما أبدع ونوع في استغلال شجرة النخلة، فصنع من سعفها السلال والأطباق والكساكس والمظلات، والحصائر ومن جريدها صنع الأسرة والكراسي وسقف المنازل ومن جذوعها صنع الأبواب، ومن ليفها صنع الحبال والمكانس، وحول نوى التمر إلى علف الحيوانات، ومن تمرها صنع الرب وكذلك الخل من التمر، وعصير النخيل (اللاقمي)، وعسل النخيل³.

لقد سادت الحرف التقليدية بمنطقة وادي ميزاب، والتي اعتمد أصحابها على وسائل بدائية، وتوارثها أبناء الأسرة الواحدة حتى لقبوا بها، حيث أصبحت عائلات تحمل اسم جزار، وحفاف، وبناي، وحجام... وغيرها⁴.

هذا التنظيم المحكم في مجال الحرف، وكذا الخصال الحميدة التي تحلى بها الميزاؤون جعل منهم فئة فاعلة في الشأن الإقتصادي خلال العهد العثماني، حيث يشيد شالر القنصل الأمريكي المقيم بمدينة الجزائر بخصال بني ميزاب قائلاً: "الميزاويون قوم هادئون نشيطون في التجارة ومشهورون بالأمانة والنزاهة في الأعمال"⁵.

ج-/-التجارة:

¹ صالح بوسليم، الصناعة التقليدية بمنطقة تيديكلت صناعة الفخار والجلود نموذجاً، مذكرة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2001-2002، ص34.

² الحاج محمد بن الحاج يوسف (طفيش)، الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب، مطبعة حجرية قديمة، د ت ط، ص22.

³ عبد الرزاق ابن علي، النخيل المنشأ والتوزيع الجغرافي والقيمة الغذائية، مجلة القباب، العدد 008، دار الثقافة، الوادي، 2014، ص15.

⁴ أحمد ذكار، الروابط الاجتماعية والإقتصادية بين وارجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث من 1552م إلى 1854م، إشراف: مختار حساني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر02، 2015-2016، ص191.

⁵ مذكرات وليام شالر، فنصل أمريكا في الجزائر، ترجمة: إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص111.

ذاع صيت منطقة وادي ميزاب كحاضرة تحتضن أسواقا تجارية كبرى تقام بصفة يومية، وأسبوعية وسنوية وبالمناسبة، أي كلما دخلت القوافل التجارية للمدينة تقام السوق وتسير وفق قوانين عرفية مضبوطة تحت إشراف مجلس العزابة¹.

كانت منطقة بني ميزاب تحتوي على سبعة أسواق بعدد قصورها لكن أهمها سوق غارداية وبني يزقن، والسوق عادة يكون في وسط المدينة داخل الأسوار، وتشرف عليه هيئة العزابة، يفتح السوق أبوابه يوميا بعد صلاة العصر، ما عدا يوم الجمعة، في كل من قصر غارداية وبني يزقن، أما القصور الأخرى وخاصة العطف وبونورة ومليكة فأسواقها نصف أسبوعية، وتقصد سوق غارداية القوافل القادمة من السودان الغربي، وقوافل سعيد عتبة والمخادمة من وارجلان وقوافل البدو الرحل من الشعابنة والنوايل، كما تشتهر أسواق وادي ميزاب بطريقة البيع بالمزاد العلني (الدلالة) تحت إشراف هيئة العزابة حيث تقوم بضبط الأسعار ومراقبة الدالين والمعاملات والمجازر².

إن كل ما يدخل من بضاعة إلى السوق يباع بالتجزئة، من سمن وتمر، وصوف، وحطب ولا يسمح بالبيع بالجملة إلا إذا اشترى جميع الناس حاجتهم عند ذلك يسمح ببيع ما بقي جملة لتجار التجزئة، والغرض من ذلك محاربة المضاربة والإحتكار³.

والجدير بالذكر أن البضائع التي تدخل إلى السوق، لا يتكفل صاحبها ببيعها بل يكلف من ينوبه في هذه المهمة، من أهل البلد الذين يعرفون تقاليد المنطقة، والبائع للبدو يدفع غرامة مالية قدرت بريال واحد⁴، وأسواق وادي ميزاب مزودة بعدد كبير من الحجرات مخصصة كمخازن للسلع، إما تخزن فيها البضائع الواردة إلى السوق⁵.

كما أن منطقة وادي ميزاب عرفت حركة تجارية خارجية كبيرة خارج المنطقة فقد ظلت القوافل التجارية طيلة الفترة العثمانية في غدو ورواح بين تصدير لبضائعها واستيراد لسلع الأسواق

¹ ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص 225.

² صالح بن عمر (أسمائوي)، المرجع السابق، ص 1071.

³ حمو محمد عيسى (النوري)، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، مطبعة البعث، الجزائر، ج 1، ص 133.

⁴ ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص 225.

⁵ نفسه، ص 227.

الخارجية، ولعل أهم هذه الأسواق نذكر: أسواق تونس ، سوق غدامس¹، أسواق المغرب الأقصى، أسواق إيالة ليبيا، وأسواق مصر، أسواق السودان الغربي، وسوق أغاديس² بالنيجر³، كما يتوجهون كذلك إلى سوق جني⁴.

ومن ضمن ما كان يصدر من منطقة وادي ميزاب إلى هذه الأسواق نجد: التمر الذي كان يجمع في فصل الخريف من كل سنة، بعد شرائه من الفلاحين بوارجلان ووادي ريغ، والحجيرة، ونقوسة، ويختار منه النوع الجاف القابل للتخزين والشحن خاصة من نوع تافزوين ودقلة بيضاء، ويوضع في أكياس خاصة تدعى القرارير، وتخزن في محلات خاصة بالأسواق وغيرها يملكها كبار التجار، كما تأخذ القوافل التجارية معها بعض الحيوانات لغرض بيعها في الأسواق الخارجية ومن جملتها الأحصنة والجمال⁵، وكان يقتنيها ملوك وسلاطين دول السودان الغربي لغرض استعمالها في الحرس الملكي الخاص⁶، أما الجمال فكانت تباع على أساس أنها تعبت بعد أن قطعت آلاف الكيلومترات وتجدد بآخر شابة لغرض العودة بها إلى الشمال محملة ببضائع السودان الغربي⁷.

¹ غدامس: مدينة ليبية تبعد عن طرابلس بحوالي 300 كم من الناحية الجنوبية الغربية، ويرجع تاريخها إلى العهد الفينيقي، لعبت دورا كبيرا في ربط الحواضر الصحراوية ببعضها البعض، ومع السودان الغربي. انظر: الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، 1999، ص 296.

² سوق أغاديس: تأسست هذه السوق في القرن 11 م، وهي أم سوق في بلاد النيجر. انظر: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 311.

³ الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص 131.

⁴ جني: مدينة بما سوق كبيرة تقع غرب تيمبكتو، تأسست في القرن 09 للميلاد، وأغلب سكانها تجار. انظر: محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ص 168.

⁵ M.Mauroy, Du commerce des peuples de l'Afrique Septentrionales dans l'antiquité, moyen age et les temps modernes, Paris, 1945, p103.

⁶ أ.ج هويكنز، التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية، تر: محمد فؤاد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، د ت ط، ص 161.

⁷ يحي بوعزيز، طريق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، مجلة الثقافي، العدد 59، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1980، ص 135.

المبحث الثاني:

مراكز الإشعاع الثقافي بمنطقة ميزاب

استطاعت منطقة ميزاب بفضل إرادة أعلامها وتمسك سكان قاطنيتها بالمذهب الإباضي من وضع قواعد مؤسسات ثقافية عديدة ومتنوعة، حتى أضحت من المناطق الآهلة بطلبة العلم، فحاز علماءها الدرجات العلى، ومنهم من تلقب بالقطب وللإشارة فهؤلاء ما طلبوا شهرة أو تسابقوا نحوها، بل هي من سلطت أضواءها عليهم فأخلصهم وإيمانهم وورعهم هو من صنع أفقهم العلمي، وصدق فيهم قول الإمام الشافعي (رضي الله عنه):

وأخبرني بأن العلم نور *** ونور الله لا يهدى لعاص

فمن هذه المؤسسات نذكر: المساجد، المدارس والمكتبات.

1. المساجد:

لا شك أن منطقة ميزاب كانت -كغيرها من مناطق الوطن- التي يحرص سكانها على أداء شعائرهم الدينية منها الصلاة وإبقاء أفراد مجتمعها متكاملًا متآزرًا ومن بين آليات تحقيق ذلك المسجد.

إن المساجد لها ميزة وشرف، كونها تختص بكثير من العبادات، والطاعات، والقربات فالمساجد ليست لأحد إلا الله¹، ومكانة المسجد وفضل درجاتها تدل عليه الآية الكريمة: "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّمتُ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" (40)². ولقد كان المسجد من معالم قيام أمة الإسلام في المدينة، وبفضله تطورت الجماعة ونمت واتسعت، وفي هذا فإن تاريخ مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما هو سجل لفصول حافلة من تاريخ معظم دول الإسلام الكبرى³.

¹ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، المساجد: مفهوم وفضائل وأحكام، وحقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الخريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، السعودية، د.ت، ص 10.

² قرآن كريم، سورة الحج، آية 40، رواية حفص.

³ حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص 42.

في قصور ميزاب تجدد المسجد يتموقع في مكان وسط ومرتفع بالنسبة للنسيج العمراني، وبهذا يكون المركز والذي عن طريقه تحوم حوله باقي المنشآت داخل منطقة القصر¹، وهو أول ما يتم بناؤه في المدينة لتليه باقي المباني²، وفي هذا السياق جاء على لسان الباحث العراقي "علي القرشي" ما يلي: "إن الميزابيين اختاروا أن يكون المسجد في قلب المدينة ما دام يمثل موئلهم الروحي وعقلهم الفعال"³.

من بين مساجد قصور ميزاب نذكر:

1.1. المسجد القديم ببونورة:

يعتبر المسجد من أقدم المساجد في وادي ميزاب، فهو يتزامن مع تشييد قصر بونورة القديم وهذا في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي، وهو يقع على قمة هضبية، وتبدو حولها مباني مدينة بونورة بشكل متدرج، ومن خصائصه أبعاده القصيرة بالمقارنة مع مساجد أخرى، ومرد ذلك أن القصر كان به عدد قليل من السكان -قبل اندثاره-، ويرى الباحث الأستاذ "معروف بالحاج" في ما تعلق بتاريخ تشييده بأن هناك نقش كتابي تحمله لوحة حجرية وعليها تاريخ تشييد المسجد وهو: 750هـ/1349م، وهو تاريخ يعبر في الحقيقة إلى تنفيذ الكتابة على اللوحة الحجرية، ومنه فالمسجد قد تم بناؤه في الفترة 430-458هـ/1046-1065م أي أنه يتزامن مع تأسيس مدينة بونورة⁴.

ما نضيفه على مدينة بونورة في ما تعلق بالمسجد، فهي تمتلك مسجدين، مسجد يقع في أعلى تلال بونورة الفوقاني، وآخر في مركز بونورة التحتاني⁵، وهذا في محاضرة ألقاها J.Huguet بتاريخ 09 ديسمبر 1898، في قاعة الحفلات ببلدية مدينة الجزائر، وهناك رواية تاريخية تقول أن

¹ يحيى بن عيسى بوراس، الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 14، 2012، ص 137.

² أبو اليقظان بن الحاج الشيخ أحمد، البث الإذاعي المسجدي في المجتمع المزابي، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010-2009م، ص 68.

³ نفسه، ص 67.

⁴ بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب- من خلال بعض النماذج-، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2002م، ص ص 92-93.

⁵ J. Huguet, Le Pays du Mzab (1898), Bax Editions, P.D.F. © 2011, P 18.

الشيخ "دحمان بن الحاج الحربي" الذي قدم إلى وادي ميزاب لإحياء العلم بها مع الشيخ عمي سعيد والشيخ بالحاج، قد استقر به المقام ببونورة حيث تولى المشيخة بها، وينسب له تأسيسه مسجدا في بونورة- التي كان بها مسجدا واحدا في منطقة مرتفعة من بونورة وقد عجز بعض الطاعنين في السن الذهاب إليه فاتخذوا مصلى لهم في بونورة السفلى وكان لا يسع لأكثر من أربعة أشخاص في أخفض منطقة في بونورة وهذا عكس باقي مساجد ميزاب.¹

2.1. المسجد العتيق بغرداية:

لقد بني المسجد في منتصف القرن الخامس الهجري² الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي، فهو أقدم مسجد في المدينة، وقد أنجز مباشرة بعد استقرار كل من: "إبراهيم بن يوسف"³ ويعرف باسم "بابه أوجمة" و"با عيسى اوتملوان" بالمنطقة وهذا بتاريخ 447هـ / 1053م.⁴

لقد تمت توسعة المسجد من جهة قبلته، وتحديدًا حيث يوجد مكان المحراب الثاني حاليا، هذا بعد أن امتلأ بطلبة علم الشيخ عمي سعيد وقد ضاق بهم،⁵ وهذا التوسع لا يزال معروفا وظاهرا للعيان في معمار المسجد⁶، وكانت هذه التوسعة فيما بين 889-898هـ / 1484-1492م⁷، هذا المسجد يقع في النقطة المركزية العليا للمدينة، فهو يحتل غالبا قسما كبيرا من المنطقة.⁸

ويذكر دوماس (Daumas) هذا المسجد قائلا: "يوجد بغرداية ستة مساجد منها مسجد واسع⁹ كما أن هذا المسجد كان لديه كل يوم في شهر رمضان ثمانين قرية مياه حبوس، فهذه المياه

¹ حمو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، مطبعة البعث، الجزائر، د.ت، ص 90.

² بشير بن موسى الحاج موسى، الشيخ: سعيد بن علي بن يحي الخيري الجيزي، ط2، م.ش.ع.س، غرداية، الجزائر، 2006م، ص 20.

³ إبراهيم بن يوسف "بابه أوجمة": (ت: 567هـ/1171م): أحد مشايخ غرداية، كان من واضعي النواة الأولى لغرداية بمساعدة معاصريه الشيخ أبي عيسى العلواني، والشيخ حوابن حريز، له أملاك للأجنحة العليا بواحة غرداية، فقد ساهم في إحياء الزراعة بوادي مزاب، فسمي بـ "أبي البستان"، وقد تضاربت الروايات بخصوص موطنه الأصلي واسمه وتاريخ حياته، ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضي، قسم المغرب، ج2، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1999م، ص ص 72-73.

⁴ بلحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد مزاب، المرجع السابق، ص ص 92-93.

⁵ بشير بن موسى الحاج موسى، الشيخ سعيد بن علي الحربي، المرجع السابق، ص 20.

⁶ يحي بن عيسى بوراس، الحياة الفكرية في منطقة مزاب في القرنين: 9-10هـ / 15-16م، مخطوط أجوبة الشيخين سعيد الحربي وعيسى المصعبي أنموذجا، المنهاج، العدد الثاني، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، غرداية، الجزائر، فيفري 2023م، ص 108.

⁷ بلحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد مزاب المرجع السابق، ص 93.

⁸ Ben Youcef brahim, Le Mazab parcours millenaire, edition Alpha, alger, 2010, p 67.

⁹ Daumas, Le Sahara Algérien, Paris, 1845, P 67.

توضع تحت تصرف المصلين، في وقت الصلاة مساءً، حيث أنها تستهلك في عين المكان، ودون أن تستخدم في الوضوء، وللإشارة تعتبر مساجد غرداية والقرارة من ضمن المؤسسات الدينية الغنية بالحبوس وفي مختلف الأصناف بمنطقة ميزاب¹.

فهذا بيان عن مساهمة الحبوس في تمويل المساجد بمختلف حاجياتها، وهو مظهر من مظاهر التآزر والترابط الاجتماعي في وسط الساكنة الميزابية، إيماناً منها بقدسية المساجد ومكانتها ومساهمتها في صناعة جيل الغد.

3.1. المسجد الكبير (بني يزجن):

يعتبر هذا المسجد من ضمن المساجد الهامة والكبرى في منطقة وادي ميزاب، فالمسجد يحتل موقعا استراتيجيا، فهو يتموقع في أعلى قمة هضبية، التي تتوزع عليها مباني وعمران المدينة، وقد شيد مباشرة بعد تشكل الاتحاد في ما بين القصور الخمسة وهي: (بوكياو، أقنوناي، ترشين، موركي، تافيالت) وتأسيس مدينة بني يزجن .

أرضية قاعة الصلاة مرتفعة عن أرضية الصحن والشارع، وبداخلها تصادف مجموعة هائلة من الدعامات، فتقسم بذلك مساحة القاعة الواسعة إلى مساحات صغيرة متفاوتة الأبعاد وغير متناسقة شكلا، وتوجد في قاعة الصلاة بعض المساحات الواسعة تسمى محليا " المجالس " وهي ثلاثة: فالأول يطلق عليه بالمجلس القرآني فمهمته دراسة القرآن الكريم، والثاني يسمى بمجلس الميراث كونه يدرس مادة الميراث، والثالث يقوم بالوعظ والإرشاد².

ما يلاحظ على قاعة الصلاة أن المنبر لا يوجد إلى جانب المحراب، وهذا الغياب للمنبر مرده إلى رأي في الفكر الإباضي في موضوع صلاة الجمعة، بأنها لا تصبح واجبة في ظل عدم وجود الإمام العادل³.

4.1. مسجد القرارة العتيق:

¹ Charle Amat, Le M'zab et les Mozabites, librairie algérienne et coloniale, Paris, p 156-157.

² بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية، المرجع السابق، ص ص 115-116.

³ نفسه، ص 118.

مسجد القرارة العتيق يقع على قمة هضبة وعليها تأسست المدينة، وتشرف مئذنته على كل عمران مدينة القرارة.

تأسيس المسجد تزامن مع تأسيس مدينة القرارة، وشكله يميل إلى المستطيل، وتمتد واجهته الجنوبية الغربية على مسافة تقارب 91,10 مترا، وتحتوي على مدخلين يؤديان إلى الصحن، أما الواجهة الشمالية- الغربية، فطولها يصل إلى 23,80 مترا، وبها مدخل خاص بالنساء يتجه نحو الطابق العلوي للصحن، وواجهتين أخريين شمالية شرقية وجنوبية شرقية، ومساحة المسجد الإجمالية حوالي 2168 متر مربع¹.

5.1. مسجد بريان:

إن مسجد بريان حاز على موقع استراتيجي كبقية مساجد بني ميزاب، وهذا بتموقعه هو الآخر في أعلى قمة الهضبة حيث يتدرج فوقها عمران المدينة، لكنه تعرض للهدم الكلي ومع ذلك أعيد بناؤه من جديد في فترة الخمسينات²، لقد جاء في كتاب " من الجزائر إلى ورقلة" ل ALMAND. V ووصف لمسجد بريان فقال فيه: "يتألف من مجموعة غرف منفتحة نحو فناء داخلي، هذه الغرف مظلمة مثل الأنفاق، لديها أسطح محمولة بأعمدة ضخمة من الجير، بها حصير يغطي الأرضية، وبها بعض الصور الكبيرة القادمة من مكة تبين فيها الكعبة، فالجدران مزينة ببقع أيدي المؤمنين، به باب منخفضة ... نجد درجا متعرجا يؤدي إلى القمة³.

المئذنة حمل لوحة تذكارية مكتوبة بخط رديء، تضمنت نصا كتابيا أشار إلى تاريخ بناء المئذنة الذي كان في سنة 1101هـ/1688م⁴.

في سياق التطرق إلى المساجد، فقد ذكر "إبراهيم محمد طلاي" أنه بجانب قصر مليكة في جهتها الشمالية الشرقية يوجد مسجد، وهو ما تبقى من قرية كانت هناك، فقد هدمت ديارها، غير أن المهاجمين تركوا المسجد احتراما له⁵، وذكر Daumas بأنه يوجد في مليكة ثلاثة

¹ نفسه، ص ص 133-134.

² نفسه، ص 132.

³ V. ALMAND, D'Alger à Ouargla, Adolphe Jourdan, Alger, 1890, p 52.

⁴ بلحاج معروف، المرجع السابق، ص 133.

⁵ إبراهيم محمد طلاي، المدن السبع في وادي ميزاب، جمعية التراث لبني يزقن، ب ط، غرداية، ب ت، ص 22.

مساجد، منها مسجد واحد واسع¹، وفيما تعلق بالعطف فقد جاء في كتاب " Le pays du Mzab" بأنها تمتلك مسجدين.²

لقد ساهمت الأوقاف في تمويل المساجد في وادي ميزاب، فالسكان القدامى أوقفوا للمسجد ومصالحه أوقافا من نخيلهم، وهذا إما نخلة كاملة أو عرجونا من نخلة، أو نخيل بكاملها في أوقات معينة³، إذن فالمساجد كان لديها أملاك حبوس، وقد فرض على كل فرد ميزابي عطاء للمسجد وكل حسب إمكانيته⁴، وللعلم فأعضاء مجلس العزابة هم الذين يتولون أوقاف المسجد ويقومون بتوزيعها، فللمسجد وكيل من العزابة يقوم بأموره المادية كلها.⁵

على العموم فإن مساجد ميزاب قد اعتمدت على نموذج معماري موحد، فقاعات صلاحها بها كثير من الأعمدة والدعامات، كما أخذت شكلا غير منتظم في تخطيطها، ومرد ذلك كثرة الإضافات وفي أماكن مختلفة المسجد، كما أنه لم يتم تخصيص مكانا محددًا للمآذن -وهذا شأن المساجد الإسلامية عامة- فهي أحيانا تبنى في الجهة المقابلة بجدار المحراب، كما أذن غرداية وبني يزجن.⁶

تتميز بالبساطة مع خلوها من الزخرفة والنقوش وتواضع السقوف وصوامعها ذات أشكال هرمية، كما يراعى في تشييد المساجد الأماكن المرتفعة وتكون ذات موقع استراتيجي بتمركزها في قلب المدينة⁷ فحول المسجد تتواجد السوق القديمة، والمنازل التي شيّدت على شكل دائري⁸.

¹ Daumas, Le Sahara Algerien, op.cit, p63.

² J. Huguet, Le pays du M'zab, op.cit, p 18.

³ مصطفى رياحي، الأوقاف الإباضية "دراسة حالة الأوقاف الإباضية بوادي ميزاب"-غرداية-، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، إشراف: سماتي محفوظ، 2006-2007، ص110.

⁴ Paul Solleillet, L'Afrique occidentale : Algérie, Mzab, tidikelt, editeur challamel.Ainé, Paris, 1877, p 77.

⁵ محمد علي دبو، نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، الجزائر، 2007، ص 221.

⁶ عمر بن محمد زعابة، اليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني في وادي مراب، أطروحة دكتوراه. ل.م.د في العلوم، جامعة أبي بكر، تلمسان، 2015-2016م، ص ص78-79.

⁷ أبو اليقظان بن الحاج الشيخ أحمد، البث الإذاعي المسجدي في المجتمع الميزابي، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009-2010م، ص 68.

⁸ بكير بن سعيد أعوش، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1991م، ص27.

إضافة للمسجد هناك مؤسسة ثقافية أخرى ساهمت في إرساء إشعاع علمي قوي وحرارت مظاهر الجهل والجمود، ورسمت مكانة لائقة لمنطقة وادي ميزاب بين باقي الأمم، وأعطت للمنطقة خاصة وللمسلمين عامة فئة أو طبقة نخبوية أصبحت محل إقبال عليها للاستفادة منها أو لاستشارتها في ميادين الفكر والعلم، إنها مؤسسة المدرسة.

2. المدارس:

رغبة من سكان وادي ميزاب بتنشئة أبنائهم تنشأة نخبوية فقد سارعوا إلى بناء المدارس كي تكون كفيلة بإعطاء الاستمرارية العلمية للإباضيين قدوة بأسلافهم الرستمين، وقد عرفت في ميزاب باسم المحاضر، وشهدت إقبالا كبيرا من طالبي العلم والمعرفة، وقد سخرت لها مختلف الإمكانيات المتاحة آنذاك، وعرفت مجموعة وآليات وقواعد أسهمت إلى حد كبير في استمرارية هذا المكسب العلمي المقدس.

قد شهد مجتمع منطقة وادي ميزاب خلال النصف الأول من القرن 9هـ/15م مظهرا من مظاهر الركود الفكري، وعملا بفكرة ضرورة استدراك هذا الوضع والحد منه قبل أن يصبح سنة حميدة في المجتمع الميزابي، فقد اتصلوا بإخوانهم الإباضيين في جزيرة جربة على أن ينقذوهم من هذا الحال المشؤوم، وأن يرسلوا إليهم من يستطيع إعادة سكة العلم والمعرفة إلى ميزاب، فيزيح بذلك مظاهر الجهل عن القلوب المريضة، فكان الاختبار على الشيخ "سعيد الحربي"¹ فقدم إليها ما بين سنتي 884-889هـ / 1479-1485م، فأولى اهتمامه الكبير لنشر العلم، فكان ذلك أن فتح مدرسة أضحت محل إقبال الطلبة الراغبين في الاستزادة من العلوم.²

نضيف إلى مدرسة الشيخ "عمي سعيد" نماذج من مدارس أخرى ومنها:

¹ الشيخ سعيد الحربي: هو سعيد بن علي بن يحيى بن يدر بن سليمان بن عثمان الخيزري الحربي (أبوصالح) اشتهر بـ "عمي سعيد" ولد في قرية أحيم بجزيرة جربة بتونس، وبها ترعرع وأخذ مبادئ العلم، أختير ليكون باعنا للعلم والإصلاح في ميزاب وعمره ثمانية عشر سنة، قدم إلى ميزاب سنة 854هـ / 1450م، أسس مجلسين للفتوى سنة 855هـ / 1451م يجمع مشايخ وعلماء كل قصور وادي ميزاب، إنشأه دار التلاميذ في غرداية، قام بإصلاح ذات البنين (سواء بين عشائر البلدة الواحدة، أو بين مدن وادي ميزاب)، كما جمع واستنسخ كثيرا من الكتب القيمة والنادرة وأوقفها على دار التلاميذ بغرداية، ألف العديد من القصائد والفتاوى والرسائل، يعتبر أول من ارتدى الرداء الرسمي للعزابة، عموما يعتبر ركيزة كبيرة من ركائز الإصلاح والنهضة والعلم في وادي ميزاب ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج 3، المرجع السابق، ص 376-379.

² يحيى بن عيسى بوراس، الحياة الفكرية بمنطقة ميزاب في القرنين 9-10هـ / 15-16م، مخطوط أجوبة الشيخين: سعيد الحربي وعيسى المصعبي انموذجا، مجلة المنهاج، ع 2، ج.ش.أ.ا.ظ.خ.ت، غرداية، الجزائر، 2013، ص ص 107-108.

1.2. مدرسة بلحسن:

تعتبر من ملحقات مسجد غرداية العتيق، فموقعها منه يمينا من المدخل الشمالي الغربي، وقد تم استخدام جذوع النخيل في التسقيف، وتبعا للرواية الشعبية فقد تم استخدام هذه المادة من مدينة ورقلة، وفي هذا السياق فالمدرسة قد بنيت بالتقريب ما بين القرن 5هـ و6هـ / 11م و12م ويعتقد أن التسمية باسم " مدرسة بلحسن" تعود إلى شخصية من العلماء وبمرور الوقت أصبحت في ذاكرة النسيان.¹

تمتلك المدرسة طابقا أرضيا والدخول إليه يكون عبر مدخل عرضه 1 متر، وارتفاعه 1,80 متر، وهو الواقع عند تفرع طريق المدخل الشمالي الغربي للمسجد العتيق، ويتكون من جدار -هو الفاصل بين المدخل والمساحة المركزية للطابق الأرضي -يتمثل دوره في عزل الطلبة عن مريدي المسجد المصلين.

إن الطابق الأرضي يتألف من فضاء مركزي، وفضاءات غير منتظمة الشكل، وهذه الأخيرة تطل على الفضاء المركزي عبر عارضات خشبية، وهي مركزة على عدد من الدعامات والدعامات الجدارية، ونجد دكة مبنية من الحجر وعليها يجلس الشيخ لإعطاء دروسه للطلبة.

إن هذا التقسيم للطابق السفلي إلى مساحات منعزلة والمطلّة على الفضاء المركزي، ترتبط إلى حد ما بالنظام التربوي الذي يتبعه الميزابيون، والقائم على توزيع الطلبة تبعا لأعمارهم وتحصيلهم العلمي إلى ثلاث مجموعات، وإضافة إلى الدعامات الجدارية، تتواجد دعامتان غير منسقتي الشكل، فتقوم بحمل ثقل السقف، والمتكون من جذوع النخيل وجريدها والتربة الطينية، والطريق الوحيد للهواء يكون الفتحات الأربعة المتواجدة في الطابق الأرضي.²

هناك على جدران الطابق الأرضي مجموعة من الفتحات، تستعمل في وضع الكتب، وأخرى لوضع الأحذية وثالثة لوضع القناديل للإنارة، كما أن الطابق الأرضي مستوياته مختلفة، نتيجة طبيعة الأرض الصخرية التي أقيمت عليها المدرسة، وهناك الطابق العلوي الذي يتكون من مساحة

¹ بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية المرجع السابق، ص 135.

² معروف، العمارة الدينية الإباضية، المرجع السابق، ص 136.

مفتوحة نحو السماء، وهو محاط من الجوانب الثلاثة بثلاثة فضاءات (أروقة) ومستواها منخفض، وهذه الأخيرة تشرف على الفضاء المركزي عن طريق العارضات.¹

2.2. مدرسة الساسي:

تقع هذه المدرسة هي الأخرى في يمين الداخل إلى المسجد وفي مدخله الشمال الغربي، وهي بهذا مجاورة لمدرسة "بلحسن"، واعتمادا على تقنية بنائها فبناؤها حديث، فتعود تاريخيا إلى القرن 9هـ / 15م.

طابقها الأرضي تم الدخول إليه ندخله عبر باب يقع في الجانب الأيمن من الطريق الشمالي الغربي المتوجه نحو صحن المسجد، به جدار يقابل المدخل، فيحجب الطلبة عن المصلين القادمين إلى المسجد، يتكون من فضاء مركزي محدد بواسطة دعائم ذات أشكال وأبعاد مختلفة، هناك أربعة فضاءات محيطة بالفضاء المركزي، حيث أن كل فضاء خاص بمجموعة معينة من الطلبة لكن ما تشير إليه أن الفضاء المركزي وفضاء آخر واقع في الجهة الجنوبية الشرقية، فهو مخصص لجلسات الشيخ مع طلبته.

توجد على جدران الطابق الأرضي فتحات أحجامها وأبعادها مختلفة، وهي مخصصة إما لوضع الأثاث أو الكتب أو الأحذية، ويحتوي سقف الطابق على ثلاث فتحات شكلها مستطيل، ودورها يتمثل في إدخال الضوء والهواء، وهناك طابق علوي يتشكل من فضاء مفتوح باتجاه السماء ومحدد بواسطة دعائم، ويتواجد رواق مغطى بسقف يحيط الطابق العلوي، ونجد أيضا فضاء آخر معزول عن الفضاءات الأخرى، وهو منفتح باتجاه الفضاء المكشوف من جهة واحدة، فيلحق به بعيد تسخر هذه الفضاءات لإلقاء الدروس شتاء، وهذا للاستفادة من ضوء وحرارة الشمس، إن هذه المدرسة سمك جدرانها يصل إلى 0,70 متر، فتبدو وكأنها حصن صغير.²

¹ معروف، العمارة الدينية الإباضية، المرجع السابق، ص 137.

² نفسه، ص 139.

مدارس أخرى عرفتها منطقة وادي ميزاب منها مدرسة الشيخ داود¹ بالعطف والتي كان يتوافد عليها الطلبة من غرداية، وهؤلاء الطلبة هم الذين قاموا ببنائها²، ومدرسة أخرى أقام صرحها الشيخ "عيسى المصعبي"، وهو من النخب العلمية في منطقة وادي ميزاب خلال النصف الأول من القرن 10 هـ / 16م وهي مدرسة مليكة وقد شهدت إقبالا لعدد الطلبة من نواحي ميزاب، بل هناك الطلبة والمشايخ وقد قصدوا من خارج ميزاب أمثال الأعلام: "داود بن أيوب بن داود" و "محمد بن يوسف بن سعيد" الوارجلانيين، و "الشيخ داود بن إبراهيم الثلاثي الجربي"، و "محمد بن زكرياء الباروني القلعاوي النفوسي" و "عبد العزيز بن سعيد بن عامر النفوسي الجرحيني" وقد بلغت حركة التعليم في عهد "عيسى المصعبي" مستوى راقيا.³

نضيف إلى هذا وفي ما تعلق بالمدارس، الجهود الكبيرة في حركة التعليم التي قدمها الشيخ "أبو زكريا يحيى بن صالح الأفضل" المعروف بعلمي يحيى، وقد فتح مدرسة - ولو أنها في حقيقة الأمر كونها جزء من مسكنه - وقد تحولت فيما بعد إلى معهد وهو عبارة عن قسم للدراسات العليا، ومنه تخرجت مجموعة نخبوية كبيرة من الطلبة وهم الذين تزعموا وتحملوا لواء الحركة الإصلاحية في مناطق وادي ميزاب و وارجلان وأريغ وأصبحوا أعلاما تركوا بصماتهم واضحة في الحقل العلمي والإصلاح، ونذكر منهم ابنه موسى، والشيخ عبد العزيز الشميني، والحاج إبراهيم بن نجمان، وحمو والحاج اليسجني وأبو يعقوب يوسف بن عدون، وبابه بن محمد الغرداوي وغيرهم.⁴

وفي سياق الحديث عن المؤسسات التعليمية وتحديد المدارس في منطقة وادي ميزاب، هذا لا يمنعنا من إدراج الكتابات العامة التي أنشأها الإباضيون وقد عرفت باسم "المحاضر" أو "دار القرآن" وتمثل في دور أقامها الإباضيون لتعليم النشء وتربيتهم، وبها تعطى المبادئ الأولية لأنواع العلوم المتعارف عليها آنذاك، وهذه المحاضر أو الكتابات تكون ملاصقة للمسجد، فالأطفال

¹ داود بن يوسف بن باحمد بن أيوب المصعبي: حي في سنة 1192هـ / 1778م، والعلماء الكبار في العطف، وهو حفيد للشيخ أحمد بن أيوب وهو من سلالة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج 2، المرجع السابق، ص 301-303.

² نفسه.

³ يحي بوراس، الحركة الفكرية بمنطقة مزاب في القرنين: 9-10هـ / 15-16م، المرجع السابق، ص 108-109.

⁴ أحمد بن يوسف اطفيش، رحلة القطب، تح: وتعليق يحي بن بهون حاج احمد، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص ص 17-18.

الأوائل كانوا يتلقون تعليمهم الابتدائي في الكتابات العامة، بتلقينهم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وتلاوة القرآن، وحفظ الآيات والسور القصيرة.¹

قامت هيئة المسجد بإدخال تحسينات على هذه المحاضر المشرفة عليها، فأصبحت بذلك مدارس قائمة بذاتها، وعلى أحدث نظام، كما ظهر بتقدم الظروف تنافس الجمعيات الخاصة، لتؤدي المدارس دورها المنوط بها وخاصة بتركيزها على نشر الثقافة الدينية²، وفي هذا يقول علي دبوز: "وقد تطور التعليم في وادي ميزاب... فنشأت في كل مدينة جمعية خيرية قامت بفتح المدارس العصرية الجميلة الفسيحة الابتدائية للتربية الإسلامية والتعليم العربي العصري..."³.

لا يفوتنا في هذا المجال أن نبرر مدى مساهمة العلماء المحددين أمثال الشيخ عبد العزيز الثميني والشيخ القطب اطفيش وغيرهما، من خلال التوعية التي نشروها في وسط أهالي منطقة وادي ميزاب، في فتح مدارس خاصة للتعليم العربي الإسلامي، وهذا غرار التعليم في المحاضر، وقد جلبوا لها معلمين أكفاء، وبدأوا يخصصون أجرة للمعلم حتى يتفرغوا فعليا لمهمة التربية والتعليم، ويشتغلون في أوقات السعي والكسب، وهذه المدارس الخاصة كانت على طريقة الأسلاف⁴.

من الأسباب التي جعلت المنطقة تعرف نموذج المدارس الخاصة، هو أن وادي ميزاب يقضي متبعا للعرف المعمول به حيث أن المحاضر كانت تتعطل في الفترة الصباحية بعد طلوع الشمس وبهذا فهي لن تعرف أي نشاط تعليمي حتى وقت الظهر زوالا، هذا ما جعل الأبناء يسخرون في النشاط الفلاحي بدل الدراسة، وقد أصبح طلبة القرآن إذا حاولوا الدراسة في هذه الفترة عدوا مبتدعين ومخالفين للعرف الاجتماعي.

¹ يعقوب يحي كوني، منهاج التربية والتعليم عند الاباضية في المغرب الإسلامي -نظام العزابة-نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة اربيس-الو.م.ا، 2015-2016م، ص 59-60، بنظر كذلك: احمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 190.

² إبراهيم محمد طلاي، المدن السبع في وادي مزاب، المرجع السابق، ص 40.

³ محمد علي دبوز، نخضة الجزائر الحديثة، ج 1، المرجع السابق، ص 215.

⁴ يعقوب يحي كوني، المرجع السابق، ص 111.

إضافة إلى هذا، وهو تقطن المجتمع بميزاب - في أواسط القرن 13هـ / 19م وهذا قبل احتلال ميزاب بسنين بأن أبناءهم يبقون غير مكتفين بما درسوه في محاضر المسجد، وهذا لقصر مهمة التعليم فيها، ولقلة دورها من جوانب متعددة في تأديتها لوظيفة ومهمة التعليم¹.

إن بناء المدارس في وادي ميزاب، يرجع الفضل فيها أيضا إلى دور الأوقاف ومساهمتها الفاعلة، فمنذ سنة 1830م بدأت فرنسا في بسط سيطرتها على الأوقاف الجزائرية بطريقة مرحلية، بل ظل الميزابيون محافظين عليها، فكانت دعما لحركة التعليم والمجتمع ككل، ولقد عبر أحد الأوربيين عن دهشته من الطاعة الكبيرة التي تميز الفرد الميزابي اتجاه الهيئات الدينية الخيرية، فكتب في ذلك: "إن الميزابي مع تحكمه في أمور التجارة، وأنه لا يستطيع منح حبة قمح واحدة، إلا أنه لا يتوانى في التضحية بقسط هام من فوائده بل حتى من رأسماله من أجل ترميم مسجد أو بناء مدرسة"².

إذن فالإباضيون أعطوا اهتمامهم للوقف التعليمي في وادي ميزاب، وصنعوا له نظاما خاصا، وأسهموا في ديمومة الوقف باستمرار الإنفاق على التعليم، وقد رسم ذلك أفقا وفضاء أكسب فيه المعلم خاصة والتعليم وبكل آلياته عامة احترام المجتمع، ومن هنا فالمدارس أو المحاضر أدت دورها الكبير في نشر الثقافة، ومحو الأمية، فأصبح من النادر وجود أمي في قرى ميزاب.

إن خير ما نختم به موضوع المدارس ما جاء به محمد صالح ناصر، حيث يقول: "إن المدارس كتاريخ الحركة العلمية بوادي ميزاب لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يتجاهل الدور الرائد الذي كانت تقوم به الكتابية، أما ما يطلق عليه (المحاضر)، هذه المحاضر التي كانت في حمى المساجد تكمل رسالتها التربوية رغم ضعف الوسائل والإمكانات إذ يكفي أن ينحصر فضلها في أنها كانت تعنى عناية خاصة بتربية النشء الصاعد التربية الإسلامية..."³.

منطقة وادي ميزاب وكما سبق أن رأينا موقعها الجغرافي، فمن جهة ميزه بعد الاستراتيجي بالوقوع في وسط الصحراء بالجزائر، ومن جهة أبان لنا من خلال مظاهره التضاريسية وموقعه

¹ نفسه، ص 110-111.

² عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي: 1920-1954م، د.ط.د.خ، المحمدية، الجزائر، 2013م، ص 105.

³ محمد صالح ناصر، القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب (معهد الحياة نموذجاً)، الحياة، العدد 01، المطبعة العربية غرداية، الجزائر، 1997م، ص 72.

الفلكي والجغرافي بأن حمل في جوانب ذلك صعوبات جمة، جعلتنا بالتالي نعطي أحكاما مسبقة بأن هذا الوجه الأخير سيكون حتما له تأثيره السلبي على الحياة العلمية بمختلف مظاهرها وأوجهها، لكن حكمنا هذا سيزول بوجود مؤسسات دينية وتعليمية فرضت تحديها للواقع الطبيعي الصعب.

3. النظام التعليمي والتربوي:

إن استمرارية هذه المؤسسات التعليمية وقيامها بالمهام المنوط بها، إنما هو عائد إلى مجموعة استراتيجيات وسياسات شهدتها المنظومة التعليمية، ونراها بأنها سياسة رشيدة بحكم تحديها لظروف المنطقة المتعددة، فتحوّلت من مستهلكة إلى منتجة ثم مصدرة لحركتها العلمية، بل أن الأطراف التي أصبحت ترد إليها استنسخت منها مخططاتها العلمية لنرى إذن طبيعة الأنظمة التعليمية في منطقة وادي ميزاب.

1.3. نظام وبرنامج الدراسة:

كتب الشيخ إبراهيم القرادي¹ من خلال مرجع "معالم النهضة الإصلاحية..." عن واقع التعليم في انطلاقاته الأولى ما يلي: "كان التعليم في العطف وفي الوادي... منحصرا في المحاضر وفي دور الطلبة "إروان"² وفي المساجد، ففي المحاضر يتعلم الصغار ما تيسر من القرآن... وبعد ختم القرآن واستظهاره، يدخل الطلبة في حلقة "إروان" لتلقي دروس في العقيدة، والفقه وعلوم

¹ إبراهيم القرادي: هو إبراهيم بن يحيى الحاج أيوب ويشتهر بس "القرادي" (و: 1923/ 1989م) أحد أعلام العطف، في سن مبكرة انتقل إلى مدينة الجزائر مع خاله، فبدأ مسيرته الدراسية، ثم عاد إلى العطف بعد ثلاث سنوات مواصلا تعلمه وحفظه للقرآن الكريم، سنة 1937م التحق بمدرسة الحياة بالقرارة، ثم معهد الحياة، وأصبح ملما بعلوم الشريعة والآداب، مارس التعليم، وعضو فعال في جمعية النهضة وحلقة العزابة سنة 1961م، بعد راندا في تعليم البنات في العطف، التحق بالثورة سنة 1956م، من رواد النهضة فساعد الشيخ إبراهيم بيوض، له صلات بالشيخ البشير الإبراهيمي والأستاذ مالك ابن نبي من مؤسسي جمعية التراث، له آثار علمية مختلفة، توفي بالمدينة المنورة، ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، المرجع السابق، ص 67-69.

² إروان: لفظ بربري تطلق في مزاب على الطلبة الذين حفظوا القرآن الكريم وقد مروا بمراحل الدراسة في حلقة العزابة، وقد بقوا يشتغلون في الحقل الدراسي والتحصيل العلمي في أي فن من الفنون في مجال الدراسات الدينية الإباضية، وهي تشكل المجلس الاستشاري لأعضاء مجلس العزابة، ينظر: عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ت، ص 99، عبد الله نوح، النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 30-31.

العربية، مع دروس أخرى يلقيها الشيخ في المسجد، إما للعامّة أو للطلبة، كما كان بعض الشيوخ يفتحون دورهم لطلاب العلم إذا سمحت الظروف بذلك...¹.

إنّ البرنامج الدراسي اليومي ينطلق في الثلث أو الربع الأخير من الليل، فيستيقظ الطلبة في الوقت المحدد ويتوضؤون، بعدها يتدرسون القرآن الكريم مع الشيخ أو بمفردهم حتى آذان الفجر، حيث أن الفترة التدريسية يطلق عليها "الاستفتاح"².

يتوجه الجميع بعد ذلك إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، وبعد الصلاة يتناول أعضاء الحلقة فطورهم، ثم تنطلق دروسهم اليومية المعتاد عليها، ويجتمع التلاميذ في صفوف مختلفة، ويقوم بتفقدهم واحد منهم يدعى النقيب³، ثم عندما يكتمل عددهم يقوم النقيب باستدعاء العريف⁴، الذي يقدم إلى الصف ويبدأ في عرض دروسه، حيث يقوم الطلبة بالجلوس في صفوفهم في شكل حلقة وغير مستندين على شيء وغير مباليين بالحركة، وكلهم مشدودي الانتباه إلى الألواح المسندة إلى الأساطين، مع التأكيد على ثوابت سلوكياتهم حيث أنهم يكونون محتشمي اللباس⁵.

يقوم العريف خلال انطلاقه دروسه باختيار التلاميذ لما كانوا قد تلقونه من دروس سابقة، ثم يبلي عليهم ما كان قد استوجب عليهم حفظه في ذلك اليوم، وفي حالة تقصير التلاميذ فتكون هناك عقوبات⁶، لكن لكل حسب سنه¹، كم أنه يمنع عن كل متعلم الالتحاق بحلقة أخرى دون إذن من العريف، وهذا تجنبا لاختلال التوازن وانعدام النظام الدراسي والتعليمي².

1 قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 103.

2 بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب، المرجع السابق، ص 192.

3 النقيب: مصطلح يطلق على أحد التلاميذ الناجون من طلبة القرآن في حلقة العزابة، حيث أن العريف يختاره لمساعدته، مهمته تنحصر في جمع زملائه من التلاميذ في المكان المخصص للدراسة، ينظر: عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في افريقية في مرحلة الكتمان، د.م.ن.ت، عمان، الأردن، دون تاريخ النشر، ص 115.

4 العريف: يعتبر وكأنه ضابط المؤسسة التربوية في نظام العزابة، وله مرتبة مرموقة بعد الشيخ، وهو نوعان: عريف منفرد: أي عريف أوقات الختمات والنوم، وعريف الطعام، ثم عريف غير منفرد وهم عرفاء تحفيظ القرآن الكريم، ثم أن العريف على أوقات الدراسة فهو واحد، أو أكثر ولهذا فالعرفاء هم أربعة أصناف رئيسية وهم: عريف أوقات الختمات والنوم، وعريف الطعام، وعرفاء لتحفيظ القرآن الكريم، وعريف تنظيم أوقات الدراسة، ينظر: خواجة عبد العزيز، الضبط الاجتماعي ومعوقاته في وادي مزاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1999-2000م، ص 148-147، عمر سليمان بوعصبانة، الحياة العلمية بمنطقة أرغ...، ع 1، الطبيعة العربية، غرداية، 2007م، ص ص 147-148.

5 عوض محمد خليفات المرجع السابق، ص 72.

6 العقوبات المطبقة المقصرين في العملية التعليمية: يوضح لنا بن عمر أسماوي واقع وحالة هذه العقوبة، فيقول بأن العقوبة تحول للعريف وهذا حسب اجتهاده وتكون حسب السن والإعادة، فالمبتدئ يسمح خمس عشرات، ومن هو فوق المبتدئ وهو في بداية البلوغ أو أول مرة ثلاث

بعد ذلك يعلن العريف عن انتهاء الدروس الصباحية، فيقوم باستدعاء الطلبة إلى الختمة، فأكبر التلاميذ سنا يتولى دعاء الختام، ليقوم بعدها باقي الطلبة في ترديد التأمين بعده³، يتوجه بعدها الطلبة إلى الشيخ بطرح أسئلتهم والتي قد حضروها وفي مواضيع ومسائل علمية واجتماعية مختلفة، وكل ما تعلق بالأحداث والمستجدات في الوسط الذي يعيشون فيه، كما لهم الحق الكامل في إجابة الشيخ أو من ينبه عن أسئلتهم⁴.

وعن كيفية تنظيم الحلقة العلمية بين الطلبة والشيخ في مرحلة طرح الأسئلة، يصف لنا الشيخ الدرجيني ذلك بقوله: "... ثم إذا كانت ختمة غداة، وحضر الشيخ فإن هناك طرقا كلها حميدة، وذلك أنهم إما أن يتداولوا وضع السؤال فيبتدؤون بالسؤال يوما⁵، فمن أفضى إليه النوبة وغاب اجتهد فيه، وإما أن يسأل أفصحهم لسانا وأكثرهم بيانا، وإما أن يسأل أشدهم احتياجا للسراح في ضرورة دعت، أو لنازلة وقعت، ثم إذا ألقى السؤال فإن كان الجمع حفيلا بدأ فسأل الشيخ ثم على من يمينه فيعيده الثاني إلى الشيخ طلبا للتخفيف والاختصار، وإن كان الجمع دون احتفال بينهم سيما إن كانوا لمأثل فإنه يدير السؤال أو يجيل كل سائل على ميامنه حتى يدور السؤال إلى الشيخ فإن علم الشيخ أن في الجمع أكفى منه في تلك المسألة أذن له في الكلام فيها، وإلا تكلم بما عنده وللأسئلة أن ينبهه إذا غفل ويذكره إذا نسي، ويفتح له إن ارتج عليه، ويعترض إن احتاج إلى زيادة إيضاح ... ومن أراد القيام فلا يقوم حتى يستأذن من يليه ..."⁶، يقوم الشيخ بعد انتهائه من الرد على أسئلة الطلبة، بأداء صلاة الضحى مع من كان حاضرا معه من الطلبة، ليتوجه لاحقا إلى مقره، فأحيانا بمرافقة الطلبة، وأخرى من دونهم⁷.

عشرات، ولمن أعاد عنزة واحدة، ثم الزاوية والخلد إن كان صغيرا، والخطة والطردي إن كان كبيرا، ينظر: صالح بن عمر أسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب، الحلقة الثانية، م.ف.ج، الجزائر، 2008م، ص 795.

¹ بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب، المرجع السابق، ص 193.

² صالح أسماوي، العزابة، الحلقة 02، المرجع السابق، ص 798.

³ بشير بن عمر مرموري، الفتاة في ميزاب، ط 1، جمعية التراث، غرداية، ص 2005م، ص 87.

⁴ صالح أسماوي، العزابة ... ج 2، المرجع السابق، ص ص 792-793.

⁵ ذكر المحقق في النسخة الأصلية كلمة "يوما"، لكن الصحيح هو: ميامنه (أي من اليمين)، ينظر: أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د.ت، الهامش رقم: 1، ص 179.

⁶ نفسه، ج 1، ص ص 179-180.

⁷ عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 74.

خدمة تقدم للطلبة وهي تناول وجبة غذائية خفيفة من التمر والفواكه، لكنها بشروط تتضمن الإجابة على ثلاثة أسئلة يتولى طرحها العريف على كل واحد من الطلبة وفي أي فن كان، فإن عجز منهم أمسكه المبتدئ من يده ومنعه من الأكل، أما إذا جاء بشيء من الإجابة قبلت منه وسمح له بالحصول على وجبته، وهذا كله إنما هو في سبيل تحصيل مزيدا من العلوم¹، يدعو بعدها العريف الطلبة إلى النوم بالذهاب إلى مضاجعهم ليناموا نوم المهاجرة (القيلولة)، ويمنع لكل منهم التخلف إلا بعذر حقيقي يقبل به العريف أو الشيخ².

بعد صلاة الظهر وتناول الطلبة وجبة الغذاء، تبدأ المرحلة الدراسية المسائية لتستمر إلى غاية صلاة العصر، ثم توجه الدعوة للطلبة لتناول وجبة خفيفة مشابهة لوجبة الصباح، ثم العودة إلى المذاكرة ولوقت وجيز، ليتركوا بعدها للاستراحة³ والقيام بالأعمال الحرة إلى وقت صلاة المغرب⁴، وبعد الصلاة يقوم عريف الختمات بالمناداة إلى الختمة المسائية مشكلين حلقة على من يكبرهم سنا، فيذكرون الله تعالى ثم يقوم قارئان منهم بتلاوة ما تيسر من آيات الذكر الحكيم ومع الدعاء⁵ حتى صلاة العشاء يستغفرون ويدعون دعاء الختام، وللإشارة فحضور الطلبة هذه الختمة فهو إلزامي، فلا يسمح لأحد منهم التغيب.

عند الانتهاء من الختمة يؤدون صلاة العشاء، ثم يتناولون وجبة العشاء، ليتركوا بعدها في استراحة حرة وقصيرة ليدعوهم بعدها العريف حضور الختمة النهائية⁶، وهي غير إجبارية، فيدعون دعاء حفيفا، ومن المستحسن أن يقوم به أفصحهم، ويقرأ قليلا من القرآن والطلبة مستمعون ومتحلقون ويدعو بعد ذلك، ثم ينادى إلى النوم، وإذا ناموا وتكلم أحدهم أو تحرك فجزاؤه العقوبة، إلا إذا طالع الكتاب وهو بعيد عن النائمين⁷.

¹ الدرحيني طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1، المصدر السابق، ص 176.

² عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 75.

³ إن الاستراحة تكون عادة في المواضع التي لا ينكر التصرف فيها، منها مواضع المياه والأشجار وغيرها من الأماكن التي تبعث على الراحة النفسية، وتكون هذه الأماكن خالية من الشبهات، ويكره أن تكون أماكن الراحة في الأسواق أو الطرقات، ينظر: يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، المرجع السابق، ص 34.

⁴ بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية المرجع السابق، ص 193.

⁵ يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، المرجع السابق، ص 34.

⁶ محمد خليفات، المرجع السابق، ص 76.

⁷ أبو القاسم ابن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة في إتمام ما أحل به كتاب الطبقات، ص 210.

ترك الشيخ يصف لنا ذلك بقوله: "... فإن استداروا ذكروا الله وقرأ قارئان آيات من القرآن ثم يدور الدعاء كالعادة، ويؤمن من خلفهم، ومن تخلف فالخطة، ثم إذا صلوا العشاء وقرأوا من القرآن ما يسر الله وحن وقت النوم... نادى بالدعاء، فيدعون دعاء خفيفا ... يكون أفصحهم بيده كتاب... فيقرأ فيه قليلا... ثم يدعو وينادى بالنوم، فإذا ناموا وتكلم أحد، أو تحرك فالخطة، إلا أن يكون في مطالعة كتاب بعيدا عن النائمين فما على المحسنين من سبيل"¹.

أما طلبة الدراسات العليا المتقدمة، فينكبون على تقديم محاضرات وعقد ندوات، فهم يجتمعون من في أوقات الدرس إلى شيخ العزابة أو نائبه، فالدروس تكون في صورة حوار ومناقشات، وليس حفظا ومذاكرة، وليتركوا في بعض الأحيان للاجتماع في منتدى يخصهم، وهناك يتحاورون في مواضيع ما، لكن دون حدوث تجاوزات فيما بينهم² وما لم تفض إلى توغير الصدور، ويكون هذا دأبهم...."³.

إن مدة الدراسة في هذه المرحلة متوقفة على درجة استيعاب التلميذ وحفظه، فهناك من الطلبة من يستطيع استظهار القرآن في سن التاسعة، ومنهم من لا يتمكن من ذلك ولو كان سنه قد وصل إلى العشرين⁴، فهذا الواقع يؤدي بنا إلى ذكر فئة الطلبة العاجزين⁵ وهناك نماذج بأسماء أشخاص أظهروا عجزهم الكبير في مواصلة حفظ القرآن الكريم تطرق إليهم الدرجيني في كتاب الطبقات⁶.

كما أن الطالب لا ينتقل مرحلة تعليمية متقدمة، إلا إذا استظهر القرآن على عريفه، فهذا الاستظهار يخول الطالب فرصة الارتقاء إلى مرحلة متقدمة، تجعله ضمن ما يسمى بـ "طلبة فنون العلم والأدب" ويطلق عليهم اسم "إروان" بدار التلاميذ.

¹ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص ص 174-175، ينظر: يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، المرجع السابق، ص 34.

² عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 76.

³ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، من 179.

⁴ يعقوب يحي كوني، منهج التربية والتعليم... المرجع السابق، ص 104.

⁵ الطلبة العاجزون هم فئة من المتعلمين، أصبحوا قاصرين عن الاستمرارية في العملية التعليمية إما لأسباب ذهنية أو جسمية، ويقول عنهم الدرجيني بأنه منهم: الطرش والعميان، والزمني والهارمون، ودورا الأفهام القاصرة، ينظر: يعقوب يحي كوني نفسه، ص 108، الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 180.

⁶ الدرجيني، نفسه، ص 181.

لا يفوتنا أن نسجل بأن المحاضر تراعي الطلبة المتفوقين والأذكياء والموهوبين، فيعاملون معاملة خاصة توافقا مع قدراتهم ومواهبهم، ويسمح لهم بالتقدم كل حسب إمكانياته، وهذا حتى لا يضجروا لا يملوا، ومن ثم لا يجرموا من زيادة في المعرفة والتحصيل بسبب من هم دونهم¹، ويقول الدرجيني فيهم: "... ومن أعطاه الله قدرة على تحصيل هذا، وهذا فلا بأس في الازدياد من الخير.² فالخضرة إذن تمثل المستوى الأول من التعليم، ففيها التلميذ يقوم بحفظ ما تيسر من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، مع تلقين المتعلم العلوم العربية والشرعية³، أما حلقة "اروان" فالعلوم التي يتلقاها الطلبة هي العلوم الشرعية والعربية خاصة وتوسع وتعمق أكثر من عقيدة وفقه وحديث وتفسير وأصول فقه وميراث، ولغة عربية بصرفها ونحوها وبلاغتها⁴.

أما العطل الرسمية، فكانت يوم الجمعة من كل أسبوع، مع الملاحظة أنه في يوم الخميس يقوم الشيخ بإلقاء دروس ومواعظ، ومن الراجح هناك عطل دراسية أيام العيدين، ورأس السنة الهجرية والمولد النبوي الشريف والإسراء والمعراج، أما في شهر رمضان فيلازم العزابة المسجد ليلا ونهارا وبهذا تتعطل الدراسة اليومية⁵.

نتطرق إلى موضوع الاختبارات والامتحانات فهي أربعة أنواع اختبارات يومية ويقوم بها العريف وتكون عند بداية الدروس اليومية واختبارات للثقافة العامة وتكون عند الوجبتين الإضافيتين عند الضحى وبعد صلاة العصر، والنوع الثاني اختبارات يومية ويقوم بها شيخ العزابة عند ختمة الغداة وختمة المساء، والنوع الثالث اختبارات أسبوعية يومية الإثنين والخميس من كل أسبوع، ويقوم في العادة الشيخ أو نائبه، والنوع الرابع اختبارات سنوية وتكون في آخر السنة الهجرية، وهي التي تمكن الطالب من الارتقاء من مرحلة دراسية معينة إلى مرحلة عليا، ومجلس العزابة هو الذي يصادق على نتيجة الاختبار ويعطي تعليماته بالترقية من عدمها⁶.

¹ يعقوب يحي كوني، المرجع السابق، من 105.

² الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 178.

³ قاسم بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية، المرجع السابق، ص 106، ينظر: عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة، د.غ.ن.ت، الجزائر، 2007، ص 184.

⁴ نفسه، ص 110، ينظر: عبد العزيز شهبي، نفسه، في 185.

⁵ عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية ... المرجع السابق، ص 78.

⁶ نفسه، ص 79-80.

أما إذا اتجهنا إلى ما تعلق بالمدارس الخاصة التي شيّدت في منطقة وادي ميزاب على طريقة الأسلاف، وهي مشيدة في الغالب لتدريس العلوم وليس لحفظ القرآن الكريم، وسنفرّد في هذا السياق نموذجاً بارزاً ترك آثاره واضحة في المسرح التعليمي بالمنطقة وخارجها، ألا وهو معهد القطب "أطفيش"، وكان يستقبل طلبة "إروان"، والقطب هو الذي يتكفل بنفسه تعليمهم وتكوينهم.

إن طلبة المعاهد الخاصة يؤدّون صلاة الصبح جماعة في المسجد، ثمّ الدروس العامة للشيخ المعلم بعد الصلاة إلى طلوع الشمس، فالقطب كان يفتح عمل نهاره التعليمي بالتفسير والحديث، وعند طلوع الشمس يجد القطب تلامذته في انتظاره أمام المدرسة، وبعد تناوله لفطور خفيف في دار إحدى زوجاته، يبدأ دروسه (وكانوا طبقات مختلفة) إلى فترة بعد الزوال، وهو بهذا لا يعرف نوم الضحى¹.

لقد كان القطب يرتب طبقات التلاميذ ودروسه وفق نشاط التلاميذ، فهو يتدبّر بالدروس الصعبة في بداية حصصه، ثمّ يصل إلى الدروس المتوسطة من حيث صعوبتها مع وقت الضحى، وينتهي حصصه التعليمية بالدروس السهلة، إن عمله كان يبدأ منذ طلوع الشمس إلى غاية الظهر، فهي تأخذ من الوقت ست ساعات².

إن منهج القطب كان قائماً على كيفية استغلال الوقت مع التركيز على التلقين، وتستمر دروسه طيلة أيام الأسبوع من الضحى إلى الزوال³ إلا يوم الجمعة، حيث أنه في يوم الخميس صباحاً كان يلقي دروساً خفيفة كدرس الأخلاق⁴، ثمّ يزيد دروساً مساءً وبعد صلاة العصر، كما كان يخصص دروساً ليلاً للغرباء والنجباء والمتفوقين، ولذا فدروسه قد تصل إلى أكثر من عشرة دروس مختلفة الفنون في اليوم الواحد⁵.

¹ دبور، نفضة الجزائر ...، ج 1، ص 309.

² نفسه، ج 1، ص 367.

³ محمد بن يوسف أطفيش رحلة القطب، المصدر السابق، ص 37.

⁴ دبور، نفضة الجزائر ...، ج 1، ص 368.

⁵ محمد أطفيش، رحلة القطب، المصدر السابق، ص 37.

إن العلوم التي كان يدرسها القطب في معهده هي الفنون الشرعية والعربية، فالعلوم الشرعية تتمثل في التفسير والحديث والتوحيد والفقہ وأصول الفقہ، والعلوم العربية تتمثل في النحو والصرف والبلاغة والعروض، أما الأدب فيخصص في الأخلاق من خلال كتاب "قناطر الخيرات" لإسماعيل الجيطالي¹، فهذه من أبرز نماذج الفنون في معهده².

لقد كان الطلبة في معهد القطب يجلسون متحلقين أمام شيخهم القطب، وهذا بحضور جمهور كبير من الكبار يكتظ بهم المعهد، كما يمتلئ قسم النساء بهن، فيحضر هؤلاء كلهم الختمة، ويسمعون دعوات الشيخ القطب، ثم درس الأخلاق، كما توزع الصدقات التي يحضرها التلاميذ والكبار من العامة وغيرهم من خبز وفواكه وتمر، وأحيانا حتى الدراهم، وأخيرا تنتهي الختمة مع الضحى لينصرف بعدها الجميع³.

أما العطلة السنوية للمعهد، فكانت صيفا، في مدة ثلاثين يوما ويقضيها القطب في بربان والقرارة من كل سنة، تتوقف فيها دراسة الصغار والمتوسطين الذين لا يقوم باصطحابهم، أما الكبار فيرافقوه آخذين معهم كتبهم ليواصلوا دراسة بعض العلوم في ساعات يخصصها القطب معهم⁴.

بداية العام الدراسي لم يكن هناك شهر معين يعتبر كانطلاقة لسنته الدراسية، بل أن القطب كان يقبل التلميذ إذا توفرت فيه الشروط⁵ وفي أي شهر كان⁶.

2.3. مراحل التعليم:

¹ الجيطالي: هو اسماعيل بن موسى الجيطالي (أبو طاهر)، وهو عالم كبير، ولد بجبل نفوسة، ونشأ بمدينة جيطال، امتاز بمحافظه قوية، وحرصه الكبير على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كثر حساده فأدخل السجن بطرابلس الغرب ثم أطلق سراحه، فتوجه إلى جزيرة جربة فاحتفل بقدومه، فاجتمع حوله الطلبة في حلقات العلم، أطلق عليه "فيلسوف الإسلام" من مؤلفاته: قناطر الخيرات، كتاب الحساب وقسم الفرائض الحج والمناسك، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة 750هـ / 1349م، ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، المرجع السابق، ص ص 112-115.

² يعقوب يحي كوني، المرجع السابق، ص 113.

³ نفسه، ص ص 117-118.

⁴ دبو، نضمة الجزائر الحديثة...، ج 1، المرجع السابق، ص 368.

⁵ شروط القبول في معهد القطب هي الصلاح والاستقامة وحفظ كامل للقرآن الكريم، وقد استظهره سابق في دار التلاميذ وقد نجح في ذلك، وأن يكون كذلك حافظا لمثون الفنون التي يدرسها، ينظر: نفسه، ج1، ص 365-366.

⁶ يعقوب يحي كوني، المرجع السابق، ص 115.

من المتعارف عليه، أنه ولكل عملية تعليمية وفي أي فضاء جغرافي كان إلا ولها أطوار تعليمية تمر عليها، فمنطقة وادي ميزاب شهدت حركة تعليمية نشطة ساهمت إلى حد كبير في حصولها على مكانة مرموقة محليا وإقليميا، وبفضل هذه الاستراتيجية التعليمية فميزاب أصبح المدرسة التي يتخرج منها طلبة العلم والمعرفة، ليصبحوا في الأفق البعيد أعلام أجلاء.

من الملاحظ عليه في النظام التعليمي بمنطقة وادي ميزاب أنه عموما لم يكن هناك حد السنوات الدراسية، فمن الطلبة من يبقى وقتا قصيرا وما يلبث أن يغادر المدرسة لانشغاله بالكسب، ومنهم من يطول بقاءه إلى أن يأخذ حظا وافرا من العلوم العالية في أصول الدين وأصول الفقه والتفسير والحديث والمنطق والبلاغة وغيرها من العلوم.¹

انطلاقا من المادة العلمية التي توصلنا إليها يمكننا استخلاص المراحل التعليمية التالية:

المرحلة التحضيرية:

تخص المتعلمين الذين يتلقون دراستهم في المحاضر ويعبر عنها كذلك بالكتاتيب، ويشرف عليهم عرفاء المحاضر أو فقهاء المحاضر، وهي مرادفة لمعلم القرآن أو معلم الصبيان فيتعلم صغار الطلبة بعض السور من القرآن الكريم، كما يعلمهم أشياء من التوحيد وأصول العقيدة والفقه تبعا لدرجة استيعاب عقولهم، وهذه كلها مبادئ أولية في نظام التربية والتعليم² كما يلحق المتعلم القراءة والكتابة، وما تيسر من الأحاديث النبوية الشريفة وما يتصل بالصلاة³ وشيئا من علم الحساب.

هؤلاء المتعلمون في هذه المرحلة، هم غير مطالبين بارتداء الزي الرسمي الخاص بأهل الحلقة، ولا يعتبرون تلاميذ رسميين إلا بعد حفظ كل منهم للقرآن الكريم وعن ظهر قلب، كما يسمح لهم بالأكل والإقامة في المدرسة مثل باقي التلاميذ⁴، وهذا التعليم تشرف عليه حلقة العزابة، فعادة ما يقوم به ثلاثة من أعضائها ممن لهم حظ من العلم، حيث أنه يشترط فيهم حفظ القرآن الكريم، والعلم بالفرائض الدينية الضرورية.⁵

¹ يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب المرجع السابق، من 160.

² يعقوب يحي كوني، المرجع السابق، ص 133.

³ علي دبور، نخضة الجزائر الحديثة... ج 1، المرجع السابق، من 212.

⁴ عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص ص 69-70.

⁵ من أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 493.

المرحلة الابتدائية:

وهم طلبة القرآن الكريم، وهي بمثابة التعليم الابتدائي¹ وهذا بعد اجتياز المرحلة التحضيرية "الكتاتيب"²، فالطالب لا يتحصل على الترقية إلى مرحلة عليا إلا بعد أن التأكد من حفظه للقرآن الكريم ثم استظهاره أمام عريف القرآن، ليقوم بعدها العريف بإبلاغ حلقة العزابة بذلك، فيقوم إمام المسجد باختباره، فإذا تأكد الإمام أن التلميذ قد استظهر القرآن غيبا فإن شيخ العزابة يسمح له بالترقية إلى المرحلة الأعلى، فيقوم أهله بإعداد وليمة كبيرة بحضور مجموعة العزابة والتلاميذ.³

لقد تواصل وضع التعليم الابتدائي على هذه الصورة في القرون السالفة إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر، وقبل أن تقوم فرنسا باحتلالها لوادي ميزاب بفترة زمنية قصيرة، بدأ بعض الأفراد من المجتمع يتفطنون إلى فكرة مؤداها ضرورة تعليم أبنائهم، وتحصيلهم لهم علما أوسع، فهذا كله نتيجة لدعوات نخب علماء من أمثال الشيوخ الأفضلي والشميني والقطب اطفيش وتلاميذهم، وتأكدوا بأن تعليم أبنائهم في تلك المؤسسات - المحاضر - لوحدها هو غير كاف، فاجتهدوا بذلك لفتح مدارس للتعليم القرآني، على صورة ماهي عليه المحاضر في طريقة تدريسها وموادها، إلا قد مددت في وقتها، فكانت من طلوع الشمس إلى الزوال.⁴

مرحلة "إروان" أو "دار التلاميذ":

وهي أرقى من المرحلة السابقة، حيث أن الطلبة وبعد تخصصهم لحفظ القرآن الكريم واستظهاره عن ظهر قلب، فينفتح لهم الطريق لارتقاء إلى الدرجة الثانية في المسار التعليمي، فيصبحون ضمن هيئة "إروان" أي "دار التلاميذ".⁵

إنّ هذه الدار يشرف عليها العزابة أيضا، وتؤدي كذلك دورا تربويا، فمديرها يراقب حركة وعملية سير التلاميذ فيها (داخلها وخارجها)، فإذا اعوج أحد قومه، وإذا استمر على حالته

¹ صالح أسماوي، العزابة، ج2، المرجع السابق، ص 808.

² يعقوب يحي كوني، المرجع السابق، ص 103.

³ عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 70.

⁴ قاسم أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 493-494.

⁵ صالح أسماوي، العزابة، ج2، المرجع السابق، ص 393-394.

طرده¹، ويشترط في طلبة هذه المرحلة بعد استظهار القرآن الكريم، السيرة الحسنة، والمواظبة على الصلاة في المساجد، والتقيّد بالزي أو اللباس الرسمي للطلاب.²

طلبة هذه المرحلة، هم مقسمون إلى مجموعات تبعا لميولاتهم واستعداداتهم ورغباتهم ودرجة ذكائهم، فلا ينظر إليهم كونهم في مرحلة تعليمية متساوية، ولهذا وتوافقا والدرجة العلمية، فأقلهم يسمى أصحاب اللويحات³، بالمقابل فالطلبة الأذكياء وهم قد حصلوا على درجة كبيرة من العلوم يطلق عليهم أصحاب الكتب، ولهذا الصنف الأخير مجموعة امتيازات لا تمنح لغيرهم، وقد تناولها بالدراسة الشيخ "علي يحي معمر" عندما قال فيها: "ولهؤلاء الطلاب حقوق وامتيازات لا تعطى لغيرهم منها صالة خاصة بهم تعتبر كنادٍ لهم لا يجوز لغيرهم أن يدخلها، ومنها مكتبة خاصة أيضا، ومنها الندوات التي تعقد في صالتهم، ومنها الدروس الخاصة التي يلقيها عليهم الشيخ أو بعض العزابة، ومنها أنهم يستقبلون بعض الشخصيات ليستفيدوا منها ولا يحق لغيرهم حضورها...."⁴

يمكن أن نعتبر هذه المرحلة وكأنها تمثل معاهد تكميلية، فالعلوم التي تدرسها⁵ منها التوحيد والتفسير والحديث والفقه والفرائض والأصول والحساب والنحو والصرف والبلاغة⁶، والمنطق والميراث وأصول الفقه⁷، وللإشارة فإن هذه المرحلة والخاصة "بدار التلاميذ" أو "إروان"، فبالإضافة إلى وجود مدير حازم من العلماء يتولى تسييرها، فهناك مدرسون أكفاء ومخلصون ويعملون الله وبكل سرور وبدون أجر.⁸

مرحلة التعليم المشيخي:

¹ علي دبوب، تحفة الجزائر الحديثة ... ج 1، ص 213.

² يعقوب يحي كوني، المرجع السابق، ص 105.

³ اللويحات: هم مجموعة تلاميذ صغار السن، وقد استطاعوا استظهار القرآن الكريم دون سن البلوغ، وهم بهذا لا زالوا لم يبلغوا درجة النضج العقلي والعربي بنظر: أهماوي، العزابة، ج 2، المرجع السابق، ص ص 822-823، يعقوب يحي كوني، نفسه، ص ص 105-106.

⁴ عوض محمد خليفات، المرجع نفسه، ص 70.

⁵ يعقوب يحي كوني، المرجع السابق، ص 107.

⁶ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ/1931م، ص 118، بنظر: عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 185.

⁷ علي دبوب، تحفة الجزائر، ج 1، ص 213.

⁸ نفسه، ص 213.

لقد جاء في مرجع معالم النهضة الإصلاحية، أن التعليم المشيخي هو نفسه في الوقت الحالي كالتعليم الثانوي، والتعليم المشيخي اعتبر من العوامل التي ساهمت في ظهور حركة النهضة الإصلاحية وبكل مظاهرها.

انطلق هذا التعليم من الدور التي افتتحها العلماء الفطاحل الذين حازوا نصيبا وافرا من العلم في منطقة وادي ميزاب أو خارجه¹، فقد نمت وازدهرت حلقات العلماء فبدأوا يتكويّن الطلبة وتربيتهم خلال فترات زمنية متلاحقة من التاريخ الحديث، وفي هذا جاء فيما قال الشيخ إبراهيم بيوض: "فإن العلماء في وادي ميزاب منذ القرون الأولى لعمارتها يتخذون من دورهم مدارس يؤمها الراغبون في التفقه في دينهم، وتلقي بعض العلوم العربية من نحو ولغة وصرف...."²

إنّ مرحلة التعليم المشيخي لم تكن تلزم المتعلمين من الطلبة بسن محدود، أو بالبقاء لفترة زمنية معينة، فهناك من يتلقى العلم لمدة قصيرة لينقطع بعدها سعيًا وراء الكسب والمعيشة، وآخرون من يمكنون فيها لعدة سنوات فيحوزوا على نصيب وافر وزاخر من العلوم ليوصل بعدها طريقه العلمي باعتماده على نفسه، وهذه الفئة الأخيرة غالبا ما تكون عمدة مشايخها ومعاونين لهم في التعليم، ثم خلفاءهم من بعدهم³ في مسيرة تثقيف وتعليم الطلبة من خلال الحلقات العلمية التي انتشرت في أصقاع جغرافية وادي ميزاب.⁴

هناك هذه وجهة نظر أخرى لأحد أعلام، وهو الشيخ عبد الرحمن بكلي، فيقول فيه ونقلًا عن مرجع الحركة الإصلاحية... "جرت سيرة ميزاب أن العلماء الذين يتصدون لنشر الثقافة في عموم الأمة، تكون للبارزين منهم ديار المعلم خاصة هي مدارسهم على التحقيق، زيادة على منابر المسجد... ويقتصرون على الوعظ والإرشاد وتلقين العقيدة وفقه العبادات... أما الدروس العلمية التي تستدعي الأمة تعمقا في البحث من تفسير وحديث وأصول وعلوم العربية، فيدرسونها في دور العلم للطلبة الذين يبتغون التحصيل، ولهم استعداد لحمل الأمانة"⁵.

¹ قاسم بالحاج، المرجع السابق، ص 521.

² نفسه، ص 112.

³ نفسه، ص 512.

⁴ نفسه، ص 112.

⁵ قاسم بالحاج، المرجع السابق، ص 114.

ما يجدر بنا ذكره، أن هذه النخب العلمية التي تتولى تأدية التعليم المشيخي، لا يشترط فيهم العضوية في حلقة العزابة، أو وصاية أو متابعة عليهم من هذه الحلقة، أو من أي جهة كانت لكن غالباً ما يكون الشيخ صاحب الحلقة عضواً في حلقة العزابة، فيجمع بين دروسه في معهد لطلبته، وبين ما يلقيه من دروس في حلقة إروان وفي المسجد وهذا لعامة المجتمع.¹

3.3. موارد المدرسة:

إنّ النظام التعليمي في منطقة وادي ميزاب ما كان ليقطع أشواطاً كبيرة من النجاح رغم صعوبة المهمة - تبعا لمعطيات الصعوبة المذكورة آنفاً- لولا تضافر جهود الخبيرين من أبناء المنطقة، سواء من خلال الاستراتيجية والسياسة المحكمة التي سطرت لصالح الأجيال، في سبيل الوصول إلى فكر وعقل نُخبوي سيكون لا محالة فخراً لأمة لا طالما حلمت باسترجاع مكانتها منذ سقوط الدولة الرسمية، وهذا انطلاقاً من المبادئ التي تبنتها حلقة العزابة من جهة، أو المجهودات الكبيرة لعدد من العلماء المصلحين الذين تعهدوا وحملوا على كاهلهم إخراج المنطقة من وضعها الفكري والعلمي المتدني، والانتقال بها إلى فضاء حديد يمنح الانطلاقة الجديدة للمنطقة لتصبح على مر العهود القادمة مضرب المثال في التضحية والاجتهاد والصبر لبلوغ المراد.

هذا كله يجعلنا نقول بأن النظام التعليمي في وادي ميزاب إنما أيضاً شهد هذه القفزة غير المتوقعة -من خارج المنطقة- بفضل الموارد التي دفعت بالدور الريادي لمؤسسة المدرسة، إذن فما طبيعة هذه الموارد؟

إنّ حلقة العزابة قد استطاعت بفضل سياستها من تسيير ما تقتضيه مصالح وادي ميزاب، وهذا بفضل الموارد المالية التي تتوفر عليها، فميزانيتها خلقت مجموعة مشاريع عادت بالنفع على مجتمع وادي ميزاب، ومن هذه المشاريع التعليم الذي تخصص له ميزانية في سبيل تنميته وتطويره.

إذن فما هي موارد بيت مال العزابة لنقف عند درجة مساهمتها وعلاقتها بالمدرسة؟

إن موارد العزابة نوعان، موارد ثابتة، وموارد غير ثابتة.

¹ نفسه، ص ص 114-115.

الموارد الثابتة تتمثل في الحبوس والأوقاف الخاصة بالمسجد، ومن الواضح أنها كبيرة جدا، بدليل أنها وفّت بالتزامات وتعهدات العزابة بالحداد المسجد والطلبة¹ فهذه "دار التلاميذ" أو "إروان"، قد سخرت لها مجموعة أوقاف وأحباس لصالح طلبتها ومدرسيهم²، وفي ذات السياق كتب علي دبوز: "ولتلاميذ الكتاتيب ودار التلاميذ وقف دائم من التمر يأخذونه مرة في اليوم كغذاء يزود به التلاميذ"³ وتحسين أقسام الدراسة.⁴

نضيف للموارد الثابتة موارد الزكاة، فقد كان الإباضيون يتسابقون لأدائها دون إكراه أو إجبار⁵ ليتم صرفها بكل أمانة في الأوجه الخاصة بها، فيقوم الإباضي بتقديم قسم لعشيرته فتقوم بصرفها لذويها من التلاميذ الفقراء، وقسم للمؤسسات التعليمية، ونصيب آخر يقدم لوكيلي المسجد ليقوما بصرفه على التعليم والمحاضر واحتياجاتها وصيانتها وترميمها.⁶

أمّا الموارد غير الثابتة فهي متنوعة، فمنها ما يقوم به بعض الأثرياء الإباضيين، من خلال التكفل بنفقات التلاميذ لمدة معينة، ففي هذا أورد الشماخي من أن اثنين وثلاثين عالما وهم من شيوخ أهل الدعوة قد تحملوا نفقات الحلقة وما يحتاجه الطلبة⁷ وتوفير الأدوات المدرسية للمتعلمين والطلبة وتشجيع المعلمين وتجهيز المحاضر⁸.

إنّ هذه التبرعات صنعت تنافسا بين الأثرياء الإباضيين، فقد وردت الهدايا للطلبة وكذا المسجد من تمر وزبيب وزيت وسمن وغيرها، فكانت تخزن في أماكن التخزين في المسجد⁹، ثم هناك وصايا يتركها بعض الأثرياء، حيث يوجهون نصيبا من أموالهم (وفق شريعة الإسلام) لصالح بيت مال العزابة، فقد ذكر الدرجيني في هذا السياق مايلي: "وعن أبي يعقوب بن أبي عبد الله قال

¹ عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 82-83.

² بشير موسى الحاج موسى، الشيخ سعيد بن علي بن يحيى، الخيري الجري، ط2، م.ش.ع.س، غرداية، الجزائر، 2006م، ص 22.

³ علي دبوز، النهضة الجزائرية... ج 1، ص 156.

⁴ أسماوي، العزابة... ج 2، المرجع السابق، ص 666.

⁵ عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 83.

⁶ أسماوي، العزابة، ج 2، المرجع السابق، ص 666-667.

⁷ عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 83.

⁸ أسماوي، العزابة، ج 2، المرجع السابق، ص 667.

⁹ بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية... المرجع السابق، ص 105.

أوصى أبي بألف دينار ثم استكثرها، وأوصى بخمسمائة دينار، ثم قال يا يوسف يا بني هذه وصيتي فأنفذها"¹.

جاء في رسالة عبد القادر قوبع بخصوص الوقف وأثره على منطقة ميزاب قوله: "وتمتعت ميزاب بميزة حرمت منها باقي مناطق البلاد وهي تغذية الأوقاف، ففرنسا استولت على الأوقاف الجزائرية منذ سنة 1830م بالتدريج بينما ظل الميزابيون محافظين عليها، مما وفر دعما لحركة التعليم وللمجتمع ككل..."².

من مظاهر مساعدة المدرسة الاهتمام بأساتذتها، فمشايخ العزابة كانوا يتلقون مساعدات وهدايا من إخوانهم في المشرق -عمان أو زنجبار -، وكان سلاطين هذين البلدين يرسلون الأموال الكثيرة لوادي ميزاب كمساعدات لهم للتغلب على مشاق الحياة³، ويتطرق علي دبور إلى المساعدات كانت ترد إلى القطب "محمد اطفيش" فيقول في هذا الشأن "وكان للقطب موارد للرزق: مؤلفاته التي ينسخها ناسخوه إليه الكريم الماجد للسلطان "برغش" سلطان زنجبار، إنه يريد أن يشترك مع القطب في جهاده، فقرر له مالا يرسله إليه هدية في كل شهر."⁴

لقد استمرت دعوات الأعلام الإباضيين للمساهمة في العلم ومؤسساته في منطقة وادي ميزاب فهذا الشيخ بيوض في إحدى خطبه في بلدة غرداية سنة 1944م يقول: "إخواني الأعزاء لقد رأيتم نتائج العلم الحميدة، فهل أنتم مستعدون لخدمته بصدق وإخلاص، هل أنتم مؤيدون مشاريعه بالإنفاق في سبيلها?... لو أنفقنا عشر ما تنفقه على الشاي والقهوة... لوفرنا للعلم ومشاريعه ملايين كل سنة، ولبلغنا غايتنا منذ زمن بعيد... أنفقوا على هذه المدارس والمعاهد قبل أن تنفقوا على ضروريات المعاش، اهتموا بأرواح أبنائكم قبل أن تهتموا بأجسامهم...."⁵.

¹ الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص 39.

² عبد القادر قوبع، المرجع السابق، ص 86.

³ عوض محمد خليفات، المرجع السابق، من 85

⁴ علي دبور، نفضة الجزائر الحديثة ... ج 1، المرجع السابق، ص 385.

⁵ قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص 428.

4. المكتبات:

كانت منطقة وادي ميزاب ثرية بالمكتبات والخزانات، واحتوت على أصناف متعددة من العلوم (نقلية وعقلية) فأبانت بذلك عن حقيقة الواقع العلمي الذي صنع منها حاضرة علمية ومنها:

1.4. خزانة الشيخ سعيد بن علي الجربي (خزانة دار التلاميذ)¹:

الشهير بـ "أم سعيد" (ت: 927هـ / 1521م)، وهي خزانة شخصية، فكانت عنايته بها كبيرة من خلال جمعه للعديد من الكتب النفيسة، فأصبحت من المبادرات المبكرة في إنشاء الخزائن بمنطقة وادي ميزاب²، وبهذا فهي من أقدم الخزانات بذات المكان ومثابة مرجعا للشيخ "عمي سعيد" ولغيره³، وللإشارة يوجد في الخزانة كتب عديدة ويخط يده⁴ وعدد مخطوطات الخزانة حاليا هو: 725 مخطوط، وأقدم مخطوط في الخزانة والذي يعود تاريخ نسخه إلى سنة 697هـ/ 1297م، ويحتوي على مجموعة على من الأحاديث الأربعينية (العنوان الأول من تحته رقم: 29 في الفهرس)⁵.

تولى تأسيسها الشيخ "سعيد بن علي الجربي" عندما قدم من جزيرة جربة ليستقر في وادي ميزاب، وفي هذا الصدد قال الشيخ أبو اليقطان: "... وقد ترك الشيخ كثيرا من نفائس الكتب التي يملكها حبسًا في خزانة دار التلاميذ بغرداية بخطه في نص الوقف فكان نفعها عاما وخيرها شاملاً لجميع الأجيال العلمية المتعاقبة في غرداية..."⁶.

ما نضيفه إلى هذه الخزانة هو وجود نص تاريخي يشير إلى كتب موقوفة على دار التلاميذ بغرداية، وهي تعود إلى فترة النصف الثاني من القرن 11 هـ / 17م والنص كتبه الشيخ "أبو القاسم

¹ بشير بن موسى الحاج موسى، نافذة على مخطوطات الخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية، مجلة المنهاج، ع: 2 جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش غرداية، الجزائر، فيفري 2013م، ص 250.

² مؤسسة الشيخ عمي سعيد، فهرس مخطوطات الخزانة العامة غرداية، أكتوبر 2002م، الصفحة: ج.

³ احمد بن يوسف اطفيش، مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ احمد بن يوسف اطفيش، مكتبة القطب، بني يزجن، غرداية، جويلية 2013م، ص 60.

⁴ مؤسسة الشيخ عمي سعيد، فهرس مخطوطات الخزانة العامة غرداية، المرجع السابق، ص ص ط- ي.

⁵ كانت بداية قديمة في مسجد غرداية الكبير، في شكل قاعة واسعة مستطيلة الشكل، تصل أبعادها إلى ما يقارب: 7متر*4متر، في اعلاها نجد سقفا شيد من جذوع النخل، وتظهر الكتب في رفوف على الجدران، ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد، فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (اروان) بجامع غرداية الكبير، مقدمة الفهرس، أفريل 2009م، الصفحة: ن.

⁶ إبراهيم أبو اليقطان، ملحق لسير الشماخي، ج 1، المصدر السابق، ص 6.

بن يحيى الغرداوي¹ (ت: 1102هـ / 1690م)، وهذا ما يؤدي بنا إلى التأكيد بتنوع مصادر خزانة الكتب هاته، فتمثلت في الوقف، ثم ضم الخزانين بعض شيوخ غرداية القدامى - كما حدث مع الشيخ "عمي سعيد"-، ثم عملية النسخ بقيام مجموعة طلبة العلم وشيوخ دار التلاميذ عبر الفترات التاريخية لهذه الخزانة بنسخ الكتب ثم وقفها أيضا على الخزانة.²

إن العدد الكلي لعناوين المخطوطات في الفهرس هو: 1193 مخطوط، وأقدم مخطوطة تمثلت في نسخة من ديوان الأشياخ (ق: 5هـ/11م)، ورقمها في الفهرس: 271، وفي الخزانة: 150.³

2.4. خزانة "الحاج محمد بن سعيد المصعبي اليسجني": كان حياً في سنة 960 هـ 1552م، قال عنه الشيخ "محمد بن عبد الله بن أسد بن عبد الله الأغبري النحلي أو النحلي العماني" في قصيدة يمجدها فيها مشايخ بلاد المغرب، وختم شعرها فيها بذكر قصر بني يزجن ببلاد وادي ميزاب، فقال في ذلك:

وفي بني يزجن المحروس جانبها *** محمد بن سعيد بحر علمهم

هم الولاة الثقة الأيون، وهم *** حجج بيت الله، بارئ النسم.⁴

لقد وجدت كتب كثيرة له تم نسخها في فترة القرن 10هـ / 16م في ميزاب، وفي جزيرة جربة خلال تواجده بها للدراسة، إضافة إلى مجموعة مخطوطات أخرى من الكتب والتي نسخت له⁵، وتظهر مكانة هذه الخزانة باحتوائها على ذات أثر بالغ ومنها: مجموع يضم "شرح رائية أبي نصر"، و"تبيين أفعال العباد" ل أبي العباس أحمد ابن محمد بن بكر، فناسخه "بابين بيشة بن محمد الوارجلاني" فكتب فيه: "نسخة للشيخ المؤيد قدوة أهل زمانه أبي عبد الله، (الزائر) بيت الله الحرام، الحاج محمد بن سعيد، جعله الله في الدنيا سعيداً، وفي الآخرة شهيداً"، ثم مخطوط "منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل" "لأبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس"، فقد كتب

¹ انظر الملحق رقم 08.

² مؤسسة الشيخ عمي سعيد فهرس مخطوطات خزانة "دار التلاميذ"، المرجع السابق، الصفحات: ع-ق.

³ نفسه، الصفحة: ظ.

⁴ مصطفى بن الحاج بكر حمودة، مكتبة الشيخ أبي عبد الله الحاج محمد بن سعيد، المنهاج، ع: 1، جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، غرداية، نوفمبر 2011م، ص 206.

⁵ بشير بن موسى الحاج موسى، النافذة على مخطوطات الخزانة العامة... مجلة المنهاج، ع 2، المرجع السابق، ص 251.

الشيخ "محمد بن سعيد" على وجه الورقة الثانية: "ملك من أملاك الحاج محمد بن سعيد أسعد الله أيامه، وأعلى في الدارين مقامه"، ونفس العمل تكرر مع مخطوطي: "الكشاف عن حقائق التنزيل" و "شرح تلخيص المفتاح: المطول"¹، لقد جسد حرصه على الكتب الإباضية النفيسة تمكيناً للعالم والمتعلم من فوائده، ككتب التفسير والبلاغة والنحو والصرف وغيرها.²

3.4. خزانة الشيخ "أحمد بن موسى" والشهير بالشيخ "المیغر": ببلدة العطف (حي سنة 970هـ / 1562م) لقد جاء ذكره على لسان الشيخ أبي اليقظان فيما تعلق بخزائنه فقال: "... وقد ترك خزانة حافلة بنفيس الكتب في جميع الفنون النقلية والعقلية، وللأسف أنه أتت عليها أيدي التلاشي...."³

4.4. خزانة الشيخ عبد الله بن عيسى اليزجني المصعبي (ت 1118هـ / 1706م): لقد ترك وراءه خزانة قيمة، وفي مكتبة القطب "المحمد اطفيش" نجد بها عشرة كتب على الأقل وغالبيتها كتب مشرقية، وأقدم هذه الكتب هو نسخة من "الكشاف" والمؤرخة سنة: 711هـ / 1311م، وللإشارة واستناداً إلى بعض التقايد في كتبه فإن هذا الشيخ قام بحبس خزائنه في سبيل الله، ومن ذلك ما كتبه في بعض كتبه وبخطه ومنها: "ملك لعبد الله بن عيسى المصعبي وحبس أيدي"، كما رجع جزء من هذه الخزانة إلى الشيخ "إبراهيم بن بجمان".⁴

5.4. خزانة الشيخ الحاج داود (القرن 12هـ / 18م): امتلك خزانة كتب وقد اتجه معظمها إلى خزانة الشيخ "باب بن يونس"، ثم إلى خزانة القاضي "الحاج بابكر بن مسعود الغرداوي"⁵، ومكتبة "القطب" فيها كتابين ورد فيهما تصريح باسم هذه الخزانة.⁶

¹ مصطفى بن الحاج بكير، مكتبة الشيخ أبي عبد الله الحاج محمد....، المجلة المنهاج، ع 1، المرجع السابق، ص 206-207.

² مصطفى بن الحاج بكير، الشيخ أبو عبد الله الحاج محمد بن سعيد، محاضرة بجامعة غرداية بمناسبة تظاهرة ثقافية في قسنطينة، أبريل 2018م، ص 9.

³ أبو اليقظان، المصدر السابق، ج 1، ص 27.

⁴ مكتبة القطب، فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ العلامة "المحمد بن يوسف اطفيش" المرجع السابق، ص 70-71.

⁵ المؤسسة الشيخ علي سعيد، فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي، غرداية، الجزائر، أوت 2007، الصفحات: 65-68-70-79-82-83-86-87-88.

⁶ مكتبة القطب، فهرس مخطوطات خزانة الشيخ "المحمد بن يوسف اطفيش"، المرجع السابق، ص 61.

6.4 مكتبة عشيرة آل يدّر (بني يزجن): إن معدل عمر المكتبة هو ما يزيد عن قرنين من الزمن (أي أنها قبل العقد الثاني من القرن 12هـ / 18م)، ومن أبرز نساخ المكتبة: "أبو زيد بن محمد بن زيان" (حي سنة 841هـ / 1437م)، و "علي بن سالم بن بيان"¹ (حي سنة: 1115هـ / 1703م)، و "إبراهيم بن سليمان بن حاج إبراهيم المصعبي" (حي سنة 1142هـ / 1729م)، و "إبراهيم بن بهون" (حي سنة: 1296هـ / 1878م)، و "علي نصيب الكافي" (حي سنة: 1315هـ / 1897م)، والمكتبة حالياً تحوي على 594 عنواناً.²

7.4 خزانة الشيخ إبراهيم بن بحمان الثميني اليسجني (1232هـ/1817م): لقد ترك خزانة من الكتب وجسها على أقاربه أولاً ثم سائر الطلبة -إن زال نسلهم- ويظهر أنها قد رجعت بعد وفاته إلى حفيده "عبد الله بن محمد بن إبراهيم بحمان"، وقد ظهر ذلك فيما دونه في كتابه "فرائد القلائد" وغيره من الكتب كما توجد في مكتبة القطب حبس وتعليكات عديدة تعود إلى خزانة "إبراهيم بن بحمان"³.

8.4 مكتبة عشيرة آل فضل: إن البداية الأولى لنشأة المكتبة تعود إلى فترة أواخر القرن 12هـ/18م، وأوائل القرن 13هـ / 19م، وكان واضع هذه المؤسسة العلمية -أي المكتبة- الشيخ "موسى بن عمر بن يعقوب"⁴ الذي عاش في النصف الثاني من القرن 12هـ / 18م، وأكد -في وصية تعود له- على حبسها وأن تحفظ بمجملته ولا تفرق، وليقوم بعدها ابنه "عمر" بنقل نص الوقفية وتسجيله على الصفحة الأولى من كتاب المعلقات، وتوجد في المكتبة ما يفوق عن ثلاثين كتاباً بخط يده.

¹ علي بن سالم بن بيان (1045-1120هـ/1635-1708م): هو أحد أدباء وشعراء ونساخ جزيرة جربة، وكان مؤلفاً ومبدعاً في الخط ولا تخلو خزانة من خزائن جربة وغيرها من خط يده، درس في الجامع الأزهر وتلقى علومه كذلك من الشيخ "أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي سنة المحشي" واعتكف على جمع حواشيه، ثم جمع حواشي ثلاثة علماء على كتاب "شرح الجهالات"، ومن تاليفه: "أسئلة"، و "فتاوى"، و "رسالة قيد فيها بعض حوادث جربة" وغيرها، ينظر: أبو اليقظان، ملحق السير، ج 1، ص 34-35. مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج 3، ص ص 611-612.

² جمعية التراث، فهرس مخطوطات مكتبة آل بدّر، غرداية، الجزائر، فيفري 1994م، الصفحات: ي، ك.

³ نفسه، ص ص 80-83.

⁴ يوسف بكير الحاج سعيد، بلدة بني يرقن من خلال المجتمع المدني، مطبعة الأفاق غرداية، الجزائر، 2013م، ص 79.

تقلد الابن "عمر بن موسى" تسيير المكتبة، فسخر كل طاقاته للمحافظة عليها، بل وأضاف إليها مجموعة من كتب جديدة نسخا واقتناء لعدد منها من أماكن مختلفة، وقد أعانه في ذلك ابنه إبراهيم من خلال رحلاته وشراؤه للنسخ النفيسة لوالده.

مسيرة المكتبة ونشاطها أشرف عليه من بعده ابنه "محمد بن عمر بن موسى"، فمنحها اهتمامه فصانها وحافظ عليها، وكتب وثيقة بخط يده أبرز فيها قائمة العناوين الكتب في عهده، وجاء بعده ابنه "عمر بن محمد بن موسى" فاعتبر آخر من تعهد حفظ خزانة المخطوطات قبل انتقالها إلى دار العشيرة بعد وفاته سنة 1362هـ / 1943م.¹

9.4. خزانة بلحاج بن كاسي القراري (1718-1827م): تعتبر خزانة الشيخ "بلحاج بن كاسي" من الخزانات الهامة بمنطقة وادي ميزاب فهي أثرى مكتبة بالقرارة وأقدمها على الإطلاق، فنشأتها تقارب تاريخ نشأة البلدة، وللعلم فقد ارتادها مجموعة من العلماء والمشايخ، ومن جهة أخرى فقد وردت منها نحو مكتبة القطب العديد من الكتب ومررت كلها عن طريق الشيخ "عمر بن سليمان نوح"²، باستثناء واحد منها، ففيه خط الشيخ "بلحاج" فقط.³

10.4. خزانة الشيخ يوسف بن حمون عدون اليسجني "أبو يعقوب" (1252هـ / 1836م): كانت له خزانة وقد حبسها في سبيل الله وما يسجل عليه أن بعضاً من كتبه قد رجعت إلى الشيخ "عمر بن سليمان" وكذلك خال القطب اطفيش الشيخ "عمر بن الحاج سعيد"، مع إشارتها إلى الحبس لتؤول في الأخير إلى الشيخ القطب اطفيش من خلال وثيقة كتبها القطب بيده مع حفيد الشيخ "يوسف بن حمون" والمسمى: "محمد بن داد عدون بن الحاج يوسف" بتاريخ 1301هـ / 1883م ونص الوثيقة يقول: "أثبت لعننا محمد بن الحاج يوسف اطفيش جميع كتب جده الحاج يوسف بن حمون... ما كان خط جده المذكور، تأليفاً له أو تأليفاً لغيره مما حبس جده المذكور، أو حبس على يده أو وُجد في خزانته من كتب من قبله، أو وجد في

¹ فهرس مخطوطات خزانة آل فصل، بي يزجن، غرداية، الجزائر، فيفري 1996م، الصفحات: د.ه.

² الشيخ عمر بن سليمان نوح خلف بنتاً اسمها "عائشة" وكانت تقيّة فاضلة ولها دراية بأحكام النساء وقد تزوجها القطب "اطفيش" ووهبته خزانة الكتب التي ورثتها عن أبيها، ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج 3، ص 643.

³ مكتبة القطب، فهرس مخطوطات خزانة "محمد بن يوسف اطفيش": المرجع السابق، ص ص 85-86.

يد أحد كائناً من كان، مما أخذ من خزانته بعد موته، كل ذلك يكون في يد عمنا محمد بالحاج يوسف أطفيش...¹

11.4. خزانة الشيخ "إبراهيم بن يوسف اطفيش" (ت 1303هـ / 1886م): كان الشيخ "إبراهيم اطفيش" أحد أساتذة القطب "محمد اطفيش"، ولقد حاز مكانة علمية كبيرة في وادي ميزاب، وخلف وراءه خزانة كتب كبيرة وحبسها في سبيل الله، ففي هذا المنحى دون على كتبه وبخطه ما يلي: "ملك من أملاك إبراهيم حبس الله تعالى وأولى به ذرياته"، ويظهر أن معظم هذه الكتب قد رجعت إلى أخيه القطب "محمد اطفيش"، ومجموعة من هذه الكتب كانت في يد ابنه "محمد" وحفيده "أبي إسحاق إبراهيم"، وما يميز خزانة "إبراهيم اطفيش" أنها ثرية بكتب علوم اللغة والنحو.²

12.4. خزانة الشيخ "باب بن يونس": تعتبر ضمن مجموع الخزائن الشهيرة في قصر غرداية، ولقد وردت عشرة كتب إلى مكتبة القطب "محمد اطفيش"، ومن أبرزها كتاب "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" ورمزه في مكتبة القطب: أم - 1/10، وهو بخط مشرقى، ونجد في بطن الجلدة كتب القطب "محمد اطفيش" بخط يده ما يلي: "هاذا كتاب للشيخ باب الغرداوي"، ومن عناوين الكتب الأخرى تذكر: "شرح شواهد أدب الكاتب" برمز: ع8، و "شرح صحيح البخاري" برمز: د7، و "شرح مختصر الهروي في الصرف" برمز: ن1، وغيرها من العناوين³، وجاء في معجم أعلام الإباضية بخصوص خزانته ما يلي: "ترك مكتبة ثرية بنفيس المخطوطات لا تزال محفوظة ضمن مكتبة الشيخ "بابكر بن الحاج مسعود الغرداوي".

13.4. خزانة الشيخ "سليمان بن الشيخ عمر المليك" (ق 13هـ): لقد أشار الشيخ "محمد اطفيش القطب" خزانة الشيخ "سليمان بن الشيخ عمر"، فقال في المقدمة التي وضعها في مختصر "علم الخط": "اتصل بيدي من فضل الله تعالى النحوي للسيوطي، فأحبت شرح مافيه من علم الخط، وكان من خزانة الشيخ سليمان بن الشيخ عمر من أهل مليكشي من ذرية الكرام أولاد

¹ إن ما يجدر بنا ذكره أن هناك عدة عناوين كتب في مكتبة القطب "محمد بن يوسف اطفيش" تعود الخزانة لشيخ "يوسف بن حمون عدون" ينظر: نفسه، ص ص 73-79.

² مكتبة القطب، فهرس مخطوطات خزانة "محمد بن يوسف اطفيش"، المرجع السابق، ص 85.

³ نفسه، ص ص 61-62.

أبي عمر وابن عيسى، وهو غير الشيخ سليمان الذي طلب مني ترتيب لقطع منا "موسى بن عامر"، وما نضيفه أن هناك مجموعة عناوين كتب في مكتبة القطب وردت من خزانة الشيخ سليمان بن الشيخ عمر¹.

14.4. مكتبة عشيرة آل خالد (خزانة الشيخ محمد بن عيسى ازبار) (ت: 1206هـ / 1872): تمتلك المكتبة كتباً نفيسة وهي التي جاء بها الشيخ "محمد بن عيسى ازبار" من عمان، ومن هنا تعد أكبر مكتبة شاملة ومحتوية لمخطوطات عمانية مشرقية في منطقة المغرب عامة، كما أن معدل عمر النسخ في المكتبة هو القرن 12هـ / 18م، وأقدم مخطوط على ما يبدو - هو "سبوغ النعم"، وقد نسخ سنة 900هـ / 1494م²، وما يجدر بنا ذكره أن المكتبة هي من أملاك عشيرة "آل خالد بني يزجن"، حيث أنها كانت تحت تسيير أحفاد الشيخ "محمد بن عيد ازبار"، ثم وضعت فيما بعد تحت تصرف عشيرة "آل خالد"³.

15.4. خزانة الشيخ محمد ابن ادريسو ونجليه الفقيهين "صالح" و "سليمان": يعتبر الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو اليسجني (ت: 1313هـ / 1895م) هو الواضع الأول للحجر الأساس للخزانة، من خلال ما تم نسخه له من طرف ولديه الفقيهين "صالح وسليمان" عندما كان على قيد الحياة، أو من خلال حيازته للكتب شراء أو استنساخاً أو هبة ممن عاصروهم من ذوي البر والإحسان، وللإشارة فالشيخ "محمد بن سليمان" هو الآخر قد أوصى بحبس الخزانة لكل من يريد الاستفادة من كتبها بغاية كسب الأجر.

عمل ونشاط الخزانة استمر بعد وفاة مؤسسها بواسطة ابنه سليمان (1863 - 1942م) وصالح (1856 - 1936م)، وقد أقرت العائلة أن تقسم خزانة الكتب بينهما، ليقوم كل منهما بمهمة الحفاظ على الكتب التي أصبحت من نصيبه، ولقد قام الشيخ "سليمان بن محمد" على إثراء الخزانة ينسخ عدة كتب ودواوين بعد وفاة والده، وأضاف إلى عبارات التحسيس بأشراط بقالها بيد أولاده الذكور ما تناسلوا، وعدم إعارتها لمن يخشى منه تضييعاً وإتلافاً، ففي هذا وجد في نسخة "الموجز" لأبي عمار الكافي الوارجلاني كتب على وجه الورقة الثانية - بعد كتابته لعبارة

¹ نفسه، ص ص 63-64.

² جمعية التراث، فهرس مخطوطات مكتبة عشيرة آل خالد القرارة، الجزائر، مارس 1997م، الصفحات: 11م، 12.

³ نفسه، الصفحة 8.

التحسيس في سبيل الله للقراءة والاستفادة- مايلي: "وذرية الشيخ الفاضل محمد بن سليمان بن صالح أولى من غيرهم إن احتاجوه ، ولا يمنع إلا من خيف فساده"¹.

16.4. خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي "يعرف بالشيخ: الحاج أبكر" (ت 1325هـ / 1907م): لقد برز دور الشيخ "أبي بكر بن مسعود" في التدريس والفتوى وتكوين الطلبة وتوعية وإصلاح المجتمع، كما تمكن من جهة أخرى تأسيسه لمكتبة ثرية وغنية بالكتب النفيسة خاصة ما له علاقة بالفكر والتاريخ الإباضي وفي علوم مختلفة.

كانت لوضعية الشيخ "أبي بكر بن مسعود" الإجتماعية مجال هام في إنشائه للخزانة، فكرم الله عليه ماديا وظف في سبيل العلم وتحصيله (رحلات علمية وجمع الكتب وبشتى الطرق...)، وتمكن الشيخ "الحاج بابكر" من الحصول على كتب موقوفة عن طريق بعض المحسنين الطالبي العلم، ومن ذلك ما وقفه "الحاج صالح عوالة"، فتكونت للشيخ "بابكر" مكتبة هامة قدم خدمات كبيرة للباحثين في وادي ميزاب.²

حاليا وصل العدد الكلي لمخطوطات الخزانة 334 مخطوط، وأقدم مخطوط: "المستصغى في أصول الفقه" لأبي حامد الغزالي (ت: 505هـ / 1111م)، وناسخها: "علي بن أبي القاسم نصر ابن محمد بن أحمد العنزي" وتاريخ نسخها: 552هـ / 1157م، ويحمل رقم: 50 ي الفهرس، ورقم: بابكر 09 في الخزانة.³

17.4. خزانة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش القطب (ت: 1332هـ / 1914م): استطاع القطب "اطفيش" من جمع كتب قيمة في مسيرة حياته العلمية، فأنشأ مكتبة زاخرة منحت إضافة إلى خزائن ومكتبات وادي ميزاب، وقد لوحظ أن بعضا من هذه الكتب من نسخه، وأخرى اقتناها بنفسه أو بطلب من غيره، وكتب أخرى قد أهديت له، أو حبسها غيره عنده، وبمجموعات كتب أخرى وردته من شيوخ العلم، منهم أخوه الشيخ "إبراهيم بن يوسف"، والشيخ

¹ مؤسسة الشيخ "عمي سعيد"، فهرس مخطوطات خزانة "الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو اليسجني"، غرداية، الجزائر، جانفي 2015م، الصفحات و، ز.

² مؤسسة الشيخ "عمي سعيد"، فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي "أبي بكر بن مسعود الغرداوي"، غرداية، الجزائر، اوت 2007م، الصفحات: د، هـ.

³ نفسه، الصفحة: ك.

"يوسف بن حموين عدون أبي يعقوب"، كما توفرت في مكتبته كتب عن طريق الاستعارة من بعض خزائن مشايخ العلم، ونضيف إلى هذا رصيده الكبير والثري لمؤلفاته، ولا يفوتنا في هذا التذكير بأن القطب "اطفيش" كان حرصه شديدا على إعارة طلابه بما يحتاجونه من كتب.¹

كتب "علي" "دبوز عن مكتبة القطب قائلا: "... وكان للقطب قبل وفاته دار خاصة لكتبه فيها ثلاث طبقات... وفي الطبقة الثالثة حجرة مملوءة بكتبه وكانت مكتبة تحوي على آلاف من نفائس الكتب، لقد استطاع بجده وعزيمته الفولاذية... أن يملك من الكتب النفيسة في أعماق الصحراء في وقت الفتن وصعوبة المواصلات، وقلة المطالع، ما لم يملكه أغلب العلماء الجامعيين اليوم.²

كما تواجدت مكنتات وخزانات أخرى في منطقة وادي ميزاب، منها خزانة "الشيخ الحاج سليمان بن عيسى بن سليمان" (ت: 1283هـ / 1866)، وخزانة "الحاج محمد بن يوسف بن داود بن سعيد" (توفي - حسب ما هو متداول - خلال العقد الرابع من القرن 13هـ / 19م)³، وخزانة الشيخ "أبي زكرياء يحيى الأفضلي" (ت: 1202هـ / 1788م)، وخزانة الفقيه "موسى بن عمر بن يعقوب" (ت: حوالي سنة 1208هـ / 1794م).⁴

¹ فهرس مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ "محمد بن يوسف اطفيش"، المرجع السابق، ص 22.

² محمد علي دبوز، نخضة الجزائر الحديثة، ج 1، المرجع السابق، ص 307-308.

³ مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مكتبة الشيخ أبي عبد الله الحاج، مجلة المنهاج، ع: 1، المرجع السابق، ص 207-208.

⁴ يوسف بن بكر الحاج سعيد، بلدة بني يزجن المرجع السابق، ص ص 70-71.

المبحث الثالث

علماء منطقة ميزاب

لقد تواصل الإنتاج العلمي والثقافي والديني في وادي ميزاب في الفترة الحديثة حيث ظهر الكثير من الكتاب والمؤلفين، وبروز علماء كبار أثروا بكتاباتهم حظيرة الكتاب الإسلامي على المذهب الإباضي، وذاع صيتهم في جميع الأقطار الإسلامية في زمن كان فيه التواصل ما بين الشعوب ليس بالأمر الهين ومن بين هؤلاء الجهابذة نذكر:

1-علماء بني يزقن:

❖ عبد العزيز بن يوسف:

ولد في بني يزقن خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، منتصف القرن السادس عشر الميلادي، تعلم بمسقط رأسه، وتمكن من الجانب الديني واللغوي حتى وصل إلى درجة التأليف ومن بين الكتب التي تركها بعد وفاته: كتاب شرح الأحاديث الأربعين.¹

❖ عبد الله بن عيسى:

ولد في بني يزقن في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، درس في مسقط رأسه ثم سافر إلى مصر لمزاولة الدراسات العليا² وعند عودته أوقف حياته على التعليم ونشر العلم وتوفي في بني يزقن سنة 1118هـ -1706م.³

❖ سليمان بن سعيد:

ولد في بني يزقن في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، درس بمسقط رأسه حتى أصبح من العلماء الكبار في قصر بني يزقن، تخصص في تقسيم مياه الأمطار التي تفيض بسببها الوديان، وكان يقوم بها العمل ابتداء من سنة 1162هـ -1748م.⁴

¹ محمد بابا عمي وآخرون، معجم اعلام الاباضية قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005، ص 560.

² مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، الجزء الثالث مدن الجنوب، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 232.

³ محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص 592.

⁴ نفسه، ص 592.

❖ أبو زكرياء يحيى بن صالح:

ولد في بني يزقن سنة 1126هـ/1714م¹ درس مبادئ العلوم في مسقط رأسه، ثم بعد ذلك هاجر إلى جربة لغرض طلب العلم² ومكث بها اثنتي عشرة سنة ثم سافر إلى مصر لنفس الغرض، ودرس بالأزهر الشريف³ ثم عاد إلى ميزاب حوالي سنة 1157هـ - 1744م، اشتغل بالتعليم والإصلاح والوعظ والإرشاد بدار التلاميذ التي هي جزء من داره الخاصة حولها إلى قسم الدراسات العليا⁴ تخرج على يده الكثير من العلماء من أبناء ميزاب ووارجلان، وادي ريغ وتعتبره بعض المراجع أنه مؤسس النهضة العلمية بوادي ميزاب وتوفي سنة 1202هـ - 1788م⁵ وترك العديد من الانجازات العلمية نذكر:

- شرح قصائد بن زياد العماني في الأحكام
- شرح على قصائد الصوم والحج والزكاة وكفارة الإيمان.

❖ عبد العزيز الثمني الملقب بضياء الدين:

ولد في بني يزقن سنة 1130هـ - 1718م، تعلم بمسقط رأسه وحفظ القرآن ومبادئ الدين الإسلامي ثم سافر إلى وارجلان لتسيير أملاك والده هناك ومكث هناك عدة سنين، وعاد ثانية إلى بني يزقن، وبعد سن الثلاثين⁶ تفرغ للعلم ودرس على يد العالم أبي زكرياء يحيى بن صالح⁷ وقد نبغ الثميني في علوم العربية وعلم الكلام، والأصول والحديث والفقہ والفلسفة والحساب⁸ ثم اشتغل بالتدريس والتأليف ومن ضمن ما ألف: أرجوزة في الفلك ومنازل البروج - الأسرار النورانية - التاج على المنهاج - المختصر في أمور الزواج المقتبس من كتاب المنهاج - تعاضم الموجين في شرح مرج البحرين - التكميل لما أخل به كتاب النيل - عقد الجواهر من بحر القناطر - كتاب النيل وشفاء

¹ نفس المرجع، ص 1004.

² النوري هو محمد عيسى، دور الميزابين في تاريخ الجزائر قديماً، مطبعة البعث، (د،ت،ط)، ج1، ص 76.

³ يوسف بن بكير، الحاج سعد، بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، مطبعة الجيش، الجزائر، 2007، ص 80.

⁴ محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص 1004.

⁵ الشيخ إبراهيم بن باحمان (ت. 1817) رحلة المصعبي، تح، يحيى بن باهون حاج أحمد، مطبعة العالمية للطباعة والخدمات M.P.S، الجزائر، 2006، ص 21.

⁶ نفس المصدر، ص 23.

⁷ النوري هو محمد عيسى، المرجع السابق، ج1، ص 76.

⁸ يوسف بن بكير، الحاج سعد، المرجع السابق، ص 82.

العليل - مختصر حواشي ترتيب مسند الربيع بن حبيب - المصباح المقتبس من كتاب أبي مسألة و الألواح - معالم الدين - النور - الورد البسام في رياض الاحكام.¹

وتولى عزابه بني يزقن سنة 1201هـ-1786م، ثم اعتزل النشاط الاجتماعي وتفرغ للتدريس إلى أن توفي سنة 1223هـ -1808م² عن عمر ناهز 90 سنة.³

❖ الشيخ إبراهيم بن بيحمان:

ولد الشيخ إبراهيم بن بيحمان في مدينة بني يزقن في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي، تتلمذ على أكبر مشايخها وعلى الخصوص الشيخ عبد العزيز الثميني والشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح⁴ وبعد تحصيله العلمي، تفرغ لنشر العلم والإرشاد والدعوة والوعظ وكان يتجول ما بين مدن وادي ميزاب يحارب الجهل والبدع.⁵

راسل الداوي حسين سنة 1206هـ -1791م بشأن أطماع صالح باي -باي قسنطينة في ضم وادي ميزاب إلى مقاطعته⁶ وقد اهتم بعلم التأليف وألف العديد من الكتب من بينها:

- تفسير آية النو - وسورة الفاتحة وسورة العصر - حاشية على تفسير أنوار التنزيل وأسباب التأويل - شرح موازين القسط - الرحلة الحجازية نثرا ونظما. وتوفي سنة 1232هـ -1817م.⁷

❖ أبو يعقوب يوسف بن حمو بن عدون:

ولد أبو يعقوب يوسف بن حمو بن عدون في مدينة بني يزقن عام 1158هـ -1748م تتلمذ على يد الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح، وعن الشيخ عبد العزيز الثميني، أدى فريضة الحج سنة 1205هـ-1791م⁸، وعند عودته بقي في مصر أربع سنوات احتك فيها بعلماء الأزهر ونال

¹ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 555.

² نفسه، ص 555.

³ يوسف بن بكير، الحاج سعي، المرجع السابق، ص 82.

⁴ نفسه، ص 84.

⁵ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 1016.

⁶ النوري حمو بن عيسى، المرجع السابق، ج 1، ص 76.

⁷ الشيخ إبراهيم بن باحمان، المصدر السابق، ص 41.

⁸ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 1056.

منهم الكثير من العلوم الدينية، ولما عاد إلى وطنه بني يزقن اشتغل بالتدريس والوعظ، والإصلاح، وأوكلت إليه رئاسة مجلس عزابه بني يزقن، ألف العديد من كتب منها:

— مختصر كتاب الطهارات،¹ تقييد ما وقعت من فتنة - بيان في بعض التواريخ- ترتيب مسائل كتاب اللقط. وتوفي في بني يزقن ودفن بها سنة 1268هـ -1852م.

❖ أمحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش:

ولد أمحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش في مدينة بني يزقن سنة 1236هـ -1818م، فقد والده وعمره أربع سنوات ذاق مرارة اليتيم حفظ القرآن الكريم وعمره ثماني سنوات² وتمكن من اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، لازم أخاه الأكبر إبراهيم الذي درس بسلطنة عمان وبالجامع الأزهر بمصر، واستفاد من الكتب التي جلبها أخوه من المشرق وتمكن من علوم الحساب، وعلم الفلك واللغة العربية وآدابها، فن التاريخ، حتى أصبح بحق عالم وادي ميزاب³ وفتح مدرسة للتدريس سنة 1253هـ - 1837م، قصدها الطلبة من وارجلان ومن جميع مدن وادي ميزاب ومن مؤلفاته⁴ هيمان الزاد إلى دار المعاد- تفسير القرآن في 10 مجلدات- داعي العمل ليوم الأمل- جامع الشامل في حديث خاتم الرسل- إيضاح المنطق في بلاد المشرق - إزهاق الباطل في علم الهاطل - إيضاح الدليل في علم الخليل - الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل ميزاب- أساس الطاعات لجميع العبادات- وتوفي قطب الأئمة في بني يزقن سنة 1332هـ - 1914م.

2- علماء وادي ميزاب:

❖ محمد بن الحاج أبي قاسم (حمو والحاج):

ولد محمد بن الحاج أبي قاسم (حمو والحاج) بغارداية سنة 1045هـ -1635م⁵ تعلم بغارداية على يد والده، نال قسطا كبيرا من علم زمانه، دخل عضوية العزابة، وفي المرحلة الأخيرة من حياته

¹ يوسف بن بكير، الحاج سعد، بلدة بني يزقن من خلال المجتمع المدني، مطبعة الافاق بني يزقن، غرداية، الجزائر 2013، ص 70.

² اسماعيل صالح بن عمر، العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2008-3ج، ص 891.

³ نفسه، ص 891.

⁴ اعوشة بكير بن سعيد، المرجع السابق، ص 112-118.

⁵ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 791.

ترأس مجلس عمي السعيد (أعلى هيئة) في المجالس الإباضية، تخرج على يده الكثير من رجالات العلم منهم، باسة موسى الوارجلاني، وقد ترك العديد من المؤلفات نذكر منها¹ الرد على طاعن من مزوته - رسالة في نجاسة أبوالحيوانات - فتاوى وأجوبة فقهية- شرح قصيدة صلاة العيدين - مراسلات - قصيدة مطولة في الزهد والحكمة - نموذج لوصية. وتوفي بغرداية سنة 1129هـ - 1717م.²

❖ بابة بن محمد بن الحاج أبي قاسم:

ولد بابة بن محمد بن الحاج أبي قاسم بغرداية في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، أواخر القرن السابع عشر الميلادي، من أسرة راسخة في العلم، درس في مسقط رأسه حتى حفظ القرآن الكريم³ ودرس علوم زمانه من شريعة وفقه ولغة ونحو، ونظرا لاستقامته وورعه، تولى حلقة العزابة بغرداية، ثم مجلس عمي السعيد، ومن مؤلفاته نذكر: القصيدة اللامية في 40 بيتا - وأعاد نسخ كتاب الموجز وكتاب شرح الجهالات للشيخ أبي عمار توفي سنة 1207هـ - 1792م ودفن بغرداية.

3- علماء مليكة:

❖ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل:

ولد أبو مهدي عيسى بن إسماعيل بمليكة في نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، من أسرة نائلية الأصل⁴ مالكية، لكن الابن تبني المذهب الإباضي، وأصبح من أكبر علمائه وتولى مشيخة مليكة، و اشتهر بالعلم والاجتهاد والورع، أسس مدرسة في مليكة قصدها الطلبة من كل أنحاء ميزاب وحتى من وارجلان، توفي الشيخ أبو مهدي سنة 971هـ-1564م، بقصر مليكة وقد ترك من ورائه مؤلفات عديدة وفي مختلف العلوم و منها:⁵ الرد على بعض

¹ نفسه، ص 791.

² يوسف بن بكير، الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المرجع السابق، ص 80.

³ محمد بابا عمي واخرون، المرجع السابق، ص 140.

⁴ حساني مختار، الموسوعة، المرجع السابق، ص 233.

⁵ يوسف بن بكير، الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 79.

الطاعنين في المذهب الإباضي - رسالة إلى أهل وارجلان - جواب في قضية خلق القرآن - رسالة في معنى التوحيد - رسالة في إعراب كلمة الشهادة - موازين القسط - وله ديوان شعر.

❖ حيو بن دودو:

ولد حيو بن دودو في القرن العاشر الهجري السادس¹ عشر الميلادي، كان مهتما بالموسيقى في بداية حياته، فأخذته العالم أبو مهدي عيسى بن إسماعيل إلى حلقتة، فحفظ القرآن وتمكن من علوم زمانه الدينية، خلف أستاذه بعد وفاته في شؤون تسيير مدرسة مليكة، وتولى مشيخة قصر مليكة، وتوفي بمليكة في القرن السادس عشر الميلادي.

❖ الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد:

ولد الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد بمليكة سنة 1079هـ - 1669م تعلم بمسقط رأسه ثم سافر لطلب العلم بجزيرة سنة 1103هـ - 1692م، أخذ العلم على أكبر علمائها، ثم واصل تحصيله بمصر 1130هـ - 1718م، وحضر دروسا بالأزهر² ثم عاد إلى جزيرة جربة واستقر بها وتولى مهمة التدريس بمساجدها وقد ألف العديد من الكتب نذكر منها: - تحفة الألباب في عذر الي الألباب - رسالة في الوصايا والحقوق - شرح منظومة الذرائع - حاشية على تفسير الجلالين - حاشية على شرح الجهالات وتوفي سنة 1187هـ - 1773م.³

4- علماء العطف:

❖ با أحمد أويوب:

يقول الدكتور حساني مختار⁴ ان باحمد أويوب كان حيا سنة (1080هـ - 1669م)، وقد كان ناسخا للكتب وخطاطا، وله تذييل تفسير الكشاف - نفى فيه رؤية الله دنيا وآخرة، وله نسخة بخط يده من تفسير هود بن محكم الهواري بخط يده.⁵

¹ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 288.

² يوسف بن بكير، الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 80.

³ نفسه، ص 80.

⁴ حساني مختار، الموسوعة، المرجع السابق، ص 234.

⁵ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 147.

❖ داود بن يوسف بن باحمد:

ولد بالعطف في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، منتصف الثامن عشر الميلادي، درس بمسقط رأسه، وتضلع في علوم زمانه الدينية واللغوية، وأسس مدرسة بالعطف¹ قصدها الطلبة من جميع قصور وادي ميزاب، أوقف الكثير من أمواله على المدارس والمساجد ترك الكثير من الكتب المنسوخة بيده وله كتاب بعنوانه - شرح على بائية أبي نصر.²

❖ إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم:

ولد إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بالعطف في نهاية القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، درس وتعلم علوم زمانه بالعطف، أهتم بعلوم الدين والأدب والشعر، أسندت له مهمة وكالة المسجد العتيق³ بالعطف، وحاول إخماد نار الفتنة التي وقعت في العطف سنة 1221هـ/1806م، رحل من العطف إلى غرداية واستقر بها رغم الحاح العطفائين على رجوعه لكنه رفض وباع أملاكه بالعطف، له قصيدة مخطوطة بعنوان - مقاييس الجروح.⁴

5-علماء القرارة:

❖ سليمان بن عبد الله بن أحمد:

ولد سليمان بن عبد الله بن أحمد بالقرارة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، القرن الثامن عشر الميلادي، درس ببني يزقن على يد الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح، اشتغل بالتعليم بالقرارة، عين شيخا لحلقة العزابة بالقرارة، كما تولى مهمة الإشراف على الحياة الاجتماعية والتربوية والسياسية لمنطقة القرارة، ووافته المنية بتاريخ 1234هـ - 1818م.⁵

❖ بالحاج بن كاسي ابن أمحمد:

ولد بالحاج بن كاسي ابن أحمد بالقرارة سنة 1130هـ - 1718م⁶ ودرس بمسقط رأسه القرارة. سافر لغرض التعليم إلى بني يزقن، ودرس على يد الشيخ عبد العزيز الثمني، وعلى يد أبي

¹ يوسف بن بكير، الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المرجع السابق، ص 81.

² محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 320.

³ النوري حمو بن عيسى، المرجع السابق، ج 1، ص 320.

⁴ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 1007.

⁵ نفس المرجع، 456.

⁶ يوسف بن بكير، الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المرجع السابق، ص 84.

يعقوب يوسف بن حمو بن عدون، وبعد أن نهل من مختلف علوم زمانه عاد إلى القرارة واشتغل بالتدريس والإصلاح الاجتماعي، فوجد مضايقات وتعرض للقتل¹ هذا ما أدى به الهروب إلى غارداية ثم العطف وهناك وافته المنية سنة 1243هـ - 1827م.

❖ باحمد بن سليمان بن عبد الله:

ولد باحمد بن سليمان بن عبد الله بالقرارة في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، حفظ القرآن في مسقط رأسه وتعلم مبادئ اللغة العربية ثم ذهب إلى بني يزقن أين درس على يد الشيخ عبد العزيز الثمني، ثم سافر مرة أخرى إلى تونس سنة 1229هـ - 1813م² وبعد رجوعه من تونس، اشتغل بالتدريس والوعظ وانتسب إلى مجلس العزابة، كما كلف بمهمة القضاء، ترك مكتبة حرق من بعده، وتوفي سنة 1265هـ - 1848م.

¹ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 150.

² نفسه، ص 150.

خلاصة الفصل:

وخلص القول فإن بلاد ميزاب هي نموذج حي للتضحية والإرادة والعزيمة والصبر، فالوصول إلى هذه الحقيقة أظهرتها لنا المؤسسات العلمية التي تزخر بها المنطقة، والبرامج العلمية التي سطرته لنفسها أملاً في بناء جيل جديد يقهر الصعاب ويتعقب خطوات سلفه، وهو ما تحقق البلاد ميزاب في التاريخ الحديث بأن أصبحت قطباً علمياً نال إعجاب القريب والبعيد.

بساطة بناء المؤسسات الثقافية في وادي ميزاب حمل وأكد على مجموعة ملاحظات منها تمسك بني ميزاب بنخبهم وبسطائهم بمظاهر التقشف والزهد اقتداءً بالرسول - صلى الله عليه وسلم - فاهتموا بجوهر الشيء لا بمظهره، بتغذية الفرد تغذية روحية فتنت فيه تامين وجوده في هذه الحياة فيكد ويجتهد في سبيل الوصول إلى حضارة روحية لا حضارة مادية، وهو الأمر الذي تحقق من خلال النجاحات التي حققتها هذه المؤسسات في جانب الحركة العلمية بوادي ميزاب.

إيمان الفرد بوادي ميزاب بالمشروع الذي سعى إليه علماءه من خلال حلقة العزابة، فأصبح المبادر الأول مادياً في تمويل بناء هذه المؤسسات وكذا توفير حاجيات طلبة العلم من مأكول ومأوى وملبس، وهو الشيء الذي أسهم في بناء كيان مجتمع متحد ومتراص وواع بما يكون عليه الأمر الذي مكّنه من إفشال مؤامرات المتربصين به داخل الإقليم وخارجه، وإظهار هذه المؤسسات كمنقذة للأجيال القادمة مما يحاك ويُخطط له ضدها.

حلقة العزابة ظهر دورها التربوي في وادي ميزاب من خلال خلقها لنظام تربوي نموذجي تميز بالصرامة والدقة والإتقان في التسيير، فمسيروا العزابة أسسوا مدارس داخلية وأعطوها معظم وقتهم وجهدهم، كونهم قد وصلوا إلى حقيقة مقدسة مفادها التربية والتعليم هي الأساس الذي يحفظ ويصون لهم دعوتهم ويمكنهم من توسيع مجالها الجغرافي.

مكتبات وادي ميزاب كانت حافلة بالإنتاج العلمي والفكري، وقد امتلكت عائلات كثيرة خزائن كتب منحت إضافة معنوية ومكانة رفيعة للمنطقة، وبفضلها تقوت الحركة العلمية بها فأزالت غشاء العزلة وأصبحت حديث القريب والبعيد وكانت كفيلة لأن تكون قبلة للعلماء وطالبي العلم، مع الإشارة أن أصحاب هذه الخزائن وضعوا تسهيلات كبيرة لمن يريد الاستفادة والاستزادة منها، وقد تركوا وصايا مكتوبة تؤكد ذلك بعد مماتهم، وهذا دليل على المشروع العلمي الذي أصبح واقعاً معاشاً في وادي ميزاب على المدى البعيد.

الفصل الثاني:

مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة توات

- المبحث الأول: الأوضاع العامة
- المبحث الثاني: مراكز الإشعاع الثقافي
- المبحث الثالث: علماء توات

مقدمة الفصل

كنت قد تناولت في الفصل الأول الأوضاع العامة لمنطقة وادي ميزاب خلال العهد العثماني، واستعرضت أهم مراكز ومؤسسات الإشعاع الثقافي الفاعلة، وذكرت تراجم أهم علمائها الأجلاء واسهاماتهم العلمية والفكرية.

وقد شهد الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني حواضر علمية ومراكز إشعاع ثقافي لا تقل هي الأخرى أهمية عن منطقة ميزاب، ولعلّ أهمها نجد منطقة توات التي استفاد أهلها كثيرا من هجرة علماء كبار من شمال إفريقيا إليهم، وكان ذلك نتيجة تردّي الأوضاع السياسية في بلدانهم، حيث أسسوا للحركة العلمية التي ازدهرت خلال الفترة الحديثة.

إنّ الموقع الإستراتيجي لمنطقة توات في وسط الصحراء، جعل منها نقطة التقاء وتجمع للقوافل التجارية العابرة للصحراء، ممّا أتاح لأهل توات الفرصة للاحتكاك بالتجار وممارسة التجارة التي سنرى أنّها كانت سببا مهماً في الحركة العلمية والثقافية للمنطقة، إذ أنّ وصول الكثير من العلماء والكتب والمخطوطات كان بفضل التجارة ممّا ساهم في تبادل المعارف والعلوم.

عرفت منطقة توات انتشار الكثير من المؤسسات العلمية والثقافية كالمساجد والزوايا الكتابية التي احتضنت الحراك العلمي القائم بالمنطقة، وكان لها الفضل في تكوين نُخب من العلماء أمثال محمد العالم زجلالوي، وعبد الرحمان بن عمر التنيلاي، وعمر بن عبد القادر التنيلاي... وغيرهم.

حيث نجد أنّ التواتيين انتهجوا طرقا خاصة في تلقين العلوم اعتمدوا في أساسها على التدرج في التحصيل والإكتساب عبر مراحل رئيسية، بدأً بمرحلة التلقين والتهجّي وصولا إلى مرحلة الحصول على الإجازة، واهتموا بالكثير من العلوم النقلية والعقلية.

ضمّت منطقة توات العديد من خزائن الكتب المخطوطة التي حفظت اسهامات وجهود علمائها، وتميّزت بطابع الملكية الأسرية، حيث نجد أن الأسر العلمية التي اشتهرت بعلمائها كان لهم فضل كبير في تشكيل هذه الخزائن وإثرائها بالكتب.

المبحث الأول:

أوضاع منطقة توات خلال العهد العثماني

أولاً: أصل التسمية توات:

تباينت آراء المؤرخين والرؤاة حول أصل التسمية (توات) واختلفت آراؤهم وتفسيراتهم حول ذلك، لكنهم اتفقوا على أن تاريخ عمارتها ضارب في القدم¹، وكذا حملها هذا الاسم بدليل الشواهد والبقايا الأثرية المتواجدة بأماكن عديدة من كتابات الرحالة الجغرافيين القدامى كهوميير Homère وهيريدوت Hérodote وبتوليمي Ptolémée وبلين Pline، إضافة إلى ذكر المؤرخين المسلمين والعرب لها كاليقوي (ق 3هـ)، الأصبخري، المسعودي، ابن حوقل المقدسي (43هـ)، البيروني، البكري (ق 5هـ)، الإدريسي (ق 6هـ)، البغدادي، ياقوت الحموي، ابن سعيد، العبدري، المراكشي (ق 7هـ)، التجاني، ابن بطوطة، ابن خلدون (ق 8هـ)، الحسن الوزان (بين ق 9هـ وق 10هـ) والعايشي (11هـ).

وإن كان معظم أولئك المؤرخين لم يشيروا في كتاباتهم إلى توات مَبْنَى، فَإِنَّهُمْ أشاروا إليها مَعْنَى² بذكر حدود ومواصفات مطابقة لتركيبه المنطقة وجغرافيتها.

أما أصل تسمية "توات" فقد تعددت بتعدد الروايات المتواترة عن ذلك هي كالاتي:

- **الرواية الأولى:** ذكر السعدي في كتابه "تاريخ السودان" من أن سلطان مالي كتنن موسى³، لما أراد الحج في أوائل القرن 8هـ اصطحب معه كثيرا من الرعية وعند وصوله إلى منطقة

¹ توجد هذه البقايا الأثرية كالنقوش الصخرية في منطقة أولف، المطرفة، مطربون، تمبظن، تيمابن.

² ورد اسم توات مكتوب في رسالة مخطوطة مؤرخة بتاريخ 15 ماي 1235م ذكر فيها اسم الحبر اليهودي التواتي "الربي إسحاق التواتي" والرسالة هذه تعتبر لحد الآن أقدم مصدر ذكر فيه اسم توات، وهي مكتوبة بالعبرية، ومحفظة حاليا بجامعة كمبريدج بالولايات المتحدة الأمريكية تحت رقم TS.AR 53.67. ينظر:

Jacob Oliel, Les juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, GNRS 1994, Edition, Paris, p 143.

³ كتنن موسى: هو منسا موسى أبي بكر، تولى مقاليد مملكة مالي سنة 712هـ / 1312م، عرفت المملكة في عهده درجة عالية من التوسع والازدهار والتقدم، قام برحلته الشهيرة إلى الحج عام 725هـ / 1325م، توفي سنة 738هـ / 1337م. انظر: محمود كعت: تاريخ الفتاش في

توات تخلف الكثير من أصحابه لوجع أصابهم في أرجلهم، يسمى في لغتهم "توات"، فبقوا هناك واستوطنوها ولم يستطيعوا إكمال السفر في ملكهم، ومنذ ذلك الحين سمي ذلك المكان بذلك المرض.¹

والملاحظ عن هذه الرواية التي تفرد بها السعدي أنها لم تنقل في كتب المؤرخين التواتيين² رغم عنايتهم بكل ما كتب عن بلادهم، وبالرجوع إلى المصادر التي فصلت في تاريخ بلاد المغرب في القرن 8هـ / 14م، نجد إشارة إلى ذكر المنطقة باسمها "توات" قبل رحلة حج سلطان مالي، فقد ذكر الناصري أن الأمير أبا علي ابن السلطان المريني أبي سعيد ارتحل إلى سجلماسة سنة 715هـ/1315م، بعد صراع مرير على السلطة مع والده، حيث عزم على فتح الأقاليم الجنوبية لسجلماسة ومنها توات، تعويضا عما ضاع منه من أقاليم الشمال": وارتحل (أبو علي) إلى سجلماسة سنة خمس عشرة وسبعمائة، فأقام بها دولة فخيمة، واستولى على بلاد القبلة، ودوّن الدواوين واستلحق واستركب واستخدم ظواعن³ العرب من بني معقل، وافتتح معاقل الصحراء، وقصور توات وتيكورارين وتامنطيت وغير ذلك".⁴

واستفتح الأمير المريني أبي علي قصور توات المعروفة حينذاك -سبق عبور السلطان كنيكن موسى المنطقة إلى الحج، والذي كان في سنة 724هـ/1324م.⁵

أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس، 1964، ص 32 وما بعدها، وتذكر بعض المصادر أنه توفي سنة 734هـ / 1335م، أنظر:

Robert Come Vin, Histoire de L'Afrique; imprimerie Bussière, Paris, 1962, p 352.

ويذكر حسين مؤنس أن هذا الملك تولى الملك سنة 738هـ / 1337م وتوفي سنة 742هـ / 1341م، ينظر: حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، 2003، ص 232.

¹ عبد الرحمان بن عبد الله السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م، ص 97.

² المؤرخون التواتيون من أمثال: محمد بن عبد الكريم التمنطيبي ومحمد بن عمر الجعفري البوداوي ومولاي احمد الطاهري وغيرهم.

³ ظواعن: من الفعل ظعن، يظعن، ظعناً، فهو ظاعن، نقول: ظعن المسافر أي سار وارتحل، وظواعن معناه الرُّحَّل. انظر: قاموس المعاني، علي الموقع: www.almaany.com

⁴ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ج3، ص 107.

⁵ Bernard Saffray, Chronique du Touat, Ghadaia, C-D-S, p 05.

- الرواية الثانية: وهذه الرواية منقولة عن محمد بن امبارك صاحب "تاريخ توات" حيث يقول أن أصل كلمة توات أعجمي، وقد أطلقها على المنطقة قبائل من لمتونة¹ عندما لجأت إلى الإقليم في منتصف القرن 6هـ /12م.²

وباستقراء وقائع التاريخ وخصوصا القرن 6 هـ الذي ذكره المؤرخ آفا نجد أنه في منتصف هذا القرن سقطت دولة المرابطين اللمتونية، ويحتمل هجرة بعض قبائلها نحو الصحراء موطنها الأصلي فرارا من تعقب الموحدين وبطشهم، لكن من المستبعد استقرارهم في توات معقل قبائل زناتة المعادية -تاريخيا- للسنهايين، والأقرب إلى التحقيق عبورهم منها نحو أبناء عموماتهم قبائل الطوارق الملتمين.

وتذهب بعض المصادر التاريخية التي تعود إلى القرن السادس الهجري إلى أبعد مما ذكرنا، إذ تعتبر المنطقة خالية لا عمارة بها، فهذا مؤلف مجهول من مراكش يقول عن المنطقة في معرض حديثه عن مدينة سجلماسة التي ارتبط ذكرها كثيرا بمنطقة توات: "... وهي على طرف الصحراء، لا يُعرف في قبليها ولا غربيها عمران، بينها وبين غانة³ صحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة، قليلة المياه، يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان، ليس هم مدن ولا عمارة يأوون إليها إلا وادي درعة، وبينه وبين سجلماسة خمسة أيام".⁴

¹ لمتونة: إحدى قبائل صنهاجة البربرية، إخوانهم جدالة، وهم صحراويون، وهم بطون ضخمة ومنهم يوسف بن تاشفين المؤسس الفعلي لدولة المرابطين. ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج 4، ص 7.

² فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18 و19، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977، ص 02.

³ غانة: بفتح الغين المعجمة وألف ثم نون مضمومة وهاء في الأخير وهي كلمة أعجمية لا يعرف لها معنى في العربية، وهي بلد مملكة السودان، وليست هي خانة الحديثة التي تحمل هذا الاسم، إذًا هذه الحديثة كانت تسمى ساحل الذهب، تم تسمت باسم غانة، تيمنا إذ هي تقع على بعد نحو ألف ميل جنوب غانة القديمة، أما موقع غانة القديمة فهو محل اختلاف وقد ذكر في تقويم البلدان الها مدينتان على ضفتي نيلها إحداها يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار، ويذكر الدكتور طرخان أطلالها تقع اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا وتقع ضمن أرض جمهورية مالي الحديثة وهي على الطريق الغربي للقوافل التجارية القادمة من مراكش، والمكان الصحيح يبعد عن تينكتو بمسيرة بضعة أيام إلى الجنوب الغربي منها وعلى بعد نحو 200 ميل شمالاً باماكو عاصمة مالي الحالية، انظر: حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، السعودية، 1981، ص 90.

⁴ مؤلف مجهول، الاستبصار في مخالاب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 200.

ويؤكد ما كتبه هذا المؤرخ ما ذهب إليه الإدريسي وقد عاش نفس الفترة (ق 6هـ) من أن منطقة توات " صحراء خالية لا عمارة بها، أكثر أرضها رمال تنسفها الرياح، كثيرة الحر حامية جدا".¹

• **الرواية الثالثة:** أرجع محمد بن عمر البوداوي الجعفري المؤرخ التواتي سبب تسمية هذه المنطقة بتوات إلى القرن الأول الهجري، حيث أورد في كتابه المخطوط " نقل الرواة عن من أبدع قصور توات"، "... أنه -على ما يحكى لما استفتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب ووصل إلى ساحله ثم عاد إلى واد نون² ودرعة وسجلماسة والفائجة، ووصلت خيله توات وذلك في تاريخ 62/682م، فسألهم عن هذه البلاد يعني توات وعن ما يسمع ويفشي عنها من الضعف هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، يُنزله بها أو يجليه بها، فأجابوه بأنها تواتي لهذا الأرب، فانطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف لجري العادة بذلك"³.

والملاحظ على هذه الرواية أنها لم تثبت في مصادر التاريخ الإسلامي والتي تُعنى بالفتوحات الإسلامية ولم نقف لها على سند تاريخي لاعتمادها على ما يحكى فقط، ضف إلى ذلك أنها تخالف ما أثبتته المؤرخون الأوائل الذين كتبوا عن حملة عقبة بن نافع الثانية بين سنتي (60هـ /680م و63هـ /683م)، والذين لم ترد في كتبهم انحدار عقبة جنوبا نحو أقاليم الصحراء بالمغرب الأوسط، أو المغرب الأقصى، بل سلك طريقا ساحليا في غدوه أشرف من خلاله على المحيط الأطلسي، ثم عاد أدراجه عبر طريق الداخل كثير الشعاب والهضاب والمغازات، حتى وصل تمودة من بلاد الزّاب قرب بسكرة وهناك استشهد سنة 63هـ/683م.⁴

ولو كان مصدر نسبة هذا الاسم شخصية عظيمة مثل عقبة بن نافع الفهري، لرسخ في الأذهان وتناولته كتب المسالك والبلدان، وذلك ما لم يتم، حيث أشار اليعقوبي (ق 3هـ) وهو أقرب زمانا

¹ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1863م، ص 02.

² وادي نون، هي منطقة تقع في صحراء المغرب الأقصى، قريبة من المحيط الأطلسي، تسكن بها قبائل صنهاجة.

³ محمد بن عمر الجعفري البوداوي، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بجزانة كوسام ولاية أدرار، ص 04-05.

⁴ ينظر تفاصيل هذه الحملة في: حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 177-207.

لتلك الرواية إلى صحراء دون ذكر اسم توات "... ومن سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان، من سائر بطون السودان يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين رحلة، ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صهناجة، في صحراء ليس لهم فيها قرار، شأنهم كلهم أن يتلموا بعمائمهم سُنَّة فيهم..."¹

أما الأصطخري (ق 4هـ) فقد أشار إلى الجزء الجنوبي من بلاد المغرب إشارة مماثلة لليعقوبي، حيث قال: "... ثم إلى أزلية ثم إلى السوس² الأقصى، ثم يمتد على برية ليس وراءها عمارة، وجنوبية رمل من حده البحر المحيط، حتى يمتد من وراء سجلماسة إلى زويلة"³.

- **الرواية الرابعة:** هذه الرواية ترجع لأحد المؤرخين المحليين، وهو مولاي⁴ أحمد الطاهري الإدريسي (ت 1399هـ / 1979م)، حيث يجعل أصل كلمة توات مشتق من فعل "واتى- يواتي- تواتي" أي معنى تناسب، فيقول عن ذلك: "سُمِّيت توات بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة، أي تليق بها، لأن كل من قدم إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة، فلذلك سكنها كثير من أولياء الله الكُمَّل العارفين، وقيل من الأتوات أي المغارم والمكوس أوالفواكه، والله أعلم".

وتبدو هذه الرواية لمتأملها مجرد احتمالات غير قطعية الدلالة.

- **الرواية الخامسة:** صاحب هذه الرواية هو أبو عبد الله الأنصاري (ت 894هـ/489م) صاحب كتاب فهرست الرّصاع، فيذكر هذا الأخير أن اسم توات هو اسم لأحد قبائل الصحراء

¹ أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان، ليدن: مطبعة بريل 1890م، ص 151.

² السوس: هي منطقة واقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب، تبدأ غرباً من المحيط الأطلسي وتنتهي جنوباً في رمال الصحراء وشمالاً عند جبال الأطلسي وشرقاً عند نهر السوس. انظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج 2، ص 113.

³ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرجي، مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل 1927، ص 37.

⁴ مولاي: هو لقب يمنح في منطقة توات كما في كثير من مناطق المغرب الإسلامي لقب (مولاي) للأشراف من نسل الحسن والحسين أبناء علي وفاطمة الزهراء -رضوان الله عليهم- وتمنح للنساء لقب (لالة) وهو عرف موجود إلى اليوم إكراماً لآل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

بالجنوب¹، يسمون بالملثمين، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم طوائف التوارق وملطة وملتونة والتوات.²

والملاحظ عن هذه الرواية أنها تجعل من توات اسماً لأحد بطون الملثمين الصنهاجيين، والمعلوم في كتب التاريخ أن بلاد الطوارق³ هي غير بلاد توات، وهؤلاء الملثمون ليسوا هم من اختط منطقة توات وليسوا هم أصول القبائل التواتية الأولى، إذ نجد عند ابن خلدون أن القبائل التواتية نوع من زناتة، ونقل عنه قوله عن عرب المعقل: "وملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غرباً، ثم توات، ثم بودة، ثم تامنطيت، ثم واركلان، ثم تاسبيت، ثم تيكورارين شرقاً، وكل واحد من هذه وطن منفرد، يشمل على قصور عديدة ذات نخيل وأثمار، وأكثر سكانها من زناتة".⁴

- الرواية السادسة: يعتبر المؤرخ التواتي محمد بن عبد الكريم التمنيطي (ت 1374 هـ /

1955 م) صاحب هذه الرواية، إذ يُرجع أصل تسمية توات إلى بداية الدولة الموحدية، حيث يقول: "حُكِيَ عن بعض القدماء أنّ أهل الصحراء لما طالبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة، وكان ذلك شهر الحريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر أثمار الكروم ففعل، ثمّ باعه السلطان للبدو والنازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلح، فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الأتوات كيلاً ووزناً على حسب التخريص، فعُرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات لأن

¹ أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، تح: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، المكتبة الوطنية القديمة، تونس، تحت رقم 44201 ص 127. نقلًا عن الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 هـ إلى القرن 14 هـ، ط 2، منشورات الحبر، الجزائر، 2011، ص 27.

² بحية عبد المؤمن، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18-19م) من خلال نوازل الغنية البلبلية، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف د. محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006/2005، ص 02.

³ الطوارق: هم الشعب الذي يستوطن الصحراء الكبرى في جنوب الجزائر الشرقي وأزواد شمال مالي وشمال النيجر وجنوب غرب ليبيا وشمال بوركينا فاسو، يتحدثون اللغة الطارقية وهم مسلمون سنيون أمازيغيون من قبائل صنهاجة ينتسبون إلى الأمازيغ البرانس. ينظر: عمر الأنصاري، الرجال الزرق، دار الساقبي، ص 49.

⁴ عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001، ج 6، ص 78.

السلطان قبلها منهم في المعرم، وهذه الرواية أصحّ .. قال في المصباح التوت هوالفاكهة والجمع أتوات ، فعُرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه¹. ورغم أنّ هذه الرواية اعتمدها كثير من المؤرخين²، إلا أنّه يبدو أنّها مضطربة، لأننا نستبعد لجوء الدولة الموحدية (541هـ/1146م-668هـ/1270م) ذات الشأن العظيم والإقليم الواسع إلى استغلال خيرات أقاليم صحراوية بعيدة، من أجل إرضاء قبائل بدوية قريبة من مركز السلطة. وإن كان قد ثبّت في بعض المصادر أن الموحدين فرضوا على القبائل والأمصار الجنوبية بعض المغارم والمكوس، لكنهم اقتصرُوا على الزكاة والعشور وأخماس الغنائم والمعادن والخراج³.

- الرواية السابعة: هذه الرواية نظّر لها مؤرّخون أوروبيون، فرنسيون على الخصوص⁴، فنجد عند (ماندوفيل Mandeville) قوله "اسم توات أطلقه الطوارق والعرب على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساورة وواد مسعود"⁵.

وتكاد تشبه هذه الرواية ما ذهب إليه (روكليس Reclus) الذي يقول: "توات اسم بربري يعني الواحات"⁶.

أما (مارتان Martin) وهوأحد المؤرخين الفرنسيين الذين اهتموا بتاريخ توات، فيرى أن اسم توات Touat هو مفرد المصطلح البربري (وا) (oua) المتطابق بدوره مع المقطع الإغريقي «oa»، الذي يشير إلى Oasis أي معنى الواحات، ويعطي مثالا على ذلك ما شاع من تعبير مشابه على اللسان البربري الزناتي مثل: تواتن عبو Touat'n ebbou وتعني واحة الماء.⁷ ومثل

¹ محمد بن عبد الكريم التمنيطي، المرجع السابق، ص08.

² أحمد جعفري ابا الصّافي، محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ط 1، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2004 م، ص 27.

³ جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، الإسكندرية، دار الوفاء، 2001، ص 222.

⁴ منذ احتلال الجزائر تمّ بذل جهد معرفي بخصوص الصحراء عامة وتوات خاصة، من قبل كتاب فرنسيين معظمهم ضباط في الجيش لأهداف سياسية إستراتيجية تخدم أغراضهم الاستعمارية، توجّ بظهور كتاب الصحراء الكبرى للفرق دوماس سنة 1856م، انظر: رشيد بليل، قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو، الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2008، ص05.

⁵ Mandiville G: L'Algérie méridionale et le Touat, Paris, 1898, p 08.

⁶ Reclus Elisée: Nouvelle Géographie universelle, T.XI (L'Afrique septentrionale), Paris, 1886, p 845.

⁷ Martin A.G.P : quatre siècles d'histoire marocaine (1504-1904), paris.

هذا التركيب موجود في اللهجة الزناتية، والمحصلة أن لفظ توات بربري الأصل يعني الواحات، وهي رواية تتطابق ووقوع الإقليم ضمن واحات الحوض الشرقي لواد الساورة

ويتبنى هذه الرواية مؤرخ غربي آخر هو (ماريوفيفاري Mario Vivarer) الذي يرى أن هذا التركيب موجود في اللهجة الزناتية الموجودة بالمنطقة والنتيجة - حسب رأيه - أن كلمة توات بربرية الأصل وتعني الواحات.¹

والدارس لهذه الروايات الغربية يجد أنها تحاول بطريقة أو بأخرى إيجاد مكان ما لإقحام اللغة الفرنسية في أصل تسمية توات، والهدف من ذلك استعماري بنسقه المعرفي الثقافي، يكشفه تاريخ صدور هذه الرواية التي يلمس فيها جليا التركيب والاصطناع والربط بين معطيات متباعدة علميا وهي الإغريقية والفرنسية والبربرية (الزناتية).

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن أصل تسمية "توات" تشمل عدة تفسيرات ومعان متباينة منها ما كان تاريخيا ومنها ما كان تفسيريا لغويا محضاً ومنها ما جمع الإثنيين معا، وأصل هذا التباين هو القول بعربية التسمية أو بربريتها، لكن الأرجح والأقرب إلى الصواب أن اسم توات بربري قديم قدم قبائل زناتة التي اختطت الإقليم وعمرتة²، وتزامن أول ذكر لاسم توات³ مع دخولها له في القرن 8هـ / 14م، وبذلك كانت معظم أسماء القصور والمناطق داخله بربرية التسمية فكيف يكون الفرع بربري بينما الأصل عربي، واسم توات غير غريب عن أسماء مناطق غرب إفريقيا مثل: تنبكتوت و تاودني وتغز، كما أنه غير بعيد عن تركيبة معظم أسماء المنطقة التي تبتدئ بالتاء المشار بها في اللهجة الزناتية إلى التأنيث مثل تمنظيط، تيمي، تميمون⁴.

¹ Mario vivarer, Au Sujet du Touat, Librairie Michel Ruff, Alger, 1896, p 03.

² احمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج 2، ص 159.

³ أول من ذكر اسم توات في كتاباته - حسب علمنا- هو الرحالة الكبير ابن بطوطة، أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 2001، ص 406-407.

⁴ سالم بوتدارة، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي لباس سيدي بلعباس، 2015-2016، ص 29.

ثانيا: الموقع الجغرافي¹:

تعتبر منطقة توات الواقعة حاليا بالجنوب الغربي الجزائري، ملتقى تجمع واستقرار بشري منذ فترة قديمة، وقد شكلت نقطة تواصل هامة بحكم موقعها الجغرافي الاستراتيجي بين حواضر ومدن المغرب الإسلامي في الشمال والمراكز الحضارية الواقعة جنوب الصحراء المسماة بلاد السودان الغربي.

تتربع توات حاليا على أجزاء عديدة من ولايتي أدرار وتمنراست، وقد حددت هذه الأجزاء التي عرفت بإقليم توات من طرف المؤرخين المتقدمين الذين رسموا لها معالم متباينة اتّسمت بالبساطة أحيانا وبالتركيب أحيين أخرى.

ويُحدد الامتداد الجغرافي لتوات بما يلي²:

- من الشمال الشرقي واد اميقدن (اميكدن)³.
- من الشمال الغربي منطقة واد الساورة.
- من الجنوب الشرقي هضبة مويدر.
- من الجنوب الغربي رق⁴ تنزروفت⁵ وهو أكثر مساحة في الحدود الجنوبية.
- من الشرق واد اميقدن الآتي من جهة الشمال الشرقي، وهضبة تادمايت في ناحية الحدود الوسطى وهي أكثر الحدود الشرقية مساحة، وهضبة مويدر الزاحفة من جهة الجنوب الشرقي.
- من الغرب واد الساورة الآتي من جهة الشمال الغربي وعرق شاش الزاحف نحو الجنوب.

¹ انظر الملحق رقم 05.

² اعتمدت في تعيين الحدود بشكل دقيق على تقنيي GPS و Google Earth وفي تسمية هذه الحدود على: محمد باي بلعالم، الرحلة العملية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، ج 1، ص 09.

³ اميقدن: وتذكر عند القدامى اميكدن وهي كلمة بربرية تعني المكان الرطب الذي توجد به المياه. ينظر: رشيد بلبل، قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، 2008، ص 35.

⁴ الرق: مساحات من الأراضي المستوية تغطيها الحصى تسمى مجازا السهل الصحراوي، أنظر: محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، 1998، ص 14.

⁵ تنزروفت: صحراء شاسعة حصوية حافة قاحلة تمتد إلى غاية المناطق الخصبية بأهقار وكل طرقها تؤدي إلى بلاد السودان، اشتق اسمها من لغة التوارق والذي يعني الأرض الموات والمنطقة القاحلة.

هذا عن الموقع الجغرافي لتوات، أما عن الموقع الفلكي فالمنطقة تقع بين خطي الطول 1° درجة شرقا و 4° درجة غربا، وبين دائرتي العرض 26° درجة و 30° درجة شمالا¹، مما يعني اشتماله على خط الطول الرئيس (غرينتش) المستعمل في التوقيت العالمي (GMT).

ثالثا: الأوضاع السياسية لمنطقة توات:

ظلت المنطقة قبل مجيء العثمانيين وقيام دولة الأشراف السعديين² بالمغرب الأقصى تتراوح بين الاستقلال أحيانا وبين غارات الأعراب والخضوع للممالك المجاورة أحيانا أخرى.

فرغم بعد المسافة بين منطقة توات³ ومراكز البايلك⁴ ومقاطعاته في الشمال الجزائري إلا أن العثمانيون لم يفرطوا نهائيا في المنطقة التواتية، فقد قدموا إلى توات بدعوة من أهلها سنة 987هـ/1579 م، حين هجمت بعض قبائل تافيلالت⁵ على المنطقة عام 1578م، فاستعان السكان بحاكم الجزائر العثماني⁶ الذي أرسل جنوده في حملة استطلاعية لتوات لمساعدة الأهالي ضد العدوان دون البث النهائي في مستقبل المنطقة التواتية وعلاقتها بالسلطة المركزية .

إذا تأملنا وقائع وخلفيات هذه الحادثة نلاحظ الإحساس بالولاء غير المصرح به من طرف ساكنة توات، والاعتقاد منهم بأحقية العثمانيين كخليفة إسلامية بنجدتهم على اختلاف

¹ محمد حوتية، توات و الأوزاد خلال القرنين 12 هـ و 13 هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، الجزائر دار الكتاب العربي، 2007، ج1، ص28.

² السعديون : هم سلالة من الأشراف حكمت المغرب في الفترة الممتدة من (1554-1659م)، استطاعوا القضاء على التواجد البرتغالي في البلاد بعد انتصارهم عليهم في معركة وادي المخازن 985هـ-1578 م. انظر: محمد الصغير الوفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: هوداس، انجي: مطبعة بردين، 1888م، ص73.

³ منطقة توات: تعد هذه المنطقة جزءا من الصحراء الكبرى، تضم قورارة-توات العليا و السفلى-تيديكلت، وهو يشكل اليوم الجزء الأكبر من ولاية أدرار. انظر: Bellil Rahid: Les Oasis du Gourara Sahara Algérien, p.63

⁴ البايلك: مصطلح تركي قدم أخذه الأتراك عن المغول و السلاجقة، وأول من تولى إمارة البايلك عند الأتراك هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية وذلك سنة 1280م. انظر: محمود عامر: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع 117-118 كانون الثاني-حزيران، 2012، ص371 .

⁵ Bernard Saffroy , chronique du Touat , Ghardaia : C-D-S, p 05 .

⁶ يرجع أن يكون البايلر باي حسن فنزيانو، الذي تولى حكم الجزائر في شهر ربيع الثاني 985هـ/1577م، أصله إيطالي و بعد أسره تم بيعه لقلج علي الذي عينه العثمانيون بايلرباي على شمال إفريقيا، اشتهر بالحزم و النشاط الحربي مدة ولايته، تمت تنحيته سنة 989هـ/1580م، ولكنه عاد مرة ثانية لحكم الجزائر من سنة 991هـ/1523م، استدعي بعدها ليقود الأسطول العثماني مكان قلج علي. انظر: رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000، ص350.

اعتقادهم بالقبائل والمماليك الأخرى التي كانوا يرون في مجيئها لبلدهم مجرد غزاة باحثين عن السيطرة والنفوذ هذا من جهة أهل المنطقه اما من جهة العثمانيين فإن استجابة الحاكم العثماني لنداء سكان توات ونجدتهم فان دل على شيء فإنما يدل على الإحساس بالمسؤولية باعتقادهم أنهم أولى بالمنطقة من غيرهم لذا لم يكن ترددهم على توات كله بالسلاح، ففي سنة 990هـ/ 1552م قام جعفر باشا¹ ابن باي طرابلس بجولة إلى توات مصحوبا بعشرة علماء متضلعين في أصول المذهب المالكي وفروعه فاستقبله بعض العلماء التواتيين² ومكث هذا الوفد سنة كاملة ناظر خلالها مع علماء توات في قضايا مختلفة³.

وقد تميزت هذه الجولة بطابعها العلمي الديني حيث حرص الأتراك على تبيان اهتمامهم بالمذهب المالكي الشائع بالمنطقة، جنبا إلى جنب مع المذهب الرسمي للدولة العثمانية وهو الحنفي. إنَّ انشغال العثمانيين بالأحداث الدائرة في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا وأيضا بمستجدات دولتهم المترامية الأطراف وتركيزهم على الشمال الجزائري، قلل من رغبتهم في التدخل في المناطق الجنوبية للقطر الجزائري⁴، مما جعل تأثير الوجود العثماني في الجزائر على التسيير الإداري لتوات قليل أويكاد ينعدم، حيث حافظت المنطقة على نمطها الاستقلالي⁵، مقابل ضريبة رمزية على

¹ جعفر باشا: من أشهر الحكام العثمانيين في طرابلس الغرب "ليبيا" خلف علي في الحكم واستطاع فرض الأمن في المنطقة، اضم منطقة فزان سنة 1577م. ينظر: محمود علي عامر و محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى-ليبيا"، جامعة دمشق، سوريا، 2000، ص192.

² مؤلف تواتي مجهول، تقييد في تاريخ توات (ذكر ما وجد من الأخبار التواتية)، مخطوط بخزانة الشيخ سيدي عبد الله البلالي، كوسام، أدرار، ص 01.

³ بهية بن عبد المؤمن، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: د محمد بن معمر كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005-2006، ص 13.

⁴ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000، ج08، ص520.

⁵ تمتع التواتيون خلال الفترة الحديثة بقسط كبير من الحرية والاستقلالية، في ظل انقطاع الحماية العثمانية التركية، و عجز دول المغرب الأقصى عن السيطرة المطلقة على المنطقة، وساءت العلاقات المغربية العثمانية في القرن 12 هـ بسبب اختراق العلويين الحدود المتعارف عليها، فقد قامت قوات السلطان المغربي اسماعيل (ت1139 هـ./ 1727 م) بالتوغل شرقا وجنوبا بحجة مطاردة قبائل عربية معتدية، فردت السلطات العثمانية بالمثل، ودعمت القبائل المغربية الثائرة على العلويين، وبعد أن قسم السلطان المذكور حكم المغرب بين أولاده، غدوا يتنافسون في توسيع مملكتهم إلى الجنوب الجزائري. ينظر: عزيز سامح الت، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1989 م، ص444.

الساكنة¹، في إشارة ضمنية دالة على الاعتراف والولاء، ولم تكن هذه الإتاوات لتغير من نظرة سكان توات على أن العثمانيين هم حماة لديار الإسلام والمسلمين، بل وكثيرا ما مجدوا انتصاراتهم وتعاطفوا مع قضاياهم وذلك ما نلحظه في الوثيقة التي دوّنها الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتلافي في رحلته إلى الجزائر العاصمة سنة 1231 هـ/1816م، حيث يمجّد فيها ما قام به حاكم الجزائر آنذاك الداوي عمر باشا.

ويتجلى كذلك هذا التعاطف والتمجيد للعثمانيين من طرف سكان توات - كاعتراف منهم ضمني بالولاء - في التفاعل مع الانتصارات التي كانوا يحققونها على النصارى والصليبيين في حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنها صدهم لحملة نابليون على مصر عام 1213 هـ/1798م، ومقارعتهم للفرنسيين بعدها ودحرهم من على أسوار مدينة عكا بفلسطين، حيث جاد الشاعر أبي العباس أحمد زروق الجعفري البوداوي، بقيصدة جاء فيها² :

قُلِّ لِلْفَرَنْسِيِّسِ كَبَا جِدُّكُمْ... وَرَدُّكُمْ وَرَدًّا بِلَا مَصْـدَرٍ
 الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِسَاطٍ لَكُمْ... لَا فَوْتَ إِنَّ اللَّهَ مِنْكُمْ بَرِيٌّ
 حَسِبْتُمْ مَصْرَ كِمَالِطَةَ... وَصَادِقُ اللَّهْجَةِ كَالْمُفْتَرِي
 هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا مَقَرُّ لَكُمْ... إِلَّا عَلَى الصَّارِمِ وَالسَّمَرِ
 مِنْ آلِ عُثْمَانَ أَتَاكُمْ فَتَى... لِأَخَذَ ثَأْرَ الدِّينِ فِي مَعْشَرِ
 أَسْوَدِ حِضَابِ فَوْقَ صَافِنَةَ... فِي طَالِحِ يَسْمُوعَلَى الْمُشْتَرِي
 نَحْنُ لِلْهَيْجَاءِ أَنْفُسُهُمْ... مِنْ غَيْرِ مَا دَرَعٍ وَلَا مَغْفَرِ
 نُفُوسَهُمْ بَاعُوا وَأَمْوَالَهُمْ... يُجْنِدِ وَرُنُنَا الْمَشْتَرِي
 كُلُّ فَتَى يَا وَيْلَكُمْ بِاسِلْ... نَدَبُ هُمَامِ طَيْبِ الْعُنْصُرِ
 جَمْعُكُمْ مَا بَيْنَ قَتْلَى وَمِنْ... فِي الْقَيْدِ يَحْتَالُ بِلَا مِئْزِرِ
 مَا هِيَ بِالْأُولَى عَلَيْكُمْ لَنَا... وَمَا عَدَدْتُمْ قَطُّ بِالْحِنْصَرِ

¹ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، الجزائر، دار هومة، ص09.

² أحمد جعفري أبا الصافي، أدب المقاومة في توات دراسة في الأعلام والمظاهر، أعمال الملتقى الوطني الرابع "إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث"، جامعة أدرار، 19-20 أبريل 2010 م، ص 61.

وتلك القصيدة وغيرها كثير¹، تهب بأحقية آل عثمان لحمل راية الخلافة الإسلامية والدفاع عن حمى الدولة ومحارم الدين. وهو اعتراف ضمني بقوة الدولة العثمانية مقارنة بالدول الأخرى المتعاقبة على حكم المغرب الأقصى المتتالية التي جعلت من احتواء إقليم توات هدفا استراتيجيا لها، مرتبطا بسياساتها الخارجية، باعتباره مفتاحا وقاعدة انطلاق نحو بلاد السودان²، إلا أن هذه الرغبة في الاحتواء تعارضت مع أهالي الإقليم الذين قاوموا ورفضوا هذا التواجد مرات عديدة رغبة منهم بالبقاء مستقلين، فضلت المنطقة لقرون ما بين الاستقلال والخضوع للدولة المخزنية³.

ظهرت محاولات السيطرة المغربية الفعلية على إقليم توات في زمن الدولة المرينية (668هـ- 961هـ/1270-1554م) أثناء الصراع المرير بين أمرائها على الحكم أوائل القرن 8هـ/14م.

حاول ولي العهد الأمير أبوعلي عمر الخروج على أبيه الملك أبي سعيد (ت 731 هـ / 1331م) ، ورفض أخوه أبوالحسن نصرته، وآثر جانب أبيه، ثم كان الصلح والاتفاق على أن يرتحل أبوعلي إلى سجلماسة ويستقر بها، ومن سجلماسة توجهه نحو توات وأخضعها بالكامل سنة (716هـ/1316م)⁴، وهذا ما أثبتته صاحب الاستقصا في قوله: " وارتحل أبوعلي إلى سجلماسة سنة خمس عشرة وسبعمئة فأقام بها دولة فخيمة، واستولى على بلاد القبلة، ودون الدواوين واستلحق واستركب واستخدم طواعن العرب من بني معقل، وافتتح معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين وتمنطيت وغير ذلك"⁵.

¹ منها قصيدة نظمها الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1226 هـ / 1811 م) للغرض ذاته يقول فيها :

يَا أَهْلَ مَغْرِبِنَا هَبُوا لِقَارِعَةٍ** كَانَتْ يَسَاحَتِكُمْ وَ الْقَلْبُ وَهَانُ
أَيُّنَ الْفَوَارِسِ مِنْ عَرَبٍ وَ مَنْ عَجَمٍ** أَيُّنَ الْمُلُوكِ وَ عَدَنَانَ وَ قَحْطَانَ

ينظر: محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، القبة-الجزائر-، 2007، ص 183.

² محمد رزوق ، دراسات في تاريخ المغرب ، ط 1 ، الدار البيضاء : أفريقيا الشرق ، 1991 م ، ص 107.

³ Mario vivarer : Au Sujet du Touat, Alger : librairie Michel Ruff 1896, p 13.

⁴ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، مج 02، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978، ص 107.4.

⁵ أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954، ج 03، ص 107.

رابعا: الأوضاع الاقتصادية لمنطقة توات:

الاقتصاد شريان الحياة بالنسبة لأي نظام سياسي أو كيان إجتماعي وذلك أنه يحدد مدى ثراء المجتمع أو فقره، أما فيما يخص منطقة التوات إذ أن بُعد المنطقة وقسوة الطبيعة جعلتا الانسان التواتي يعتمد على نفسه في تأمين قوته وحاجياته وتجسد هذا الاعتماد على مختلف الأنشطة الاقتصادية التي مارسها كالزراعة والصناعة والتجارة.

أ/الزراعة:

بالرغم من طبيعة مناخ منطقة التوات الصحراوي الجاف، إلا أن الزراعة كانت أهم نشاط زاوله السكان، فقد استطاعوا تطويع مساحات وحولوها إلى مساحات خضراء.

كما أن الظروف القاسية لهذه المنطقة فرضت التحدي على الإنسان التواتي ، فقد واجه الرمال وطّوع الحجارة، فإذا هي تشقق فيخرج منها الماء، معتمدا على ذلك المياه الجوفية الوفيرة¹ التي يستخرجها بواسطة آبار منفردة أو سلسلة آبار موصولة ببعضها بطريقة عجيبة تعرف بالفقارة²، وهي نظام للسقي أبدع في التواتيون فلا يخلو منه قصر من قصورهم، وعنه يقول ابن خلدون: "وفي هذه البلاد الصحراوية غريبة في استنباط المياه الجارية ، لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى، وتطوي جوانبها الى أن يصل بالحفر إلى حجارة صلبة... ثم يجري على وجه الأرض واديا"³.

¹¹ تنتمي ولاية ادرار والتي تشكل توات جزءا منها ، إلى الحوض المائي *systeme aquifere du sahara septentrional* المقسم بين الجزائر، تونس وليبيا، تقدر مساحة هذا الحوض بمليون كلم، منها 700 ألف كلم في الجزائر ، يمثل نظام إعادة شحن هذا الحوض نحو مليار في السنة. أنظر: تقرير الوكالة الوطنية للموارد المائية المقدم للمجلس الشعبي الولائي بأدرار ، جوان 2008، ص 14 .

² **الفقارة:** جمعها فقارات او فقاقير، و هي مجموعة من الآبار الموصلة ببعضها البعض ، تبدأ بإثنين أو ثلاث من مكان مرتفع ثم تسير في سلسلة من الآبار يتناقص عمقها كلما اتجهنا نحو الحقول أو القصر ، وينتهي ماؤها جاريا في ساقية على وجه الأرض ، والغالب أن تكون الفقارة ملكا مشتركا بين أهل القصر لاشتراكهم في حفرها ، وقد تكون ملكا خاصا فيقال فقارة فلان أو بني فلان ، قيل أن أصل ها الفقارة من تفجير المياه و الأتار . ينظر: مولاي أحمد الطاهري الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 57 .وقيل أنها تشببه لصفة فقارة الظهر أي العمود الفقري. ينظر : محمد بن عمر الجعفري البوداوي، المصدر السابق، ص 14 . و في لسان العرب من الفقر وهي آبار تحفر و ينقاد بعضها إلى بعض .ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، تج: عبد الله علي كبير و آخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، ج 5 ، ص 3446.

³ عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، جزء 07، ص 77.

وعن الكيفية الفريدة التي توزع بها هذه المياه الباطنية على الحقول يقول الإدريسي: " والماء يستخرجونه من باطن الأرض بالفقاير بواسطة الآبار بكيفية عجيبة، ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب"¹.

إنّ نظام السقي في توات كان يضمن لأهلها الحد الأدنى من المعاش، ويحقق لزراعة الواحات حالة من إستقرار الإنتاج ما لم تتعرض المنطقة لجائحة كالأوبئة والجراد.

أما عن ملكية الحقول كانت تتوزع على طبقات التركيب الاجتماعية تواتية -الأشراف- المرابطون -الأحرار ولأن أكثر هؤلاء كان يرى أعمال الحرف أمرا مهينا فكان يوكل للعبيد، ومن لا عبيد له أسلم أرضه للفئة الرابعة -الحراطين- في نوع من أنواع عقود المشاركة المعروفة في الفقه، ولكن ما كان شائعا في توات هو عقد شركة الخماسة²، ومهما يكن من الجدل الفقهي الذي صار حول هذا النوع من الشراكة إلا أنه ظل السبيل الوحيد الذي حافظ للواحات التواتية خضرتها وديمومة منتوجها.

تعتبر النخيل مؤنسة الإنسان الصحراوي في بيئته القاحلة، لذلك حظيت بالعناية الكاملة منه فاعتمد عليها بشكل كبير في حياته اليومية، واستغلها بكل تفاصيلها وأجزائها فاتخذ من التمر غذاءه الأساسي، والحطب للتدفئة والطهي، والجذوع لتسقيف البيوت، والألياف لصناعة الحبال والسعفة لصناعة القفاف وغيرها.

وتشير المصادر المحلية إلى وفرة المحاصيل الزراعية خاصة محصولي التمر والقمح والشعير، إذ هي المحاصيل التي عنى بها الفلاح في المنطقة، إلى جانب محاصيل أخرى ثانوية كالبصل والقطاني والفضة -علفا للدواب- والخضر وأشجار العنب والتين والرمان³، وقد أدت وفرة المحاصيل إلى

¹ احمد الطاهري الادريسي، المصدر السابق، ص 12.

² الخماسة: هي أن يساهم الخماس بعمله ويقدم صاحب الارض ارضه والبذور والمصاريف، وله خمس المحصول. ينظر: محمد فتحه النوازل الفقهية والمجتمع في تاريخ الغرب الاسلامي بين القرن 12- 15 م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999، ص 380.

³ محمد بن عبد الرحمن البلالي، غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط بجزانه ملوكة، ادار، الجزائر، ص 160-

السعة في العيش، وهي الحالة التي وصفها العياشي لما زار المنطقه في القرن 11 هـ / 17 م قائلا: "واشترينا ما نحتاجه ونحتاج إليه من التمر، من التمر أنواع كثيرة ووجدنا فيها التمر خيصة"¹.

تميزت كميات المحاصيل بالتغير زيادة أو نقصان من سنة لأخرى فالتمر مثلا بلغ إنتاجه في توات سنة 1211 هـ / 1797 م، 10841 حملا، بينما وصل في العام التالي 1212 هـ / 1798 م، 59775 حملا من التمر².

ويرجع سبب التغير في كميات المحاصيل من سنة الى اخرى الى الطرق التقليدية المنتهجة في ذلك الوقت والتي كانت تكاد تنعدم فيها حماية المحاصيل من الكوارث والآفات الطبيعية المتعددة كالجراد والرياح والأمطار الغزيرة وغيرها.

ونتيجة لهذه الكوارث كان من الطبيعي أن يحصل غلاء العيش، ففي سنة 1007 هـ / 1659 م، ضربت توات مجاعة كبيرة بسبب الجراد، بيع خلالها الرطل الواحد من التمر بمثلث ونصف ذهب³.

أمّا الثروة الحيوانية فلم تكن بالأعداد الكبيرة لعدم وجود المراعي ولذلك اقتصر على التربية المنزلية المحدودة لأعداد من الأغنام وشيء من الدجاج، ويعتبر الجمل أساسي للعائلات إذ يستخدم في المسافات البعيدة بفضل قدرته على التحمل إضافة إلى الحمير التي لا يكاد يخلو منها بيت لاستعمالها الكثير في الحياة اليومية، أما الخيول فكانت توجد عند العائلات الميسورة الحال.

كان لاهتمام التواتيين بالزراعة الأثر الحسن على الحياة العلمية بمنطقتهم، فقد أوقفوا للزوايا والمدارس القرآنية العديد من البساتين ومياه الفقاقير، إذ لا يكاد يخلو قصر من دار للوقف وبستان وفقارة، إضافة إلى تشجيع الآباء لأبنائهم من حفظة القرآن وطلبة العلم بتقديم لهم نخيل أو بساتين أو أحيانا خروفا أو شاتا تكريما وتشجيعا لهم.

¹ العياشي، المصدر السابق، جزء 1، ص 20.

² عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص 27.

³ نفسه، ص 177.

ب/الصناعة:

تميزت الصناعة في منطقة التوات بطابعها المحلي الذي يعتمد بشكل شبه كلي على الموارد الحامة المحلية سواء كان مصدرها نباتي أو حيواني أو حتى طبيعي كأنواع الحجارة والصلصال.

وقد استعملت مكونات النخلة بصفة خاصة في كثير من المصنوعات والحرف الصحراوية وهو ما يعكس ما ذكرناه -أنفا- عن اهتمام الإنسان الصحراوي بالنخلة اهتماما منقطع النظير، إذ أحصى البعض 140 فائدة للنخلة ومن بين هذه الفوائد في مجال الصناعة نجد الأبواب والنوافذ، الأقفال، الموازين، القفاف، القيود، الحبال، عقال الدابة، والكثير من الأدوات المنزلية كالمراوح اليدوية والحصائر، الصناديق الخشبية، المغازل، الأطباق، المكناس، الاسرة، النعال، وغيرها¹.

ولم تختصر المصنوعات التواتية من حيث موادها الخاصة على الأصول النباتية، بل استخدمت أيضا جلود الحيوانات كالإبل والماشية في كثير من الصناعات، كالتقرب التي استخدمت لحفظ الماء واللبن والنعال وتغليف الكتب والمحافظ الجلدية، وغيرها كما استعملت صوف ماشية ووبر الجمال في النسيج.

أما الموارد الطبيعية كالحجارة فاستغلها السكان عن طريق النحت وجعلها أشكالاً كالرحى لطحن الحبوب وأخرى بشكل مغاير لتكسير النوى وتحضير علف الماشية أو أخرى في شكل مهاريس في صناعة خلطات التوابل والأعشاب.

إضافة إلى ما ذكر من الصناعات التي عرفها التواتيون فقد عرفوا صناعات أخرى اعتبرت أكثر تطوراً حينها وأكثر اختصاصاً كصناعة الحلبي الفضي بشكل كبير والذهبي بشكل أقل منه، إضافة إلى الأدوات الحديدية والنحاسية والأواني الفخارية والطينية².

وقد انتصبت لهذه الصناعات والحرف أسواق ومحلات وأماكن أخرى معروفة كما اختصت بها عائلات وفئات محددة كفئة الطوارق التي اشتهرت بامتھان أعمال الحدادة.

¹ محمد باي بالعالم، المرجع السابق ج 2، ص 76.

² Rig (capitaine), L'artisanat a Tamenti, Institut de recherche sahariennes, Alger, 1961, p157

كثرت هذه الصنائع وانتشرت بصفة خاصة في المدن الكبرى آنذاك كتيميون وبودة وتيمي وتمنطيط ويصف ابن بابا حيدة انتشار الحرف في تمنطيط قائلا: "كان بها ثلاثمئة وستون صائغا، وعدد كبير من الحدادين النجارين"¹.

إنّ انتشار ما ذكرناه من صنائع وحرف المدن والقصور التواتية ساعد على استقرار الناس بها وتأسيس مساجد وزوايا أسهمت في تنشيط الحركة العلمية بالمنطقة.

ج/التجارة:

إنّ موقع توات بوسط صحراء جربة جلب لها كل ما يحل بتلك الفيافي، فيتخذ من توات إما معبرا أو موطنا فتنوعت بها بسبب ذلك الأجناس وكثر عدد السكان بها، زادت قصورها مما وفر لمن يمتنون التجارة سوقا استهلاكية واسعة ومرجحة، فراجت بها التجارة وكثرت فيها الأسواق وذلك ما شهد به من زار المنطقة من الرحالة، حيث يذكر الحسن الوزان² الذي زار توات سنة 917 هـ/1511 م أنه في توات تجتمع القوافل من البربر مع تجار بلاد السودان وتقام هناك أسواق كبيرة، وهو المشهد نفسه الذي أشار إليه العياشي³ فيما بعد عندما حل بالمنطقة سنة 1072 هـ/1961 م، وكذلك الأغواطي⁴ حينما زار تيميون مطلع القرن 19 ووصف سوقها.

هذا الوصف الذي أشار إليه الرحالة، لم يكن ليتجسد لولا ما ذكرناه عن موقع توات الإستراتيجي إضافة إلى توفر الأمن فيها خاصة للأجانب وذلك ما حكى عنه الوزان بقوله: "... وكثيرا ما يتقاتلون بينهم إلا أنهم لا يمسون الغرباء بسوء..."⁵.

مما جعلها هؤلاء الغرباء يتخذون من توات معبرا لرحلاتهم ومسلكا لقوافلهم التجارية، فكانت بذلك توات معبر القوافل ونقطة التقائها بل وأصبحت منطلقا للركب التجارية المحلية التي يديرها أصحابها بأنفسهم أو يختارون من يسيرها نيابة عنهم في رحلة الشتاء إلى بلاد السودان⁶.

¹ ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 14.

² الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133.

³ العياشي، المصدر السابق، ص 20.

⁴ أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات - رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين-، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص 93.

⁵ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133.

⁶ عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 70.

وقد كان المسلك الذي يربط توات بتفيلالت وسلجماسة ومراكش بالمغرب الأقصى أنشط المسالك الصحراوية التي تمر بتوات، حيث كان التجار التواتيون يملون عليها محملين بالسلع التي جلبوها من بلاد السودان، والمتمثلة أساسا في الذهب الخام وريش النعام والعادي والأقطان والعييد، لأجل مبادلتها بالخيول والأسلحة والفواكه المجففة والملابس المطرزة، كلها تحمل إلى أسواق توات¹.

وهناك مسالك أخرى من غير المسلك السابق الذكر وهي منتشرة عبر الصحراء الجزائرية أوفي مختلف الجهات وأهمها:

✓ **المسالك الشرقية:** وهي التي تربط توات بتونس وطرابلس الغرب مرورا بوادي ميزاب أوبفزان وغدامس.

✓ **المسالك الغربية:** وهي التي تربط توات بفاس² وهي أنشطة المسالك - كما سبق ذكره - وتمر بإقلي بواد الساوراة أوعن طريق وادي درعة بالمغرب الأقصى أو عبر وادي ميزاب وتلمسان، ويذكر الوزان أن تسايت تقع على الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان إلى أقدز في بلاد السودان³.

✓ **المسالك الشمالية:** التي تربط توات بالمدن الكبرى الجزائرية فمع قسنطينة عبر وادي ميزاب وعبر وادي ميزاب نفسه نحو الجزائر، ومع وهران عبر إقليم ومشرية.

✓ **المسالك الجنوبية:** وهي ذيل التكملة ذهابا وإيابا، للمسالك التي ذكرناها كذلك شهدت بها حركة القوافل المتجهة نحو مدن السودان الغربي كتمبكتو وقاو وأماهور، فالمسلك الذي يربط توات بتمبكتو يمر بحاسي حسدة وتنصر وتاودني، أما الممر الرابط بين توات وقاو بمرور أبرق تنزروفت وتبنكورت، والذي يربط المنطقة التواتية بأماهور فيمر بإقلي وتجنوت.

¹ فنج محمود فنج، المرجع السابق، ص 70.

² فاس: أهم مدن المغرب الأقصى، أسسها السلطان ادريس الثاني بن ادريس الأكبر سنة 192هـ/808م بعد ان ضاقت مدينه وليلي عاصمه الأدراسة الأولى بساكنيها، وهي مدينتان عدوة القرويين وعدوه الاندلسيين. وقد تصاعدت عمارتها وتفجرت عيونها واستمر اشعاعها زمنا طويلا، خاصة بعد تأسيس جامع القرويين اما اسمها فقليل بسبب حمل السلطان فاسا ييدا به الحفر ويحتط به الاساسات، وقيل بسبب العثور على فاس كبيره اثناء الحفر، وقيل بتغيير وقلب اسم مدينه قديمة كانت هناك منذ الف سنه واسمها ساف. ينظر:

³ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 133.

وبما أن توات همزة الوصل بين مدن الشمال ببلاد المغرب وبلاد السودان فقد كان من الطبيعي أن تنشئ فيها أسواق داخلية تدعم التجارة الخارجية حيث أدت تلك الأسواق دورا هاما في حياة السكان الذين وجدوا فيها حاجياتهم الاستهلاكية، كما اتخذها التجار مكانا لعقد الصفقات والمبادلات التجارية، واستغل قصورها ووحاتها للتجمع لتشكيل جديد أو لتنظيمها لمواصلة سيرها ثم نحو الجهات الأخرى، ومن أشهر الأسواق بتوات:

■ **سوق تيميمون:** ساهم في ازدهاره موقعه على الممر الرابط بين توات والصحراء أو الواحات الشرقية وكذلك طرابلس وتونس وقسنطينة والجزائر، وهو السوق الذي وصفه الرحالة الأغواطي أنه سوق عظيم يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة، ويبيع تراب الذهب بوزن المثقال بالواقية¹، وقد اكسب هذا السوق سكان المنطقة الغنى بفضل التقاء التجار ببلدهم واعتيادهم الذهاب الكثير بسلعهم إلى بلاد السودان، حسب ما شاهده الوزان².

■ **سوق تمنظيط:** كان من الطبيعي أن تزدهر اقتصاديا فهي المدينة التي اجتمعت فيها السياسة والعلم فكانت بمثابة عاصمة التوات آنذاك يرجع إليها الناس في قضائهم وتعلمهم وكذا تجارهم فهي كما وصفها ابن خلدون محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان³، فانتصبت بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع⁴.

■ **سوق عين صالح:** ساهم في ازدهار المدينة وانتعاش سوقها الذي كان يقام في أكبر قصورها "قصر العرب"، موقعها الذي هو مركز عبور ركاب التجارة المترددين على بلاد السودان لشراء العبيد وتراب الذهب⁵، وكذلك هي ممر قوافل الحجيج الوافدة من قصر أقبلي والتي كانت تمكث أياما بالمدينة⁶.

¹ أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، مرجع سابق، ص 93 .

² الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 133

³ عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 77.

⁴ ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 43 .

⁵ أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات، مرجع سابق، ص 94

⁶ عبد الرحمان بن عمر التلاني، رحلة حجية لعام 1188 هـ، مخطوط بخزانة قصر عبد الله، تيمي، أدرار، ص 03 .

إضافة إلى هذه الأسواق التي هي أشهر أسواق توات، هناك أسواق أقل شهره منها عدت بمثابة القلب النابض للنشاط الاقتصادي في المنطقة، لذلك لم تخلو مدينة أو قصور توات منها¹.

إنَّ المبادلات التجارية التي شهدتها توات لم تختصر على ما ذكرناه من سلع بل تعدت إلى تجارة الكتب والمخطوطات، فالوزان يشير أن تنبكتو التي طريقها التجاري رئيسي يمر بتوات تباع بها مخطوطات كثيرة تأثر من بلاد البربر، وتدر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع².

إن موقع توات على الطريق التجاري الذي تسلكه القوافل التجارية وركب الحجيج، جعل علمائها يستفيدون من العلماء الذين يركبون الطريق للتجارة أو للحج، فكانوا يعمدون إلى نسخ كتبهم التي يحملونها معهم أو شرائها أحيانا.

¹ فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 63.

² الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 167.

المبحث الثاني:

مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة توات

أولاً: المؤسسات التعليمية:

كانت دعائم النهضة العلمية التي عرفتها المنطقة خلال العصر الحديث المؤسسات من التعليمية التي انتشرت في ربوع توات، وكان التعليم في هذه المؤسسات يتم وفق ما تقتضيه كل مرحلة من مراحلها بدء بالكتاب ثم المسجد والزاوية إضافة إلى مدرسة جمعت بين وظائف الكتاب والزاوية وهي المحضرة.

أ. الكتابات:

الكتابات لغة جمع كُتِّب بضم الكاف وتفخيم التاء الممدودة ومنه المكتب وهو موضع للتعليم، والكتَّاب هم الصبيان الذين يكتبون، يقول عبد العزيز سيد أعمر المهداوي صاحب كتاب قطف الزهرات في أخبار علماء توات: " فلما دخلت من التعليم أدخلني والذي مكتب القرآن عند عمنا ومقرئ بلدنا"¹، وهي كما عرّفها أحمد الأزرق: " ذلك المكان الذي يتلقى فيه التلميذ دروسه الأولى وترتيبه الأساسية على يد الشيخ"².

والكتاب عبارة عن بناء أو مجموعة من الأبنية يقوم بينائها الخواص في غالب الأحيان لبساطتها، أو يقوم بعض المعلمين باستئجار بيوت تتخذ مكانا للتعليم أو تقوم جماعة من الناس ببناء منازل أو غرف قرب المسجد احتسابا لله.³ وتطلق عليها أسماء مختلفة كالجوامع بتوات الوسطى و"أقريش" بتوات الوسطى كذلك وتيدكلت و"المحضرة" بقورارة، ولا تكاد تخلو قرية أو قصر من الكتاب، إذ هو بمثابة المرفق العمومي يلتحق به الصبي منذ بلوغه سن الرابعة أو الخامسة من عمره، فيتعلم هناك الحروف الهجائية وكتابتها وحفظ ما يتيسر من سور القرآن الكريم، ولا

¹ عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط 2، دار هومة الجزائر، 2002، ص 09.

² الأزرق أحمد، الكتابات القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 27.

³ الونشريسي احمد، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، تج: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 155.

يقتصر دور الكتاب على تعليم الصبي فقط بل تربيته وضبط سلوكياته من خلال غرس القيم النبيلة التي هي من أبرز سمات الكتاب وأهمها:

الروح الجماعية: باعتبار أن الكتابات توفر لطلبتها العمل في جماعات أو محاكاة عمل الجماعة وذلك بوجود التفاعل بين الأفراد وتوفر أهداف مشتركة.¹

الاشتراك: يبرز في وجود قاسم مشترك بين أعضاء هذه المدارس ووجود تجانس نفسي يمكنهم من التفاهم والتقارب واحترام بعضهم البعض، حيث أكد " فروي دان " أن وجود اهتمامات مشتركة بين أعضاء الجماعة يولد بينهم شعورا بالوحدة والتضامن.²

التنافس: نظرا لكون هذه الكتابات تسعى لتحفيز طلابها القرآن الكريم، فمن الطبيعي أن يوجد تنافس يؤدي إلى المثابرة والجد من طرفهم، وهذا راجع للمكانة التي يحظى بها حافظ كتاب الله ففي المجتمع من خلال إقامة حفلات خاصة به وكذلك الولائم فرحا به، مما يجلب فخرا لدى الأولياء.³

ونتيجة لكل ما سبق، فالكتاتيب توفر تعليما قاعديا للمبتدئين، لذا كانت هذه المرحلة ضرورية لكل طالب لأنه بدونها لا يتأهل لمزاولة الدراسة في بقية المراحل⁴، إلا أنها ورغم تاريخها الطويل فإنها لم تشهد تطورات ملموسة من حيث بنيتها التحتية.⁵

1 جابر عوض السيد، العمل مع الجماعات (أساسيات، مبادئ، نماذج)، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1999، ص 73.

2 مصطفى سويف، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، دراسة ارتقائية تحليلية، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 302.

3 بكرأوي عبد العالي ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية -الكتاتيب- في الحد من ظاهرة العنف، أعمال الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 2، يومي 07-08 ديسمبر 2001، العدد 04، ص 212.

4 بوكراييلة الزهراء، الرحلة التجارية بين إقليم توات والسودان الغربي ودورها في تمتين الروابط الثقافية ما بين القرنين 7هـ، 10هـ / 13م، 16م، رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2010-2011، ص 88.

5 فاطمة مسدالي، مكانة الكتابات القرآنية في التعليم الأولي بالبادية المغربية، مجلة البحث العلمي، المغرب، العدد 51، يناير 2009، ص 60-61.

ب. المساجد:

المساجد جمع مسجد، وهو من الفعل سجد، وسجد الرجل بمعنى انحنى إلى الأرض، وأما المسجد فإنهم جعلوه اسماً للبيت¹، ويقال مسجد بكسر الجيم أي مصلى الجماعة²، والمسجد للصلوات العادية غير الجمعة.

أما الجامع فيعني المسجد الكبير الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة وهو أكبر حجماً من المسجد.

وقد أولى سكان توات أهمية كبرى لإقامة الشعائر الدينية في المسجد، إذ تعتبر هذه المؤسسة الدينية من بين المرافق التي توجد في كل قصر، لم تقتصر وظيفة المسجد أو الجامع في القصور التواتية على الشعائر التعبديّة، بل كان لها إسهام بارز في التعليم وإشاعة المعرفة لاسيما الشرعية منها، من خلال حلقات العلم التي كانت تعقد للعامّة، ودروس وخطب الوعظ والإرشاد الديني المقترن بعبادات مخصوصة، إضافة إلى الورد القرآني اليومي المعروف بالحزب الراتب، الذي يجتمع لتلاوته الرجال والصبية في وقت يختلف من لأخرى قبل العصر أو بعد المغرب أو قبل العشاء، وربما قرئ لعارض بعد الإسفار³، وله الفضل في تحفيظ القرآن للكبار والأميين خاصة، ونظراً لدورها الأساسي كذلك في التأطير الروحي والتوحيد التربوي للصغار، فقد انتشرت بالمنطقة منذ فترة دخول الإسلام إليها.

ومن أهم الأمثلة، المسجد القديم بزاوية كنتة لسيدي علي ابن أحمد الذي بناه الكنتيون⁴، ومسجد قصبه ملوكة الذي شيد في القرن السابع عشر ميلادي (11هـ) من طرف الإخوة البلياليين.¹

¹ ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مج3، نشر أدب الحوزة، إيران، 1405هـ، ص204.

² محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 2000، ص282.

³ محمد جواد، نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق رسالة دكتوراه، إشراف سعاد سطحي، جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، كلية أصول الدين والشرعية والحضارة الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، قسنطينة 2011/2010، ص70.

⁴ محمد حوتية، توات والأزواد، المرجع السابق، ص80.

ويقع في واحة تيمي قرب قصر أولاد وانقال المسجد القديم للشيخ أحمد ابن يوسف التينيلاني² الذي أسسه خلال السادس عشر ميلادي (10هـ)³، ومنطقة تيدكلت في نواحي تمقطن مازالت آثار قصر قديم يعرف بقصر الشارف، ويضم بداخله مسجدا عتيقا، وبنفس الناحية يوجد مسجد قديم شيد في منطقة أولف يعرف مسجد أبي سعيد الحدري⁴. وأما بناحية قورارة⁵ فتوجد أمثلة عديدة لجوامع ومساجد عتيقة بالقصر القديم بتيميمون وتسمى هناك بالجوامع العتيقة، ولعل أهمها مسجد قصر تيميمون الذي يسمى بالجامع العتيق لقصر أغرم أقبور، وغير بعيد عن الجامع العتيق يوجد مسجد أولاد الهادي، وتوجد أيضا مساجد قديمة أخرى في قصور كل من تيميمون، شروين، بادريان، وأولاد سعيد.

كانت هذه المساجد وأمثالها منذ نشأتها مؤسسات دينية يلتقي فيها العباد، ومنشطة للحياة العلمية والاجتماعية، والمسجد في نفس الوقت قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة.⁶

ج. الزوايا:

تعتبر الزوايا بالمنطقة التواتية من أهم المراكز الحضارية التي نشطت الحركة التعليمية وأعطت نمطا خاصا للتعليم وفق مناهج ومقررات معينة تختلف عما كان في سابقتها خاصة من ناحية العمق وتوسيع المعارف ونظام التعليم، وكانت هذه الزوايا تجمع بين الوظائف التعليمية إلى جانب الوظائف الدينية والاجتماعية.

¹ عليق رجة قصر ملوكة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعة 2001-2002، ص 55.

² يذكر الباحث مارتان أن الحاج أحمد بن يوسف التينيلان انتقل في سنة 1513م من قصر أولاد ونقال إلى قصر تينيلان وأسس زاويته هناك وكان مشهورا في توات بحبه للعلم.

³ J. C(Echalier), Notule sur une mosquée du Touat, un le saharien, Paris, 1-2 trim. 1969, p 19.

⁴ قادي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، (د.ن)، الجزائر، ص 26.

⁵ قورارة: تقع منطقة قورارة على بعد 1200 كم جنوب الجزائر العاصمة، يحدّها من الشمال الأطلس الصحراوي، ومن الشرق هضبة تادميت، ومن الغرب العرق الغربي، ترتفع على مساحة تقدر بـ 24.720 ميلا مربعا. انظر: عبو الطاهر، التعايش اللغوي بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري: الزناتية والعربية بمنطقة قورارة أمودجا، مجلة رفوف، مج 08، ع 02، 2020، ص 181.

⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ج 1، ص 246.

والزاوية لغة جمعها زوايا وهي من الفعل زوى، يقال زوى الشيء أي جمعه وقبضه¹، وسميت بذلك لأنها تجمع العلم والضيوف والفقراء، وعند الصوفيين هي مكان التقاء الشريعة بالحقيقة.² وقيل أن الزاوية تعني الركن أو المكان المنعزل، فهي مشتقة من الفعل الزوى بمعنى اتخذ ركنًا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد أو آوى إليه³.

أما في الاصطلاح فقد عرفها ابن مرزوق التلمساني بقوله: "... والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين..."⁴ وبالتالي هي مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وقد سميت بدار الكرامة أو دار الضيوف⁵، حيث يشرف عليها الشخص في حياته، وبعد وفاته يشرف عليها ورثته أو من يعرفون بالمقدمين وفق ترتيبات خاصة بالزاوية⁶، وعلى هذا المفهوم فقد ألف الشيخ باي بلعالم⁷ أبياتا جاء فيها:

أما الزوايا فهي ركن يبنى *** كدير أو صومعة في المبنى
وفي شمال القارة السمراء *** ينمى لما خص بالأولياء
وقيل اسم لبناء قد جمع *** مدرسة وغرف لها تبع
فيجد فيها الطالب مثوى *** وهي للضيوف أيضا مأوى

أما عن نشأة الزوايا في منطقة توات فهي مرتبطة بتاريخ عمارة المنطقة ونشأة قصورها أو حسب العائلات التي ساهمت في تكوينها ويتجلى ذلك في أسماء القصور التي تحمل أسماء الزوايا

¹ الرازي زين الدين، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر وحمزة فتح الله، دار البصائر، دمشق 1987، ص 278-279.

² ميلود سرير، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، فرقة بحث جامعة أدرار، الجزائر، 2000، ج 2، ص 29.

³ بوسليم صالح، مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13هـ بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة الواحات، عدد 9، جوان، غرداية، المركز الجامعي 2009، ص 99.

⁴ محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغرا، تخلص: محمود بوعبياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 413.

⁵ محمد حجي، الزاوية الدلالية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية الرباط، ط1، 1964، ص 25.

⁶ عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيره في بلاد السودان الغربي بين القرنين 9-10هـ / 15-16م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف بشار قويدر، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 122.

⁷ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة التوات بذكر بعض الاعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار هومة، الجزائر، ص 160.

مثل زاوية الحاج بلقاسم وزاوية الدباع، وزاوية الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي، وزاوية حينون، وزاوية مولاي هيبية.¹

وقد انتشرت الزوايا بتوات نظرا لوقوعها على الطريق التجاري الرابط بين المغرب وبلاد السودان الغربي بسبب شساعة مساحة المنطقة وصعوبة مسالكها، فقد تحولت المنطقة التواتية إلى مكان لإطعام عابري السبيل والتكفل بركب الحجيج والقوافل التجارية، والتعبد ونشر العلم، هذه الأدوار التي توزعت على زوايا المنطقة فاحتضت كل زاوية بدور منها أوالجمع بين عدد من هذه الأدوار، وبذلك صنفت الزوايا في توات إلى صنفين:

زوايا مخصصة للإطعام: هدفها استقبال الضيوف وإطعام عابري السبيل، يقصدها الغرباء والتجار والحجيج للراحة وتناول الطعام، فالمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه لأن في كل قصر من قصور توات عادات فإن كان في القصر زاوية، يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج علف الدواب... وإن لم تكن زاوية فإن أهل القصر لهم عادة وتوبة لكل واحد منهم ولا يختلف هذا النظام ولو أقام الضيف مدة طويلة.²

ويتحدث العياشي عن زاوية الشيخ عبد الله بن طمطم³ بأوقروت كمثال عن زوايا الإطعام قائلا: "... وقد أتى أصحابنا عنه كثيرا وأنه من أهل الخير والدين يطعم الواردين عليه، في بلاد كاد الطعام أن يكون فيها دواء".⁴

إلا أن غالبية هذا النوع من الزوايا قد مارس بعد فترة من تأسيسها أنشطة تعليمية وأخرى اجتماعية وذلك بجلوس شيوخها للتدريس والإفتاء.⁵

¹ محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، المرجع السابق، ص ص 234-235.

² مولاي أحمد الطاهري، المرجع السابق، ص ص 234-235.

³ عبد الله بن طمطم الدغامشي: كانت له زاوية مشهورة من أهل الخير والدين، يطعم الواردين عليه في بلاد كاد أن يكون الطعام فيها دواء، مما تواترت به الأخبار عنه، أنه كان لا يترك أحدا من المظلمة يأكل من طعامه، اشتهر بقوله وعلمه، كان له حال مع الله عز وجل. انظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، مرجع سابق، ص ص 1747-1748.

⁴ العياشي، أبو سالم، ماء الموائد (رحلة العياشي)، مخطوط بخزانة المطارف، ج 1، ادرار، الجزائر، ص 12.

⁵ مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين قوات والسودان العربي خلال القرن 12 هـ، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2000، ص 34.

الزوايا التعليمية: وتعرف بالمدارس القرآنية أو المدارس الفقهية، يلتحق بهما الطلبة بعد اختيارهم مرحلة الكتاب ليستكملوا حفظ القرآن الكريم ودراسة علومه والفقه والنحو والحديث. وكانت ولا تزال هذه الزوايا توفر المأكل والمبيت للطلبة الوافدين عليها من الجهات المتباعدة، وهو ما حمل عبئا ماليا إضافيا على شيخ المدرسة، فكان من حلوله الاستفادة من الخدمات (المأكل والمأوى) التي تقدمها الزوايا الصوفية¹، وهي أسبق وجودا بالمنطقة للمريدين والزوار وعابري السبيل، فوفرت الزاوية للمدرسة حاجة التلاميذ ووفرت المدرسة للزاوية مزيدا من المريدين، وهكذا بدأت العلاقة تكاملية، وفي زاجلو بتوات تجسدت صورة هذا التكامل بين زاوية الشيخ علي بن حنيني الصوفية وبين مدرسة الشيخ محمد العالم الزجلوي العلمية، ثم انتهت العلاقة إلى حلول إحداها في الأخرى، وآل الأمر إلى توحيد المشيختين العلمية والصوفية.²

وتجدر الإشارة إلى أن الزوايا التعليمية التي اعتمدت كذلك في تمويلها على المحصولات الزراعية وما يرد إليها من ثمار في بعض البلدان بالإضافة إلى عائدات الأوقاف التي كانت توقف عليها من قبل المحسنين.³

❖ وظائف الزوايا:

تعددت مهام الزوايا لتشمل مجالات عديدة منها الثقافية والاجتماعية، ففي المجال الثقافي لها باع طويل في نشر الثقافة العربية والحفاظ عليها وتعليم العلوم الشرعية واللغوية وحفظ العلوم في خزائن المخطوطات وغيرها من الأدوار التي أشرت لها ألفا.

¹ أحمد البوزيدي، مؤسسة الزوايا بوادي درعة القرنين 10-11هـ / 16-17م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة أمل: التاريخ والثقافة المجتمع، المغرب، عدد مزدوج 19-20، السنة السابعة، 200، ص 37.

² محمد جرادي، نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، إشراف سعاد سطحي، جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الفقه واصوله، قسنطينة، 2010/2011، ص 72.

³ محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 323.

أمّا في المجال الاجتماعي، فالزوايا مأوى للأيتام والضيوف وعابري السبيل، ولها مساهمة فعالة في تقوية العلاقة بين أفراد المجتمع من خلال إصلاح ذات البين، والقيام بتنظيم رحلات الحجيج، ومعاونة الفقراء في الأعراس والقيام بالختان الجماعي.¹

وإضافة إلى هذه الأدوار الدائمة فهناك دور قامت به الزوايا بالسر والعلن كلما دعت الحاجة إليه وهو الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله، فالزوايا بهذا الدور تكون قد احتوت مهمة الرباطات وزادت عليها بما أشرنا له من أدوار علمية واجتماعية.

فإذا كانت الرباطات قد أنشئت أول الأمر بالمشرق في عهد الدولة العباسية وهي عبارة عن تكتلات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن الدولة ودفع المغيرين والمهاجمين عليها من النصارى كأرطة العباسيين بتغور الشام، فإن الرباط الجزائري كان أكثر نفعا أبعد أثرا إذ أن مهمته لا تقتصر على الدفاع فقط.²

ومن أهم الزوايا في المنطقة التواتية ما يلي:

☒ زاوية الشيخ سليمان بن علي:

وهي أقدم زاوية بالمنطقة أسسها الشيخ سليمان بن علي الذي قدم إلى توات من فاس سنة 1184هـ/580م، واستقر بأولاد وشن، بدأ تعليمه وتدرسه للطلبة قبل تأسيسه للزاوية بداية 1185هـ/581م، وأسس زاويته سنة 1199هـ/595م، وبدأ يعلم القرآن وعلوم اللغة والعقيدة والتوحيد، فالتفّ السكان حوله ووثقوا به وعمل على نشر فكره الصوفي من خلال الأوراد التي لقتها لأتباع زاويته الذين انتشروا بكامل الصحراء وبلاد السودان الغربي³، وقد حبس أملاكه للزاوية التي جمعت بين تغذية الروح والجسد، وتعتبر مقراً للعلم والتعليم ومكاناً للعبادة والتصوف،

¹ على بومدين، الفنون والعادات التقليدية وأهميتها في التنمية البشرية، دراسة نموذجية لمنطقة توات، مذكرة ماجستير في الفنون قسم الثقافة الشعبية، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2009 – 2010، ص 125.

² خير الدين شترة، محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر، ج1، دار ابن الطفيل، الجزائر، 2011، ص 78.

³ المحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012، ص ص 60-61.

وكانت مقصدا لقوافل الحجاج التي كانت تقصد الزاوية للراحة، وقد احتوت هذه الزاوية على مكتبة تنوعت عناوينها وتعددت مضامينها، من كتب فقه ونحو وتفسير وطب وفلك وحساب...¹

☒ زاوية الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي:

يعتبر الشيخ المغيلي هو المؤسس لها بعد ما رحل من تمنطيط اثرا الخلاف الذي حصل له مع العصنوني قاضي الجماعة التواتية حول نازلة يهود توات فأثر الرحيل، إلى واحة بوعلي أين أسس هذه الزاوية عام 885هـ /1480م وبدأ النشاط العلمي بها، وسرعان ما جمعت هذه الزاوية بين المهمة التعليمية والمهمة الجهادية، حيث كانت قاعدة لانطلاق جيش المغيلي لضرب قواعد اليهود بتازولت وتاخيفت وتمنطيط، كما كانت ذات ورد صوفي قادري انتشر في منطقة السودان الغربي مما دعم نفوذها في هذه المناطق، توجد بهاته الزاوية خزانة للعديد من المخطوطات والمؤلفات أهمها مؤلفات الشيخ المغيلي، بالإضافة إلى أوقافها والمتمثل في أراضي وبساتين ونصيب وافر من مياه الفقاقير.²

☒ الزاوية البكرية:

يرجع تاريخ العائلة البكرية الى ميمون³ بن عمر بن محمد بن عمر الباز الذي ولد بفاس وأخذ عن علمائها كابن غازي، حلّ بتوات سنة 909 هـ/1503م وعاصر قاضيها عبد الله العصنوني وصاهره وبعد الشيخ ميمون أول من أدخل كتاب مختصر خليل للديار التواتية⁴، بعد حادثة وقعت له مع أهل توات فرحل إلى فاس فاشتره بأربعين مثقالا ذهباً وقدم به لتوات فاستحسنه العلماء وأقبلوا عليه مما زاد من شهرة الكتاب ومن ورائه الشيخ ميمون الذي أصبح منارة للعلم وانتفع به أهل المنطقة إلى أن توفي، وحمل لواء العلم بعده أبناءه وأحفاده منهم العالم عبد الكريم بن أحمد

¹ بن حويبا إدريس، خزانة مولاي سليمان بن علي والمخطوطات المتواجدة بها، دراسة وصفية، الملتقى الوطني الثالث حول البحث العلمي ودوره في خدمة التراث، جامعة أدرار، أبريل 2008، ص 118.

² الحمدي احمد، المرجع السابق، ص 62-63.

³ عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ص 106.

⁴ طموز عبد الكريم، تحقيق فهرس شيوخ عمر بن عبد القادر التلاني، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، اشراف: بوبة مجاني، 2010/2009، ص 41.

بن أبي محمد الذي تصدر للتدريس في تمنطيط فتخرج على يديه العديد الطلبة من أهمهم ابنه محمد بن عبد الكريم¹، المتوفي سنة 1092هـ / 1681م وابنه البكري² بن عبد الكريم المتوفي 1133هـ / 1721م، هذا الذي أسس الزاوية البكرية³ سنة 1117هـ / 1705م في تمنطيط، والتي استمرت في بث العلم وتخريج العلماء الذين أثروا الساحة العلمية بتوات طيلة القرنين 11 و 12 هـ / 17 و 18م منهم أبناء الزاوية البكرية كالقاضي عبد الحق بن عبد الكريم قاضي توات، والحسن بن سعيد البكري والشيخ محمد البكري محمد بن بن عبد الرحمن، أما من غير العائلة البكرية تذكر منهم احمد بن يوسف الونقالي⁴، ثم التنيلاي الذي أسس زاوية تنيلان والتي تصدرت الساحة العلمية خلال القرن 11 وبداية القرن 12 هـ.

☒ زاوية تنيلان:

أسس هذه الزاوية الشيخ أحمد بن يوسف الونقالي، ولد بأولاد أنقال⁵ سنة 102هـ 1593م أخذ العلم عن عالم توات عبد الكريم بن أحمد بتمنطيط، رحل عن أولاد أنقال بعدما لقي مضايقات من أحواله فذهب إلى موضع تنيلان وأسس هذه الزاوية يوم 11 رمضان 1058 هـ / 1648 م وبني جامعها وحفر فقايرها وعمر قصرها.⁶

شهدت الزاوية أزهى أيامها وعطائها في فترة عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنيلاي الذي زار فاس ونهل من علمائها وبعد رجوعه إلى تنيلان تصدر التدريس فيها سنة 1129 هـ / 1717م فعرفت هذه الفترة قدوم عديد الطلبة للتعلم فيها من مختلف أرجاء الصحراء نظرا

¹ عبد الحميد بكري، مرجع سابق، ص 122.

² بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات، رسالة ماجستير، اشراف أ.د عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الاجتماعية والاسلامية، جامعة ادرار، 2011-2012، ص 49.

³ انظر الملحق رقم 11.

⁴ طموز عبد الكريم، مرجع سابق، ص 43.

⁵ وهي حي تابع لأحياء مدينة أدرار مختلط بوسط المدينة أدرار يشتهر بضريح العالم الونقالي.

⁶ باعثمان عبد الرحمن، الدور العلمي للزاوية التنيلاية، الملتقى الوطني الرابع حول إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث (1500م، 2000م)، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية، جامعة أدرار، أيام 04-05 جمادى الأولى 1431هـ الموافق ل: 19 - 20 افريل 2010م، ص 05.

للمكانة التي كان يحظى بها الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني الذي قال عنه صاحب الدرّة الفاخرة " أحد الأعلام والأئمة المجتهدين في المذهب له ترجيحات كان عالماً بالنحو والفقه والحديث واللغة والعروض¹، تخرج من هذه الزاوية العديد من العلماء أمثال من عبد الرحمن الجتنوري وأبي الأنوار التنيلاني، وعمر بن محمد المصطفى الكنتي وابن أبي المزمري، وعبد الرحمن بن عمر التنيلاني والقاضي عبد الحق بن عبد الكريم ومحمد العالم الزجلوي ومحمد بن المبروك البداوي.²

كل هؤلاء العلماء كان لهم إسهام علمي كبير في المنطقة إن دل على شيء فإنما يدل على منهل العلم الذي ترووا منه وهو الزاوية التنيلانية.

☒ زاوية بدريان:

تأسست هذه الزاوية في القرن التاسع الهجري على يد أبو محمد الجزولي³، وهو من أبناء محمد بن سليمان الجزولي عاش في القرن التاسع الهجري في منطقة أولاد سعيد بإقليم تينجورارين (قورارة)، أخذ العلم على يد والده ثم على يد الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين وأخذ التصوف على يد الشيخ موسى بن المسعود.

انتقل إلى تينركوك حيث أنشأ الزاوية الجزولية وزوايا تابعة لها في قصور مختلفة كزاوية فاتيس وزاوية بن عيسى وبعد وفاته تولى تسيير شؤون الزاوية ابنه محمد بن عبد الله الصوفي⁴ الذي قسم الزاوية إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول أوقفه لطلبة العلم وعابري السبيل، والقسم من الثاني أوقفه للفقراء حيث يتكون أربعين سكناً وخمسة وثلاثين بيتاً، أما القسم الأخير فقد تركه لأبنائه

¹ المهداوي عبد القادر بن عمر، الدرّة الفاخرة في ذكر مشايخ التواتية، مخطوط بخزانة شاربي الطيب، كوسام، ادرار، ورقة 03.

² عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وإعلامها من القرن 9 إلى القرن 14هـ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005، ص 82.

³ الجزولي: هو أبو عبد الله ولد بجزولة واشتغل بما سنة عشر عاماً في الفقه والعربية والحساب على يد أبي العباس اللقاني وأخيه عبد العزيز، رحل إلى تونس ودخل والتقى الشيخ أبا القاسم البرزلي، ثم رحل إلى مكة والمدينة، كان بارعاً في الفقه والأصول والعربية، ولد سنة 806 وتوفي سنة 863 هـ، انظر: أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 538.

⁴ بليل رشيد، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، ع3، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2008، ص 195.

وأحفاده¹، اهتمت هذه الزاوية بالناحية العلمية حيث تخرج منها عدد كبير من العلماء نذكر منهم عبد الرحمن بن محمد الغزاوي وابنه محمد عبد السلام، والشيخ أحمد بلحاج دفين أولاد أحمد تيمي، وقاضي تينجورراين محمد بن أحمد الفقيه²، تحتوي الزاوية على خزانة من المخطوطات وصل عدد مخطوطاتها إلى مائة مخطوط سنة 1195هـ / 1780م.³

☒ زاوية أقبلي:

ومؤسسها هو الشيخ عبد الرحمن الملقب بأبي نعامة القبلاوي ولد سنة 1060 هـ / 1650م بأقبلي⁴، حيث كانت هذه الزاوية محطة يلتقي فيها حجاج التكرور وحجاج توات، مما أعطاهما فرصة للالتقاء بين العلماء وتبادل الخبرات العلمية والآراء في المسائل حيث يذكر التنيلاي صاحب الفهرسة أنه انتقل إلى الزاوية من أجل مقابلة الشيخ الغلاوي من بلاد الساحل⁵، وربما هذا الالتقاء من أجل مسائل علمية، بالإضافة إلى أنها كانت محطة تبادل الكتب والمؤلفات العلمية، ومن أهم الشيوخ الذين كانوا يترددون عليها، الشيخ أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي الذي كان شيخ ركب الحجيج لبلاد التكرور حتى يصل إلى توات ومن توات يصبح لأبي نعامة⁶.

¹ بوكراييلة الزهراء، المرجع السابق، ص 93.

² حوتية محمد، المرجع السابق، ص 237.

³ بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، مذكرة ماجستير، قسم تاريخ، جامعة ادرار، 2012-2013، ص 123.

⁴ أقبلي: وهي بلدية تابعة لدائرة أولف تبعد عنها بحوالي 60 كم شرقاً، تشتهر خزائن المخطوطات أهمها: خزانة بيت العودة خزانة ساحل خزانة المنصور، خزانة أركشاش. كما تسكنها قبائل معروفة ساهمت بإنتاجها العلمي وتراثها الحضاري. انظر: الشيخ باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والآثر، دار هومة، الجزائر، 2004م، ص 56-57.

⁵ جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 170.

⁶ البرتلي، أبو عبد الله الولائي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 48.

تضم هذه الزاوية خزانة من أعظم الخزائن في منطقة تديكلت وتوات عموماً لما تحتويه من الكتب النفيسة تشمل على قرابة ثلاثمائة مخطوط في فنون شتى، من أهم أعلامها بالإضافة إلى الشيخ المؤسس ابنه السيد أحمد الحبيب المتوفى في 1205هـ.¹

☒ زاوية الشيخ عمر بن صالح:

أسسها الشيخ عمر بن محمد بن الصالح كان من أعلام القرآن العاشر الهجري، توفي سنة 1008هـ / 1599م، برزت كمركز إشعاع ثقافي وعلمي كبير بمنطقة أوقروت، كانت تستقبل الضيوف والطلبة فوفدوا عليها من مختلف الجهات، نزل بها العياشي أثناء رحلته وجرى بينه وبين شيخ الزاوية نقاش طويل في مسائل فقهية من أشهر شيوخها الشيخ محمد بن علي النحوي الوقروني، كما تخرج منها كثير من العلماء منه الشيخ البكري، والشيخ سيدي علي بن حنيني، وكان بها طلبة من خارج توات، مثل الأديب عبد الحكيم بن عبد الكريم السجلماسي، ومحمد بن عبد الله ابن عبد الكريم الوطاسي.²

☒ زاوية الشيخ أبي الأنوار:

مؤسسها هو الشيخ أبو الأنوار بن عبد الكريم التيلاني (ت 1168هـ/1755م) درس على يد كثير من العلماء منهم الشيخ بن دين الله التيطافي، والشيخ سيدي علي بن حنيني، اشتغل بالتجارة بين توات والسودان الغربي، وبعد عودته لتوات استقر به المقام في أولف الشرفاء، حيث اشترى بساتين ومياه وبني زاوية، واشتغل بالتدريس هناك، وبعد وفاته خلفه ابن ابنته مولاي هيبه بن محمد على الزاوية وعمل على توسيعها، وغدت الزاوية من أشهر الزوايا في توات وعموم المنطقة، يقصدها الناس والطلبة من كل مكان، وغلب اسم زاوية مولاي هيبه على اسمها الأول حتى صارت لا تعرف إلا به.³

¹ محمد باي بلعالم، مرجع سابق، ص 398.

² امبارك جعفري، تنقل علماء توات من حاضرة القرويين بفاس، خلال القرن 12هـ، الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي ادرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، ادرار 14-15 ابريل 2009، ص 166-167.

³ نفسه، ص 170-171.

هذه بعض أهم الزوايا العلمية بتوات وهناك زوايا أخرى لا تقل عنها أهمية لا يتسع المقام لذكرها، ساهمت كلها في ازدهار الحياة الفكرية بالمنطقة التواتية في العصر الحديث.

د- المكتبات وخزائن المخطوطات:

نظرا للحمولة المعرفية الكبيرة التي تشكلت بالجنوب الجزائري على مر عصوره منذ وصول الإسلام إليه خاصة في العصر الحديث، فقد احتوت المنطقة على العديد من خزائن الكتب المخطوطة التي حفظت علوم علمائها واجتهاداتهم، وقد انتشرت هذه الخزائن انتشار الزوايا والمدارس العلمية بتوات، وهيمن عليها طابع الملكية الأسرية، ويرجع ذلك إلى الأسر العلمية التي اشتهرت بعلمائها الذين كان لهم الفضل في تشكيل هذه الخزائن وإثرائها بكتبهم كالأسرة البكرية والتيلانية والكتبية وغيرها من أصحاب الفضل في تواجد هذا النوع من الخزائن بتوات وحتى بالمناطق التي كانوا يرتحلون إليها كالسودان الغربي.

ومن أهم خزائن المخطوطات بتوات نذكر:

- **الخزانة البكرية بتمنيط:** من أقدم وأغنى المكتبات الموجودة بالمنطقة، مؤسسها الأول هو الشيخ ميمون بن عمرو، وذلك في أواخر القرن التاسع الهجري، بلغ عدد مخطوطاتها في القرن 11 هـ ثلاثة آلاف مخطوط، وذلك في عهد مؤسسها الثاني الشيخ سيد البكري. ولمدة ثلاثة قرون ظلت المكتبة البكرية مجموعة وموحدة، يشرف عليها عالم من أبناء العائلة ممن يشهد له عدول عصره بالتبرز في العلم والتفرد بالنجابة، يحيطها بالرعاية، حيث لا يمنع منها منتفعا، ولا يمكن منها مبتدعا.¹

- **خزانة الشيخ عبد الله البلبالي:** تقع هذه الخزانة بقصر كوسام من أرض توات، هذا القصر الذي أضحي مركزا علميا معروفا منذ تأسيس البلباليون لمدرستهم به في القرن الحادي عشر الهجري 17م²، وقد بلغت هذه المدرسة أوج ازدهارها في نهاية القرن 13هـ / 19م بفضل العلامة

¹ بكري عبد الحميد، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ج2، ص 29.

² جعفري أحمد، أبحاث في التراث مكتبة النهضة، القاهرة، 2009، ص 106.

الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي¹، تضم هذه الخزانة عددا كبيرا من المخطوطات في شتى المجالات.

- **الخزانة المسناوية:** أسسها الشيخ محمد بن إسماعيل القوراري، وقد جلب كتبها من اسطنبول²، ومن رحلاته المختلفة في أصقاع العالم الإسلامي، وقد أخبر صاحبها العياشي، عندما التقى به في فقيق سنة 1063هـ / 1653م، أن بها ألف وخمسمائة كتاب، لم يبق الكثير منها لأنه قبل وفاته أوصى بها للروضة النبوية الشريفة في المدينة المنورة.³

- **خزانة الشيخ أبي الأنوار:** تقع هذه الخزانة بزاوية الشيخ أبي الأنوار السالف ذكرها وقد عمل مولاي هيبه بن محمد (ت 1238هـ / 1822م)، حفيد الشيخ أبي الأنوار على توسيع الزاوية وإثراء مكتبتها باقتناء وجمع الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم خاصة أثناء زيارته لأقدز وتيكدة من أرض الأزواد.⁴

- **خزانة زاوية الشيخ المغيلي:** وهي من أقدم خزائن المخطوطات بالمنطقة، تقع بقصر بوعلي قرب ضريح الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي ومعظم محتوياتها من مؤلفات الشيخ المغيلي، إذ خلف هذا العالم الجليل ميراثا علميا يزيد عن ثلاثين مؤلفا بين مطبوع ومخطوط، وامتازت هذه المؤلفات بالتنوع والشمول.⁵

- **خزانة ملوكة:** وهي من الخزائن التي تأسست في القرن 12هـ/18م، ويعود الفضل في تأسيسها إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي⁶ ت 1244هـ، وقد اعتبرت هذه الخزانة من الخزائن الكبيرة في بلاد المغرب العربي.⁷

¹ علي بومدين، المرجع السابق، ص 132.

² يذكر العياشي أن الشيخ محمد بن إسماعيل ذهب إلى بغداد وعند ضريح الشيخ عبد القادر الاجيلاني وجد وزيرا للسلطان العثماني وقد ضاقت به الدنيا ويأمل الوزارة فدعا له، وبعدها انتقل إلى اسطنبول فوجده قد تولى الوزارة، فأكرمه وسأله حاجته فطلب منه الشيخ مجموعة من الكتب فأمر الوزير صاحب خزانة الكتب أن يعطي الشيخ ما شاء وهو من سيتولى دفع ثمنها، وهكذا عاد ومعه الكثير منها، أنظر: العياشي أبو سالم، ماء الموائد (رحلة العياشي)، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، ص 14.

³ جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 159.

⁴ حوتية محمد، المرجع السابق، ص ص 240-241.

⁵ نويج حدة، آثار الإمام المغيلي في العلوم الشرعية وأماكن العثور عليها، رسالة ماجستير كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي 2001/2002، ص 48.

⁶ انظر الملحق رقم 13 والملحق رقم 14.

⁷ فنج محمود فنج، إقليم توات خلال القرنين 18 و19، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 91.

- **خزانة المطارفة:** أسسها الشيخ محمد العالم بن عبد الكبير والذي سميت الخزانة باسمه وفي نهاية القرن 10هـ/16م، وقد حرص الشيخ على إرثائها بالكتب القيمة حتى بلغ عدد الكتب المخطوطة بها ما يقارب خمسمائة مخطوط في شتى العلوم، وبعد وفاة الشيخ محمد العالم تولى أبنائه الإشراف عليها.¹

- **خزانة زاوية كنتة:** تعرف باسم خزانة الدار الكبيرة، أسسها الشيخ أحمد الرقاد خلال القرن العاشر الهجري، وتحتوي هذه الخزانة على كم كبير من المخطوطات المتنوعة تنوع العلوم والفنون كالفقه والحديث والتفسير واللغة والتصوف ويغلب عليها الطابع الفقهي الشرعي². وقد ساهم الشيخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي (ت 1157هـ / 1744م)، في إرثائها مختلف الكتب، لما عرف به من كثرة جمعه للكتب بكل الوسائل من شراء أو نسخ وكثرة التقييد.³

- **خزانة أبي نعامة الهاملي القبلي:** تقع بأقبلي من أرض تيدكلت، أسسها الشيخ أحمد بن عبد الرحمان بن أبي نعامة العقباوي الكنتي ت 1163هـ / 1750م، وذلك سنة 1138هـ/1725م، وتحتوي هذه الخزانة على عدد كبير من المخطوطات المختلفة باختلاف العلوم والفنون⁴، ويرجع الفضل في إرثائها إلى مؤسسها أبونعامة الذي لقب بشيخ الركب لمواكبته الحجيج والقوافل التجارية والانتفاع بما يحملوه من كتب، لذا وجد بالخزانة عدد كثير من مؤلفات الأفارقة.⁵ هذه بعض أهم خزائن المخطوطات بتوات، وهناك العديد من الخزائن الأخرى التي لا تقل أهمية عما ذكر، وهي تنتشر بمختلف جهات توات وقصورها، وعددها يربوعن الواحد والخمسين خزانة ومكتبة، تتفاوت من حيث عدد الكتب المخطوطة وأهميتها وأصناف العلوم بها إضافة إلى تأثير عوامل الزمن عليها.

الإجازات العلمية:

¹ جعفري أحمد أبا الصافي، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص 106.

² حاج أحمد الصديق، من أعلام التراث الكنتي المخطوط، الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007، ص 19.

³ عبد الرحمان بن عمر التتلاي، تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتلاي (فهرست التتلاي) مخطوط بخزانة تينيلان، أدرار، ص 38.

⁴ حاج أحمد الصديق، المرجع السابق، ص 20.

⁵ عبد المجيد قدي، المرجع السابق، ص 197.

الإجازة في اللغة هي الإذن¹، وهي مصطلح علمي ابتكره علماء الإسلام في بداية عصور الرواية، كان يهدف إلى توثيق العلوم المتمثلة في ذلك الوقت بالقرآن الكريم ومرويات السنة المطهرة، ثم تطورت لتشمل الكثير من العلوم.

يحصل الباحث من خلال الإجازة على حق الرواية أي الإذن في الرواية وبذلك يمكنه المشاركة في الساحة العلمية وتكون الإجازة بإذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولولم يسمعهما منه، ولولم يقرأها عليه، وذلك بقوله أجزت لك أن تروي عني كتابي هذا أو كتاب فلان الذي حدثني به، أو ما صح عندك من مسموعاتي².

والمتتبع سير وتزاحم العلماء التواتيين وطلبة العلم بتوات، يلمس فيهم ذلك الحرص على الحصول على الإجازة بسندها، فهذا الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينلاني يذكر أنه التقى الشيخ أبو عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم الدرعي، ببلاد زاجلو، لما قفل هذا الأخير من الحج، فجالسه واستفاد منه وقرأ عليه بعض الكتب، ثم استجازه، وطلب منه أسانيده فاعتذر بأنها في كتبه، وقد حلفها ببلاد تيد كلت، وهو ينتظر من يقدم بها عليه، فعاد التينلاني إلى مسكنه ولما سمع بوصولها إليه، رحل ثانية فدفعها إليه، فنقل منها ما أراد³.

ولم يكن التينلاني وحده من جد في سبيل الحصول على الإجازة بسندها، فقد بلغت عناية وحرص العلماء التواتيون وطلبة العلم بطلب الإجازات مبلغا تجلى فيه التسابق للحصول عليها وبذل الغالي والرخيص في طلبها، فيرحلون للأمصار المختلفة والأقطار المتباعدة من أجل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث أو نحوها، كما حصل للشيخ البكري بن عبد الكريم

¹ الجواز: ورد في القاموس المحيط أن الإجازة من الفعل استجاز أي طلب الإجازة بمعنى طلب الإذن، وقال ابن الفارس الماء الذي يسفاه المال من الماشية والحرث، يقال منه استجرت فلانا من أجازي إذا استسقاك ماء لأرضك أو ماشيتك. ينظر: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتبة تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 2005، ط 8، مادة: جوز، ص 507. وأيضا: أبي الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، مادة (جوز)، ج 1، ص 494.

² محمد بن علي اليلو الجزولي، الإجازات العلمية وعناية المغاربة بها، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة المغرب. www.alqwatan.ma/Article

³ عبد الرحمان بن عمر، المصدر السابق، ص 55.

التمنيطي الذي رحل إلى القاهرة من أجل الحصول على إجازة من الشيخ أبي عبد الله الخرشبي مفتي المالكية في مصر، وكان له ما أراد¹، وكذلك الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني الذي أجازته في فاس الإمام الجامع لمذهب الإمام مالك أبو علي الحسن بن رحال المعداني إجازة عامة، أما الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني فقد تنقل إلى بلاد التكرور وهناك أجازته الشيخ أحمد بن صالح السوقي التكروري في كتب "صحيح البخاري"، و"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، وفي علوم الفقه النحو، علو البلاغة، وعلم الأصول².

ولم يقتصر طلبة العلم على الإجازة من شيخ واحد، فقد كانت إجازتهم تتعدد بتعدد العلوم أو الكتب التي درسوها أو المشايخ الذين أخذوا عنهم، وكان حرصهم على إثبات سند ما تعلموه طلبهم الإجازة فيه مهما كثر عدد الشيوخ الذين أخذوا عنهم، حيث تنقل لنا فهرسة الشيخ عبد الرحمان التنيلاني أن الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني تتلمذ على يد عدد من علماء التكرور وحصل على إجازات عديدة منهم، وتلمذ أيضا بالمغرب الأقصى على عدد كبير من العلماء، هناك فاق عددهم اثنان وعشرون شيخا، تحصل من عندهم على العديد من الإجازات في شتى الكتب والمصنفات³.

ولم يكن تحصيل هذا العدد من الإجازات بالسهل فقد كان من أخباره رحمه الله أنه لما بعته والده لمدينة فاس للقراءة، واصل الليل والنهار ولازم الدرس والتكرار، وسلّم للعلم كليته وضحي بكل أوقاته، حيث أنه لم يفتح رسالة واردة عليه من توات لكيلا تتكدر عليه اللذات، إلى أن بلغ المنى ونال الشهادات العليا (الإجازات) فحينئذ رجع القهقرى وصار يفتح الرسائل رسالة بعد

¹ التمنيطي، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنيط، أدرار، ص 01.

² عبد الرحمان بن عمر، المصدر نفسه، ص 48.

³ باعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر التواتي، دراسة وتحقيق رسالة ماجستير في التاريخ العام، إشراف: محمد بن معمر، جامعة بشار، قسم التاريخ، 2009، ص 50 وما بعدها.

أخرى، فكانت أول رسالة فتحها وجد فيها أخبار وفاة والدته الثانية وفاة والده، ثم باقي الرسائل ما كان يأتيه من قبلها.¹

وهذه الرواية ترصد لنا قيمة الإجازات وحجم التضحية التي كان يبذلها طلبة العلم لأجل الحصول عليها، إذ هي بمثابة الشهادات العلمية العليا في عصرنا هذا.

وكثيرا ما كانت رحلة الحج طريقا للحصول على الإجازات والاستدعاءات العلمية²، فقد جعل بعض طلبة العلم من رحلات الحج فرصة يتحينونها للالتقاء بالعلماء الاستفادة من علومهم والحصول على الإجازات من عندهم.

¹ حسابي مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 135.

² الاستدعاءات العلمية: هي طلب الإجازة الذي يوجهه المستحير إلى الشيوخ والعلماء والمحدثين ط منهم الإجازة في علم من العلوم أو سند من الأسانيد وكما يكون الاستدعاء من الأعلى يكون كذلك من المساوي والدون. ينظر: يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، ج 1، ص 204.

المبحث الثالث:

علماء منطقة توات

حظيت توات هي الأخرى خلال العصر الحديث بأعلام علماء وفقهاء أضاءوا بعلومهم ربوع المنطقة، وأحيوا مجهودهم واجتهاداتهم وتنافسهم ما كاد يندرس من العلوم والفنون فكتبوا مؤلفات أسهمت في إحياء المكنون العلمي وحفظت أسماءهم وآثارهم على مر الأزمان ومن أشهرهم:

أولاً: تراجم بعض علماء توات وتراثهم العلمي.

✓ القاضي سالم العصنوني (ت 968 هـ / 1560م):

هو القاضي سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني، ولد سنة 882 هـ / 1477م، من أسرة علم ودين فأخذ عن عمه الشيخ عبد الله العصنوني، وعن الشيخ أبي زكرياء يحيى السوسي وعن جماعة من العقبايين التلمسانيين وغيرهم¹.

انتقل من توات إلى السودان الغربي قائماً بأمر الدعوة إلى الله فأسلم على يديه خلافتك لا تحصى، ثم رجع إلى توات وولي خطة القضاء في حياة عمه سنة 914 هـ / 1508م فسار سيرة حميدة وسلك مسلك العدالة، وورد أنه كان عند مجلسه للقضاء يأمر رجلين أن يقفا على رأسه ويتلون قوله تعالى: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31)".²

¹ أنظر ترجمته في: محمد بن عبد الكريم بكرأوي، مرجع سابق، ص 20، ومحمد باي بلعالم، الرحلة العلية الى منطقة توات لكر بعض الاعلام والاثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، ج 1، ص 120، عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات واعلامها من القرن 9 هـ الى القرن 14، ط 12، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 77.

² الآيتان 30-31 سورة الزمر.

ترك مؤلفات كثيرة منها نظم في ثلاثمائة بيت يشتمل على أمور الآخرة من نشر وحشر وحساب وعقاب وجنة ونار توفي -رحمه الله- عند صلاة العصر من يوم الثلاثاء 16 ذي القعدة عام 968هـ/1560م.

✓ الشيخ عبد الكريم بن أحمد الجراري (ت 941هـ / 1534م):

هو القاضي عبد الكريم بن أحمد بن محمد المسعود بن إبراهيم بن محمد بن يدار بن محمد بن عمر بن عمران أبو المكارم الوطاسي التزديتي الجراري¹، ولد حوالي سنة 871هـ / 1466م بتزديت من أسرة مشهورة بالعلم والصلاح متخصصة في القضاء الشرعي، حيث نشأ وترعرع في أحضانها، فبدأ دراسته على يد والده ثم انتقل إلى فاس فأخذ على أعلامها منهم الشيخ عبد الله الدقاق الفاسي الذي أجازه بالعلوم الفقهية.

وبعد تزلعه عاد إلى موطنه تزديت، فوجد وباء الطاعون قد دبّ في البلاد، وأخذ أهلها يهجرونها فقرر الشيخ أحمد والد الشيخ عبد الكريم الرحيل إلى أولاد سعيد، وبالضبط إلى بلدة تازولت صحبة نجله الفقيه عبد الكريم الذي أنشأ بمجرد استقراره بموطنه الجديد مدرسة للتعليم، تخرج منها علماء أعلام على رأسهم نجله الشيخ عبد الحاكم، والشيخ محمد عبد الله، ولما ذاع صيت الشيخ في التعليم والصلاح، وكل إليه جماعة المسلمين أمر القضاء على تيكورارين سيرا على دأب أجداده فقام به أحسن قيام عدلا وفضلا، توفي رحمه الله في 26 صفر 941هـ / 1534م.

✓ أمحمد بن أبي محمد الأمريني (ت 1008هـ / 1599م):

هو الشيخ أمحمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون البازي الأمريني²، ولد بتمنطيط في بيت علم وصلاح وفضل، فنشأ على محبة العلم والسعي لتحصيله.

¹ عبد الرحمان الجوزي، ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي، د. ط، د، ت، ص 08.

² أنظر ترجمته في: عبد الكريم بن محمد احمد التواتي، الرحلة في طلب العلم، نسخة مخطوطة بخرانة الشيخ احمد ديدي بتمنطيط، ادرار، الجزائر، الورقة 01/ ظهر، محمد بن عبد الكريم بكراري، جوهرة المعاني نسخة أولف، الورقة 14/ ظهر، عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 111، تلامي غيتاوي، سلسلة النواة في ابراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، منشورات الديوان الوطني للنشر والاشهار، الجزائر، 2005، ج 2، ص 42.

أخذ المبادئ الأولى على يد والده، ثم انتقل إلى حلقات العلم بفاس، فأخذ الفقه عن المنجور، والنحو عن أبي عبد الله محمد بن محير، والقراءات عن محمد العدي، والحساب والهندسة عن يعقوب البدري، واستفاد من غيرهم من علماء فاس، ومن كان يزورها من أعلام الحواضر القريبة. بقي مشغولاً بما يعنيه من الإشراف على تجارته بين توات والسودان الغربي، يعقد مجالس العلم حيثما حل وارتحل فكان من أجلّ من تخرج عليه الشيخ عبد المهيم ابنه، والقاضي عبد الكريم ابنه الثاني.

شهد له بالتقدم في العلوم والصلاح كل من عرفه أو علم مكانته، يصفه ابنه الشيخ عبد الكريم فيقول: "العالم الرباني، والعامل النوراني، من له اليد البيضاء في علوم الإسلام، والدراية الفائقة في القراءات، والحساب بالتمام، وأما النحو فلا يشق له غبار، مع تواضع وافر، وصلاح ظاهر، مع الاشتغال بما يعنيه، ومجانبة ما لا يعنيه، وملازمة الأوراد في الخلوات، ومعانقة في جميع الحالات، وزيارة الأولياء في الحياة والممات، ولست بهذا مستسماً ذا ورم، ولا نافخاً في غير ضم".¹

ويقول في حقه الشيخ محمد بن عبد الكريم بكرأوي: "الشيخ النحوي الفرضي المقرئ المحدث المتكلم الفقيه الحيسوبي البليغ أبو عبد الله شيخ الحديث في وقته مقبلاً على ربه مشاركاً في العلوم اللسانية والفقهية أعجوبة الزمان في الحفظ وسيلان الذهن... طويل الباع كثير الاطلاع مجتهداً في التلاوة آناً الليل وأطراف النهار".²

توفي الشيخ أحمد بن أبي محمد الأمري في بلدة أقدر من أرض السودان ليلة الاثنين 27 ذي القعدة سنة 1008 هـ / 1599 م.

✓ أمحمد عبد الله القوراري (ت 1035 هـ / 1625 م):

¹ عبد الكريم بن محمد الثواني، المصدر السابق، ص 02.

² محمد بن عبد الكريم بكرأوي، المصدر السابق، نسخة أولف، ص 14.

هو محمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد أبوعبد الله التزديتي القوراري، ولد بقصر أولاد القاضي غرب أولاد سعيد في تميمون من أسرة علمية¹، فنشأ في كنف والده الفقيه القاضي عبد الكريم الذي لقنه مبادئ العلوم ليرحل بعدها إلى فاس وتلمسان وفقيق.

أخذ عن الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي المعروف بسيدي الشيخ، وجمعه الرضاة العلمية بالشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي والشيخ محمد بن عبد الجبار الفجيجي، وحصل له احتكاك بأعلام الزوايا هناك بالمغرب.

رجع إلى بلده واشتغل بالتدريس إلى جنب والده وأخيه الشيخ عبد الحاكم فذاع صيته بالعلم والصلاح، فاختر لتولي خطة القضاء خلفا لوالده، ومما جاء في وثيقة توليته ما نصه: " وليعلم الواقف عليه أن شاهد الرسم رضي بتولية السيد الفقيه الأجل أحمد عبد الله المرحوم سيدي عبد الكريم بن أحمد التزديتي أمور المسلمين والنظر في مصالحهم والقضاء بينهم، وقدمه لذلك لما ظهر له من علمه وورعه وديانته"².

وقد شهد له بالتقدم في العلم والصلاح جمع من الأئمة منهم الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي، فقد جاء في رسالة بعث بهما لصاحب الترجمة ما نصه "إلى من لا يزال فلك المودة على قطب أشكاله في البرية يدور، وسماء الولاية دائما بقصر شهود أمثاله في الحنادس ينور، ظريف الشمائل، وشريف الوسائل، شمس أحبائه، وسري أصفائه، غرة وجه القبول، وشامة خد الوصول، العالم العامل، الحاكم العادل، العارف بنفسه فلا يضره العجب، الراغب في أنسه فلا يسره غير القرب، الفقيه النبيه، السيد الوجيه، قاضي الجماعة وسخي المجاعة، أبي عبد الله أحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الوطاسي ثم الجراري"³.

توفي -رحمه الله- يوم 25 ذي القعدة سنة 1035هـ / 1625م.

¹ أنظر ترجمته في: عبد الرحمان الجوزي، المرجع السابق، ص 19 وما بعدها.

² وثيقة تولية الشيخ محمد عبد الله القراري القضاء، مخطوطة بجزانة أولاد سعيد، تميمون.

³ عبد الكريم بن محمد أحمد التواتي، الرحلة في طلب العلم، نسخة مخطوطة بجزانة الشيخ أحمد ديدي بتمنيط، ص 14.

✓ عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد الأمريني التمنطيبي (ت 1042هـ / 1632م):
هو عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون بن عمرو الأمريني، ولد بتمنطيط سنة
994هـ / 1586م وقيل سنة 1002هـ / 1593م¹، لقبه الرحالة أبو سالم العياشي في رحلته بـ
"عالم توات"، وذلك عندما التقى ابنه محمد ببلدة تقرت سنة 1059هـ / 1649م، حيث سأله
في علوم مختلفة وكلما أحسن الجواب يقول له: "أحسننت يا ابن عالم توات فلا يخرج من النحل إلا
العسل"².

بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه على يد والده حيث حفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية،
ثم رحل في طلب العلم فالتقى بعدة شيوخ أبرزهم أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي،
والشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري³ الذي التقاه ببني عباس من واد الساورة، فابتدأ عليه
قراءة ألفية ابن مالك في 03 صفر 1017هـ / 1608م والرسالة لابن أبي زيد القيرواني⁴.

وقد كلفه شيخه سعيد قدورة باختصار كتاب العيون الغامرة على خفايا الرامزة على الخزرجية
في العروض مع وضع الدمامين⁵.

¹ التمنطيبي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، جوهرة المعاني فيما لبث لدي من علماء الالف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار،
الجزائر، ص 22.

² التمنطيبي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، الكواكب البرية في المناقب البكرية، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، ص
21.

³ سعيد قدورة الجزائري: هو سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمان، وشهرته قدورة، مالكي المذهب، من أسرة علمية بالغة النفوذ في الفتوى بالجامع
الكبير بالعاصمة، سافر إلى تلمسان حوالي 1012هـ / 1603م، وتلمذ على يد سعيد المقرئ وأخذ التصوف عن ابن أبي محلي السجلماسي، ثم
عاد إلى الجزائر سنة 1019هـ / 1610م تدرج في عدة وظائف بين الإمامة والخطابة والتدريس والافتاء ووكيل الأوقاف بالجامع الكبير، بنى مدرسة
للفقهاء والغرباء، قدمه حكام الجزائر على المفتي الحنفي الذي كان يمثل المذهب الحاكم، من تلامذته: عيسى الثعالبي، ومحمد بن عبد الكريم
الجزائري، ويحيى الشاوي الملياني وعمر المايجلاني، ألف كثيرا، ومن مؤلفاته: شرح مختصر خليل في الفقه، شرح النوازل التلمسانية، شرح المنظومة
الخزرجية في العروض، رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط2، ج 1، دار الغرب
الإسلامي بيروت، لبنان، 2005، ص 368-375.

⁴ عبد الكريم بن أحمد التواتي، المصدر السابق، ص 96.

⁵ الدماميني: هو محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد، بدر الدين المعروف بابن الدماميني، له علم بفنون الآداب والشريعة، تولى القضاء المالكي
بمصر، ولد بالإسكندرية سنة 1362م، وتوفي بالهند سنة 1424م، من أهم مؤلفاته: تحفة الغريب، شرح لمغني اللبيب، والفتح الرباني في الحديث
والعيون الغامرة شرح للخزرجية في العروض، ينظر: الزركلي، خير الدين، ط15، دار العلم للملايين، ج 6، بيروت، 2002، ص 56.

وقد سُمي هذا المختصر باسم النشر الداريني في اختصار الدماميني¹.

وقد تتلمذ الشيخ عبد الكريم بن أحمد أيضا على مجموعة من المشايخ كالشيخ الحاج أحمد التواتي² الذي أخذ عنه كيفية استخدام الأسطرلاب³، والشيخ أبوزيد عبد الرحمان بن سليمان بن موسى الجومي⁴ ومجموعة من المشايخ ذكرهم في رحلته.

كما تذكر المصادر البكرية -التي اطلعت عليها- أن الشيخ عبد الكريم بعدما أخذ العلم عن كل من عبد الحكم بن عبد الكريم ابن أبي محلي السجلماسي ثم قدورة الجزائري، انتقل إلى ناحية التكرور لأخذ العلم عن الشيخ أحمد بابا التمبكتي، غير أنني لم أعثر له على ترجمة في مؤلفات العلماء الذين ذكرهم في رحلته.

وأثناء سفره إلى بلاد الحجاز لأداء مناسك الحج التقى بالإمام علي الأجهوري حيث أجازته في كتاب الشفا للقاضي عياض وبمختصر خليل وتحمل الإجازة تاريخ شهر صفر 1028هـ/ 1619م.⁵

كما أجازته الشيخ أحمد المقرئ التلمساني⁶ في علم الحديث وتحمل هذه الإجازة تاريخ 1041هـ/1631م.¹

¹ عبد الكريم بن أحمد، المصدر نفسه، ص 95-96.

² الحاج أحمد التواتي كان مختصا في تدريس الحساب والفقهاء والتوحيد والتفسير، أحد الحديث والفقهاء والقراءات السبع عن الشيخ محمد التدغي له رسالة سماها مقامه التحلي والتخلي من محبة الشيخ أبي محلي.

³ عبد الكريم بن أحمد، المصدر السابق، ص 61.

⁴ الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الجومي: هو عالم له دراية بعلم الحديث والحساب والفرائض والنحو والفقهاء والتاريخ، أخذ القرآن عن الشيخ عبد الرحمان من لا يخاف السجلماسي وأبي زيان التلمساني وأحمد بومعزي والفقهاء سعيد المقرئ التلمساني، ينظر: عبد الكريم بن أحمد المصدر نفسه، ص 55-56.

⁵ المصدر نفسه، ص 28

⁶ المقرئ: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى أبو العباس المقرئ التلمساني، مؤرخ وأديب، ولد ونشأ في تلمسان سنة 992هـ / 1584م، انتقل إلى فاس فكان خطيبها والقاضي فيها ومنها إلى القاهرة سنة 1027هـ، وتقل في الديار المصرية والشامية والحجازية وتوفي بمصر ودفن بمقبرة المحاورين، وقيل توفي بالشام مسموما عقب عودته من إسطنبول، والمقرئ نسبة إلى مقرة إحدى قرى تلمسان، له مؤلفات عديدة أهمها: نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس، توفي -رحمه الله- سنة 1041هـ/1631م، ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج 6، ص 113.

وقد مارس الشيخ عبد الكريم بن أحمد القضاء وتميزت فترة قضاؤه بالعدل وانتشار الأمن، ثم اعتزله وجلس للتدريس والإفتاء²، فتتلمذ على يده طلبة كثيرون منهم ابنه القاضي الحاج أحمد، والشيخ أحمد بن يوسف التتلائي، الشيخ محمد بن علي النحوي الوراقوي³.

توفي الشيخ عبد الكريم بن أحمد -رحمه الله- يوم الاثنين 22 شوال عام 1042هـ الموافق ل 02 ماي 1633م.⁴

وقد خلف مؤلفات عديدة نذكر منها:

- غاية الأمل في إعراب الجمل، وهو شرح على لامية ابن الجراد.
- تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز.
- شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان.
- الرحلة في طلب العلم (ذكر فيها شيوخه).
- نظم وسيلة النجاة بأهل المناجاة.
- ابتداء شرحا على منتصر خليل ولم يكتمل.
- مختصر الدماميني على المغني سماه "النشر الداريني في اختصار الدماميني"⁵.

✓ أحمد بن محمد الرقادي (ت 1060 هـ / 1650م):

هو الشيخ أحمد بن محمد الرقادي بن أحمد الفيرم بن عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكني⁶، ولد سنة 967هـ / 1559م بواد النون حيث عشيرته الضاربة في العلوم بحظ وافر قائمة بالتعليم والإرشاد وفي وسطها نشأ على حب العلم وصحبة العلماء ومجالسة الأولياء.

¹ محمد بن عبد الكريم، الكواكب البرية، مصدر سابق، ص 20.

² عبد الكريم بن أحمد، المصدر السابق، ص 12.

³ محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص 19.

⁴ البكري بن عبد الكريم، إعلام الإخوان بأخبار بعض السادة الأعيان، مخطوط بخرانة القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، ص 03.

⁵ محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، المصدر السابق، ص 22.

⁶ أنظر ترجمته في: تھامي غيتاوي، المرجع السابق، ج 1، ص 56.

حفظ القرآن الكريم على يد والده بروايتي ورش وقالون، وعنه أخذ مبادئ العلوم، فقرأ رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر البرادعي، ومختصر خليل، وتحفة الحكام لابن عاصم، وتبصرة الحكام لابن فرحون، وكتب ابن رشد في الفقه، وقرأ في النحو مقدمة ابن آجروم، وألفية ابن مالك، وأصلها الكافية الشافية، وقرأ في البلاغة تلخيص المفتاح للقزويني، وفي الأصول وركات إمام الحرمين، وجمع الجوامع للسبكي، وموافقات الشاطبي.

ثم انتقل إلى مجالس علم أبيه الشيخ المختار بن عمر الكنتي الذي أكمل تربيته بعد أبيه، فأسمعه الموطأ والصحيحين، وأجازته بذلك وجدد له الورد القادري.

ولما غاب شيخه المختار انتقل إلى مجلس ابن عمه الشيخ الأمين الأزرق من آل أبي بكر الحاج بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي، مكث عنده يستزيد ويستفيد حتى أجازته هذا الأخير.

ثم رجع إلى حلقات الشيخ المختار الشيخ بعد رجوعه من رحلته حيث أمره بالتوجه نحو فاس لأخذ علوم الحديث وقواعد التفسير وعلوم القرآن واللغة والأدب، فسلك طريق ولاته وسجلماسة إلى فاس وفي كل مدينة يطوي ركبته طالبا للعلم ناهلا من معين شيوخه زيد العلوم ولطائف الفهوم.

فلما افتعم صدره رجع إلى موطنه بواد النون، واشتغل بنفع أبناء المسلمين يدرسهم ويربيهم فانتشرت أخباره، وذاع صيته، فدعي إلى خطة القضاء فأبى وفر بنفسه أمام الفتن المتكاثرة إلى أرض توات، فكان أول نزول له بالساوره عند الشيخ "أحمد بن موسى الكرزازي"، الذي أمره أن يقصد توات الوسطى، فنزل بفونغيل -زاوية سيدي عبد القادر- ومنها إلى موضع زاويته المشهورة اليوم-زاوية كنتة- وذلك سنة 999هـ / 1590م.

فاشترى الأرض وبمجرد ما انتهى الشيخ من بيت سكناه أسس مسجده، وبني زاويته وعمر البلاد، وانطلقت مسيرة رجل بل أمة من أبنائه وأحفاده، يوجه الناس ويعلم الطلبة ويربي المريدين بمنهج سني سلفي لا تشوبه شوائب التطرف ولا التحرف، ونظم حلقات الدروس ومناهج

التدريس، فقسم الدراسة ثلاثة مراحل وحدد لكل مرحلة مقررات وطريقة، فقصده الطلبة من جميع نواحي القصور التواتية والأراضي الصحراوية، والمناطق السودانية، والأحواز المغربية يجد معهم في العلم والعبادة ويعتني وإياهم بأمور المسلمين.

فتخرج عليه عدد من الطلبة منهم: أبناؤه الشيخ عمر، وأحمد الشيخ، ومحمد المصطفى، وعبد المؤمن، وعبد الوهاب وعبد الله، وعلي، وعبد القادر، ومن طلبته محمد المعروف بجموبن الحاج، الشيخ أحمد عبد المالك، وعبد القادر، وعبد الله، وعبد الكريم، وأحمد، والزين، والشيخ وغيرهم. توفي -رحمه الله - سنة 1060هـ / 1650م.¹

✓ البكري بن عبد الكريم (ت 1133هـ / 1720م):

هو القاضي الشيخ البكري بن عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التواتي، ولد في 12 رمضان 1042هـ / 1632م بعد وفاة والده بأربعين يوماً، فكفله أخوه القاضي أحمد بن عبد الكريم الذي أخذ عنه عدداً من المقدمات في الفقه والنحو وغيره.²

وبعدها تتلمذ على يد الشيخ محمد بن علي الوقروني فأخذ عنه النحو، ثم انتقل إلى الحواضر العلمية الكبرى فزار مراكش وفاس والجزائر العاصمة، حيث تتلمذ على يد عالمها الشيخ سعيد قدورة الجزائري وظل عنده إلى حين وفاة الشيخ سعيد سنة 1076هـ / 1665م، فقفل راجعاً إلى توات، وبعد مدة قصد الحج فمر بتونس فأسس بها زاويته المشهورة باسمه إلى يومنا هذا، فكانت رحلته هذه رحلة علم حيث أجاز واستجاز بالمدن التي مر بها كتونس وطرابلس الغرب ومصر والشام والعراق والحرمين.³

¹ تهامي غيتاوي، المرجع السابق، ج1، ص 56.

² بكري عبد الحميد، المرجع السابق ص 130.

³ نفسه، ص 130-131.

أسّس بالزاب "الزاوية البكرية" في طريق عودته من الحج، واستقر بتقرت واشتغل بالتدريس هناك لمدة ثلاثين سنة كان فيها "كثير الاجتهاد له اليد الطولى في كل فن من فنون العلم، فصيح اللسان، رحب الجنان، طويل الباع في النوازل، مداول الاطلاع في الفروع والمسائل".¹

رجع إلى تمنطيط بعد موت أخيه القاضي محمد بن عبد الكريم وإلحاح أهله وأصدقائه عليه بالرجوع، وتولى القضاء سنة 1092هـ / 1681م، فسلك بالناس مسلك العدل والإنصاف² وشهد له بذلك العام والخاص.

أنشد فيه الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنلايني قصيدة مما جاء فيها قوله:

فَإِذَا نَظَّمْتَ مِنَ الْكِرَامِ قِلَادَةً *** وَمَنْحَتَهَا الْأَجْيَادُ مِنَ الْأَحْرَارِ
فَالسَّيِّدُ الْبُكْرِيُّ اجْعَلْ وَسِيطَهَا *** فِيهِ يَتِمُّ الْعَقْدُ فِي الْأَخْيَارِ
يُنَبِّئُكَ عَنْهُ مَا تَوَاتَرَ أَنَّهُ *** كَالشَّمْسِ كَافٍ تُضِيءُ فِي الْأَقْطَارِ³

وقال فيه معاصره الشيخ محمد ايداو علي قصيدة طويلة أشاد فيها بفضائله جاء في مطلعها:

زَرٌّ مِنْ هَوَيْتٍ وَلَا تَصْبُو لِمَنْ عَدَلًا *** عَلَى هَوَاهُ وَسَقِ لِرُبْعِهِ الْإِبْرَامِ
وَحَطَّ لِلْسَّيِّدِ الْبُكْرِيِّ رِكَابَ مَنَى *** تَجِدُ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَ بَابِهِ الْأُمْلَاءِ
وَإِذْكَرْ كَرِيمًا قِصَاهُ لِلْعَلِيِّ خَلَقَ *** عُدْبٌ وَفَازَ بِسُؤْلِ مَنْ بِهِ مِنْ بِيهِ نَزَلًا.⁴

توفي في يوم الأحد 12 ذي القعدة سنة 1133هـ / 1720م.

✓ أحمد بن يوسف التنلايني (ت 1078هـ / 1667م):

¹ بكرراوي محمد العالم، الدرّة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، خزانة محمد العالم، المنبعة، غرداية، الجزائر، ص 20، وأيضاً: محمد بن عبد الكريم بكرراوي، المصدر السابق، ص 01، أيضاً بكرراوي محمد العالم، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات، مخطوط بخزانة محمد العالم، المنبعة غرداية، الجزائر، ص 13.

² بكرراوي محمد العالم، المصدر السابق، ص 23.

³ البكري بن عبد الرحمان التنلايني، الديوان ضمن مجموع به مؤلفات الشيخ البكري بن عبد الرحمان التنلايني، مخطوط بخزانة الشيخ عبد القادر بن عبد الكريم المغيلي، أدرار، ص 60.

⁴ أحمد أبا الصافي جعفري، رحال في الشيخ محمد ايداو علي حياته وشعره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ص 44.

هو أحمد بن يوسف بن محمد بن علي، ينتهي نسبه إلى الصحابي عثمان بن عفان -رضي الله عنه¹ - ويعتبر أبا العائلة التينيلانية، ولد سنة 1002هـ / 1593م بأولاد ونقال وبما نشأ.

انتقل إلى تمنطيط فدرس على يد الشيخ عبد الكريم بن احمد التواتي وغيره من علماء تمنطيط، ثم تتلمذ على يد عبد الحاكم بن عبد الكريم الوطاسي وعند أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي وعلى يد أحمد بابا التمبكتي.²

رجع إلى مسقط رأسه واشتغل بالتدريس لكن الظروف لم تساعد على المضي قدما في رسالته التعليمية، فانتقل إلى أرض قرب قصر تينيلان وذلك يوم الأربعاء 11 رمضان 1058هـ / 1648م، وشرع في بناء زاوية سماها "رزق الله الواسع لعباده النافع"³ ثم عرفت فيما بعد بزاوية تينيلان نسبة لقصر تينيلان القديم.

أصبحت الزاوية التينيلانية التي أنشأها الشيخ وجلس للتدريس والافتاء بها عشرين سنة، مركز إشعاع علمي داخل توات يقصدها الطلبة من كل حدب وصوب، فتتلمذ على يده العديد من العلماء كعبد القادر بن محمد بن عبد الله التميموني، وعبد الله بن علي بن محمد وغيرهم.

ويرجع الفضل في العدد الكبير من العلماء الذين تتلمذوا على يده إلى ما علمه الناس عنه من علو كعبه ورسوخ قدمه في العلوم النقلية والعقلية، فقد ذكر حفيده "محمد عبد العزيز سيد اعمر أن شهرته في هذه المنطقة لا تحتاج إلى دليل فهو كالشمس وقت وقوفها وسط السماء لا يخفى ضوءها إلا على عليل فانه كان شيخا عالما عاملا ماهرا في علم الحديث"⁴، يضاف إلى هذا أنه

¹ مؤلف مجهول، تقييد نسب العائلة التينيلانية، خزانة باعبد الله أدرار، ص 01.

² محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، المصدر السابق، ص 20-21.

³ سيد عمر، محمد عبد العزيز، قطف الزهرات من اخبار علماء توات، ط 2، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 80.

⁴ نفسه، ص 79.

كان من أصبر الناس يأخذ بمكارم الأخلاق، ويفهم من هذا أنه جلس للتدريس في الكتاتيب¹، وكان كثير الاجتهاد فصيح اللسان، طويل الباع في النوازل، تولى القضاء على كافة الديار التواتية.² خَلَّف مؤلفات عديدة وأشعار جيدة، ومما وجد من شعره في بعض التقايد قوله:

لَا تَعْجَبَنَّ دُنْيَا أَنْتَ تَارِكُهَا *** كَمْ نَالَهَا مِنْ أَنْاسٍ ثُمَّ قَدْ ذَهَبُوا³

إضافة إلى كتاب في التاريخ أطلق عليه بعض الباحثين⁴ اسم "التودد"، وهو عبارة عن مخطوط تحدث فيه عن تاريخ توات والقبائل التي سكنتها لكن المخطوط مفقود، ومما يدل على وجوده هو اعتماد الضابط الفرنسي مارثان AGP Martin عليه في كتابه "الواحات الصحراوية".⁵ توفي الشيخ أحمد بن يوسف بتينيلان سنة 1078هـ / 1667م.

✓ عمر بن عبد القادر التينلاني (1152هـ / 1739م)

هو أبو حفص عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التينلاني الملقب بالأكبر ولد بتينيلان عام 1098هـ 1686م، حيث تلقى العلم في زاوية أبيه بتينيلان كان كبير القدر وافر الهمة حيث هاجر في طلب العلم، ذاق مرارة الغربة وصبر العلم فحظ رحاله في فاس⁶ منارة العلم في عصره، حيث تتلمذ على علمائها منهم أبا عبد الله محمد السالم بن محمد البرباعي، قرأ عليه القرآن بالمدرسة المصباحية بفاس⁷، ثم العربي بن أبي عبد الله محمد الفاسي وأبو عبد الله السجلماسي وإدريس المشاط الفاسي، ومحمد الطيب بن عبد الرحمن القاضي الفاسي وأحمد مبارك السجلماسي

¹ عبد القادر المهداوي، الدرّة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة ابن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، ص 3.

² محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، جوهرة المعاني، المصدر السابق، ص 20-21.

³ بكرأوي محمد العالم، المصدر السابق، ص 23.

⁴ يذكر الباحث مقدم مبروك أنه عثر عليه بفرنسا أثناء قيامه بالبحث العلمي.

⁵ AGP Martin ; Les Oasis Sahariennes, Alger, 1908, p 185.

⁶ عمر بن عبد القادر التينلاني، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة ابن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار، ص 01 وما بعدها.

⁷ المدرسة المصباحية: بناها السلطان أبو الحسن المريني، سميت بالمصباحية نسبة إلى أبي الضياء مصباح أول من درس بها، انظر: الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الانفاس ومحاذاة الاكياس فيمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس.

ومحمد بن محمد ميارة الفاسي ومحمد بن أحمد المسناوي¹، بعد سلسلة هؤلاء الشيوخ تُوج أبو حفص بعدة إجازات وأصبح مؤهلاً ليتصدر التدريس فرجع إلى توات وبالضبط إلى زاوية تنيلان فقصدته الطلاب من كل الجهات حيث تتلمذ على يده طلبة ذاعت شهرتهم في البلاد التواتية وخارجها مثل عبد الرحمن الجنتوري صاحب النوازل الذي قال فيه "أنه قد كان يتكلف حفظ عبارة الخطاب فرمما كان في الدرس نحو من أربعة عشر ورقة من حاشيته بالقلب الكبير فيحفظ جميع ذلك ويمليه بالمجلس والطلبة بأيديهم نسخ منه"²، وعبد الرحمن بن عمر التنيلاي صاحب الفهرسة، وأبو عبد الله محمد الله بن عبد محمد بن عبد الكريم الأمريني³.

أما مؤلفاته فكانت له تقيدات على المختصر (مختصر خليل) بالإضافة إلى فهرسته التي يذكر فيها شيوخه وهي موجودة في خزانة تنيلان، توفي يوم الأربعاء 03 ربيع عام 1152هـ 1739م وعمره أربعة وخمسون سنة، ودفن بمجلسه الذي كان يدرس فيه بزاوية تنيلان⁴.

✓ عبد الرحمان بن عمر التلاني (ت 1189هـ / 1775م):

ولد أبوزيد عبد الرحمان بن عمر بن معروف بن يوسف التواتي التلاني سنة (1121هـ / 1709م) من عائلة اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة إذ هي من أجل البيوتات التواتية، نشأ في بيت جاه وحسب وصلاح وبيئة علم ومعرفة وكلها عوامل ساهمت في تكوين شخصيته العلمية⁵.

وقد حلاه صاحب جوهرة المعاني بقوله: "... شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ العلامة، الفهامة، علم الأعلام ومرشد الإسلام، أبوزيد كان -رحمه الله- عالماً ثاقب الذهن ذا وقار وديانة انتهت إليه

¹ بخدا مريم، أعلام العائلة النيلانية، ودورهم العلمي ودورهم العلمي خلال القرنين 11هـ / 12هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة أدرار، إشراف شترة خير الدين، 2013/2012، ص 43-44.

² محمد باي بلعالم، الغصن الدابي في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاي، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 22.

³ طموز عبد الكريم، تحقيق فهرس شيوخ عمر بن عبد القادر التلاني، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، إشراف: بوبة مجاني، 2009-2010، ص 51.

⁴ بخدا مريم، أعلام الزاوية النيلانية، مرجع سابق، ص 46.

⁵ عبد الرحمان بعثمان، الدور العلمي للزاوية التلانية، الملتقى الوطني الرابع "إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث" 19-20 أبريل 2010، ص 06.

رئاسة الفقه بالديار الصحراوية"¹، وقال عنه صاحب الدرّة الفاخرة: "عالم العصر... صالحا مجتهدا، نوازليا، عجيبا فاضلا في فنون كثيرة وتخرج عنه الأعيان"².

تلقى العلم على يد مجموعة من المشايخ وفق طرق التدريس المتبعة في القطر التواتي حيث دخل الكتاب في سن مبكرة فحفظ القرآن على عادة أقرانه على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التلاني، ثم الشيخ الجنتوري³ الذي قال عنه الشيخ عبد الرحمان في فهرسته: "استفدنا منه أضعاف ما استفدنا من شيخنا أبي حفص لانبساطه معنا ومداعبته وصبره على جفائنا"⁴ ثم رحل معه الى جنتور⁵ لطلب العلم، ومن العلماء الذين التقى بهم في الزاوية التلانية الشيخ عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي حيث درس عليه الفقه واللغة⁶، والتقى بتنان بالشيخ العالم اللغوي أبي عبد الله محمد بن أبّ المزمرى الذي مرّ بالزاوية التلانية متوجها إلى تينجورارين سنة 1151هـ / 1738م حيث أخذ عليه المرشد المعين والخزرجية في علم العروض.⁷

سافر الشيخ عبد الرحمان بن عمر إلى سجلماسة وبلاد التكرور فأخذ عن عدة شيوخ نذكر منهم صالح بن محمد السجلماسي اللمطي وأبو عبد الله محمد بن علي الدرعي، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي⁸، وفي بلاد التكرور أخذ عنه أبو العباس أحمد بن صالح التكروري، حيث التقاه بمدينة أروان⁹، وتلقى إثر ذلك إجازات عن هؤلاء الشيوخ، وكانت له محاورات علمية مع كبار

1 محمد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني، المصدر السابق، ص38.

2 عبد القادر المهداوي بن عمر، الدرّة الفاخرة في ذكر مشايخ التواتية، مخطوط بجزنة شاري الطيب، كوسام، ادار، الجزائر، الورقة 06/05.

3 عبد الرحمان بن عمر التلاني، مختصر النوادر، مخطوط بجزنة محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار، ص 07.

4 عبد الرحمان بن عمر التلاني، تراجم بعض العلماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التلاني (فهرسة الشيوخ)، مخطوط بجزنة تينيلان، ادار، الجزائر، ص 23.

5 جنتور من قرى تميمون تبعد عنها بحوالي 60 كلم شمالي ولاية أدرار.

6 عبد الرحمان بن عمر التلاني، فهرسة الشيوخ، مصدر سابق، ص 25.

7 كانت تنان منطقة عبور لمن يريد الذهاب الى تينجورارين، وربما تمر بها القوافل التجارية الذاهبة الى الجزائر.

8 هو أبو العباس أحمد بن علي بن اسحاق بن ابراهيم السجلماسي الامام علم الأعلام توفي عام 1175هـ، كان فقيها مشاركا في علوم مختلفة، ينظر: محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج 7، ص 237.

9 أروان: مدينة في بلاد التكرور بينها وبين تمبكتو ثمانية مراحل تقع الآن بدولة مالي، ينظر: الأرواني مولاي أحمد بن بابكر، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة نيامي النيجر، ص 08.

علماء وشيوخ عصره فعلا شأنه في العلم، فعرف بـ"الشيخ" وأصبح مرجعا للفتوى لكثير من العلماء والقضاة، ومعظم علماء القرن الثاني عشر والثالث عشر المهجريين هللوا من علمه الغزير¹.

تخرج العديد من التلاميذ على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر فأكملوا مسيرته العلمية وتربعوا للتدريس والإفتاء والقضاء فكان منهم الفقيه والمحدث والنوازي والشاعر الأديب، نذكر منهم:

■ الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التتلاي (1151-1233هـ)²: هو ابنه وحافظ سره وورث علمه، تلقى العلم على يد والده³.

■ محمد بن محمد العالم الزجلوي المتوفي عام (1212هـ/1798م): هو الإمام الشهير والقدوة المنير، كان آية في العلم والحفظ والذكاء، يعتمد على فتوى شيخه أبي زيد في المعضلات، له كتاب (الوحيز) حل فيه ألفاظ مختصر خليل وألفية (الغريب) التي حل فيه ألفاظ القرآن الكريم⁴، بالإضافة إلى توازه المسماة "نوازل الزجلوي".

■ الشيخ الأديب الشاعر محمد المبروك البوداوي⁵ المتوفي (1196هـ / 1782م): أخذ العلم على الشيخ عبد الرحمان بن عمر له العديد من الأشعار منها القصيدة التي رثى فيها شيخه.

■ القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري المتوفي (1210هـ / 1795م): القاضي الفقيه النوازي، أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتلاي، تولى القضاء بعد أبيه⁶.

■ محمد بن عبد الرحمان البلبالي المتوفي (1244هـ / 1828م): هو محمد بن عبد الرحمان المعروف بسيدي الحاج⁷، البلبالي ولد بقصر ملوكة، أخذ عن الشيخ عبد الرحمان بن عمر وابنه محمد حيث جمع الكثير من فتاويهما في كتابه المسمى "غنية المقتصد السائل"⁸، انتهت إليه

¹ جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2000، ص 196-197.

² عبد القادر بن عمر المهداوي، الدرّة الفاخرة، مصدر سابق، ص 07.

³ عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص 103.

⁴ محمد باي بلعلم، الغصن الداني، مرجع سابق، ص 27-28.

⁵ أبا الصافي أحمد جعفري، محمد بن أب المزمري حياته واثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004م، ص 38.

⁶ محمد بن عبد الكريم التمنظطي، جوهرة المعاني، مصدر سابق، ص 22.

⁷ انظر الملحق رقم 13 والملحق رقم 14.

⁸ نفسه، ص 31.

خطة القضاء في توات سنة 1210هـ / 1795م، توفي يوم الاثنين 29 جمادى الثانية 1244هـ / 1828م.

■ **عبد الله بن عبد الرحمان بن عمر المتوفي (1221هـ / 1806م):** ابن الشيخ عبد الرحمان، كان فقيها عالما ناظما للشعر.¹

■ **عمر بن عبد الرحمان الأصغر المتوفي (1221هـ / 1806م):** صاحب زاوية مهديّة، الشيخ الفاضل، العالم العلامة، قال عنه صاحب الدرّة الفاخرة: "كان عالما زاهدا ورعا".²

■ **أبو عبد الله الفلان المتوفى (1194هـ / 1780م):**³ قدم إلى توات من بلاد التكرور للدراسة على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر⁴ وهذا الأمر يدل على عظمة الشيخ وعظمة الزاوية التنلانية التي سمع صداها في المغرب الأقصى وبلاد السودان، فألف الفلاني رحلة ذكر فيها ما درسه في الزاوية التنلانية، جاء في هذه الرحلة "هو عبد الله بن أحمد الفلاني أدخله والده المكتب وهو ابن خمس سنين ولما بلغ سبع سنين ختم القرآن الكريم، ولما بلغ مبلغ الرجال طلب من والده الذهاب إلى توات لطلب العلم".⁵

■ **محمد بن مالك الفلاني القبلاوي:** أصله من أقبلي (أولف) انتقل إلى تنلان لغرض الدراسة على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر ثم واصل الدراسة على يد ابنه محمد بن عبد الرحمان بن عمر الذي أجازته⁶، وهذا ما جعله يساهم في نسخ العديد من المخطوطات منها مؤلفات شيخه عبد الرحمان منها: "مختصر النوادر، ومختصر السمين".⁷

1 محمد باي بلعالم الغصن الداني، المرجع السابق، ص 98.

2 عبد العزيز سيد اعمر، المرجع السابق، ص 89.

3 أحمد جعفري، محمد بن أب المزمري، المرجع السابق، ص 38.

4 بعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد رحمان بن عمر التواتي، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير في التاريخ العام، اشراف: محمد بن معمر، جامعة بشار، قسم تاريخ، 2009، ص 39.

5 للتوسع ينظر، أبو عبد الله بن أحمد الفلاني، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، ادغاغ، ادرار، الجزائر، الورقة 01/وجه.

6 محمد باي بلعالم، الغصن الداني، ص 28.

7 بعثمان عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص 40.

يعتبر عبد الرحمان بن عمر التتلاي من المشتهرين بالتأليف على عكس الأعلام التتلاية الأخرى، ومن الموسوعيين الذين تعددت مؤلفاتهم لتشمل صنوف أبواب العلم، فقد ألف الشيخ في اللغة والفقه وأدب الرحلة ومن بين مؤلفاته:

- مجموعة تقايد وفتاوى جمعها محمد بن عبد الكريم البلبالي في كتابه الجامع وغاية الأماني في أجوبة أبي زيد التتلاي.¹
- مختصر السمين في إعراب الكتاب المكنون: وهو اختصار لكتاب ألفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف النحوي الشافعي الحلبي المعروف بالسمين ومحوره هو إعراب القرآن الكريم.
- مختصر النوادر² وهو كتاب في الفقه نسخة تلميذه محمد بن مالك القبلاوي يشمل أمور العبادات والمعاملات كالصلاة والصيام والبيوع والمغارسة.
- رحلة حجازية: تعتبر من أجل ما ألف في فن أدب الرحلة في البلاد التواتية، سجل فيها الشيخ كل ما رآه في الطريق حتى وصوله إلى الحجاز.
- فهرسة شيوخه: ترجم فيها لشيوخه وتلاميذه ورحلاته العلمية.³
- أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين المسمى بالورقات وشرح الخطاب.
- تقریظ على نظم الأجرومية لابن أبّ المزمری⁴

✓ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التتلاي (ت 1233هـ / 1818م):⁵

من الأعلام التتلايين التواتيين المشهورين، وكنيته الواردة في نوازل الجنثوري هي أبو عبد الله⁶، ساهم في إثراء تلك النوازل بجملة من الفتاوى⁷، أخذ العلم عن والده الشيخ أبي زيد عبد الرحمان

¹ توجد نسخة من المخطوطين بخزانة سليمان مولاي علي، أدغا، أدرار.

² يوجد مخطوط بخزانة محمد باي بلعالم، أولف، أدرار.

³ توجد نسخة من الرحلة والفهرسة بخزانة سليمان مولاي علي، أدغا، أدرار.

⁴ محمد باي بلعالم، الغصن الداني، مرجع سابق، ص 57.

⁵ ينظر ترجمته في: عبد القادر بن عمر المهداوي، المصدر السابق، ص 08، محمد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص 103، الصديق

حاج أحمد، من علام التراث الكنتي المخطوط، الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وأثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007، ص 90.

⁶ أبو زيد عبد الرحمان الجنثوري، معونة الغريم في بعض احكام قضاء الدين، مخطوط بخزانة الشيخ باي بلعالم، اولف، ادرار، ص 20.

⁷ المصدر نفسه، ص 106.

التنلاني، ثم انتقل إلى سجلماسة للدراسة على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن هلال السجلماسي، الذي أشاد بسرعة تحصيله وبمستواه العلمي، فأرسل إلى والده يبشره بذلك قائلاً: ¹

إن الهلال إذا رأيت نموّه أيقه * نت أن سيكون بدرا كاملا**

تصدر محمد بن عبد الرحمان للإفتاء والتدريس في حياة أبيه في مناطق عدة، منها قصر أقبلي، وكان يرسل أباه فيما استعصى عليه من النوازل، حتى أن محمد بن عبد الملك البلبالي.

جمع كتابا سماه "الجامع"، ضمنه الكثير من الفتاوى والنوازل التي جاءت على شكل أسئلة وأجوبة متبادلة بينه وبين أبيه مبتدئة ب² "وسأل الابن أباه".

وإضافة إلى الفتاوى المنسوبة للشيخ محمد بن عبد الرحمان المتضمنة في نوازل الجنتوري، فقد كان كثير النسخ للكتب، حيث ألف العديد من الرسائل والنوازل، أهمها كتاب "غاية الأمان في أجوبة أبي زيد التنلاني"، وضمنها العديد من النوازل والأسئلة الفقهية التي تبادلها مع والده، واختص بمسائل العبادات والمعاملات ومسائل الميراث والنزاعات حول الأراضي وغيرها. فاستحق بذلك إثراء الشيوخ والمؤرخين المحليين له، ومنهم المهداوي صاحب الدرّة الفاخرة، الذي قال عنه³:
"... كان عالما مجتهدا في البحث من حفاظ الحديث والفقه والمنطق والعروض، اشتهر بالدين وحسن السيرة وكان عديم النظر في العلم على اختلاف فنونه، متبحرا في معرفة أحكامه ومعانيه، من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، انتهت إليه الرئاسة في التجويد وعلم الحديث".

✓ **عبد الرحمان بن ابراهيم الجنتوري (ت 1160هـ / 1747م):**

هو عبد الرحمان بن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي الانصالي⁴، ولد بين سنتي 1100هـ و1110هـ / 1698 و1699م¹ بقصر اجنتور.

¹ محمد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص 104.

² عبد الرحمان بعثمان الدور العلمي للزاوية التنلانية، ملتنقى أعلام توات، ص 11.

³ عبد القادر بن عمر المهداوي، المصدر السابق، ص 09.

⁴ عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 01.

تنحدر عائلته المشهورة بالعلم والفقہ من قصر تيطاف² بتوات الوسطى انتقلت لاحقاً إلى مدينة عين صالح من بلاد تيدكلت، ولذلك حمل بعض أفرادها لقب الانصالي، ثم طاب المقام والاستقرار لجد الجنتوري القريب في قصر اجنتور من بلاد تيكورارين، فالجنتوري بذلك من الأعلام القلائل الذين يرتبطون بجميع الجهات التواتية منشأ وقراراً³، أخذ عن والده القرآن ومبادئ العلوم، ثم جلس في حلقة ابن عمه الشيخ عبد العلي ابن أحمد بن عبد الرحمان الجنتوري، فقرأ عليه أمهات المتون، ولازمه برسم الاستفادة والتعلم، ففتح الله عليه، فتمكن على يديه من استيعاب مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والتلمسانية والفرائض وألفية ابن مالك وبعض تأليف القلصادي⁴.

أراد الرحلة إلى فاس لكن أهله منعه لظروف خاصة، ولما سمع بقدم الشيخ عمر بن عبد القادر التلاني إلى توات رحل إليه وأقام عنده فدرس عنده الفقه والأصول والمنطق والبلاغة وغير ذلك، وكان في هذه المدة يدرس الصبيان في المكتب⁵.

بعد أن أجازه شيخه إجازة عامة وخاصة رجع إلى بلاده اجنتور واستقر بها، فاشتغل بالتدريس والتأليف، ثم حج فلقي بمصر والحرمين جماعة من العلماء كالشيخ أبو عبد الله البليدي الغرناطي مدرس الجامع الأزهر، والشيخ سالم بن محمد النفراوي القاهري، والشيخ الدميري الشافعي وغيرهم من علماء المشرق الذين أجاز بعضهم واستجاز من بعضهم⁶.

¹ لم تذكر المصادر سنة بعينها، لكن يمكن استنباط تاريخ ولادته بناء على تاريخ وفاته 1160هـ / 1747م وأنه عاش بضعا وخمسين سنة، ينظر: عبد الرحمان الجنتوري، المصدر نفسه، ص 02.

² تيطاف أو تطف أو تطف احدى قصور بلدية تامست، يقع على مسافة 60 كلم جنوب أدرار.

³ بوسعيد أحمد، المرجع السابق، ص 53.

⁴ القلصادي أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطس، من أئمة الأندلس، عالم بالحساب فقيه من المالكية، انتقل الى غرناطة فأقام هناك ثم رحل إلى المشرق، وتوفي بباجة في تونس له "أشرف المسالك الى مذهب مالك"، "كشف الجلباب عن علم الحساب"، "تنبيه الانسان بعلم الميزان"، "هداية الأنام في قواعد الاسلام" وغيرهم، توفي سنة 891هـ / 1486م. ينظر: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930، ص 261.

⁵ عبد الرحمان بن عمر التلاني، فهرس الشيوخ، مصدر سابق، ص 88.

⁶ نفسه، ص 116.

وقد كان شديد النكير على قضاة زمانه يصفهم بالجهل وينعتهم بالجور ومخالفة المشهور والراجح، وبتهمهم بتغيير سنن الدين وأحكام الشرع، فتراه كثير المراجعة لهم لا تأخذه في الله لومة لائم¹.

✓ محمد بن أب المزمري:

هو الشيخ محمد بن أب أحمد المزمري من قبيلة زمورة البربرية في بلاد توات الجزائرية نسبه موصل الى قبيلة بني مخزوم العربية، ولد في ديار توات في بداية القرن الثاني عشر سنة 1116هـ/ 1704م تقريباً² بقرية تدعى "أولاد الحاج" من بلدية تمقطن حالياً بأولف³، نشأ وترى بأولاد الحاج مسقط رأسه، فلزم الشيخ محمد الصالح بن المقداد، ثم انتقل إلى زاوية كنتة، فتتلمذ على الشيخ عمر بن محمد المصطفى الرقادي الكنتي، ثم انتقل إلى تمنطيط التي درس بها كثيراً⁴، ثم تنقل بين بلدان عربية كسجلماسة وفاس من بلاد المغرب، وبين تمبكتو وأروان من بلاد السودان، فدرس على عدد من المشايخ أشارت لهم المصادر التي ترجمت له كالشيخ بوسماحة التلمساني وإبراهيم الملايخاني ويوسف أحنصال وسيد أحمد التوجي⁵، ثم تحول إلى التدريس واستقر أخيراً بتيميمون.

ولم تشر المصادر إلا إلى ثلة قليلة من تلاميذه الذين كتبوا عنه وترجموا له ضمن سلسلة أساتذتهم وشيوخهم، وأبرزهم نجله ضيف الله وعمر بن المصطفى الرقادي⁶ والشيخ عبد الرحمان بن عمر التتلاي⁷، الذي علّل سبب قلة الذين أخذوا عنه لكونه كان متنقلاً جوّالاً فقال في فهرسته:

¹ عبد الرحمان بن عمر التتلاي، فهرس الشيوخ، مصدر سابق، ص 116.

² بن ساسي إبراهيم، من أعلام الجنوب الجزائري، مطبعة ENAG، الجزائر 2011، ص 115.

³ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الاعلام والاثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج 1، دار هومة، الجزائر، ص 89.

⁴ جعفري أحمد أب الصافي، محمد بن أب المزمري، مرجع سابق، ص 54.

⁵ ينظر: جعفري احمد، نفسه، ص 54، أيضاً: عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، (د.ن)، الجزائر، 2006.

⁶ عمر بن المصطفى الرقادي: هو الشيخ عمر بن مصطفى الرقادي الكنتي (ت 1157هـ / 1744م)، وصفه عبد الرحمان بن عمر التتلاي في فهرسته بأنه كان آية في علم اللغة فصيح اللسان، تتلمذ على يد الشيخ محمد بن أب المزمري والشيخ عبد المؤمن حماد، توفي في طريقه إلى الحج بقرية زلة الليبية في 23 ربيع الثاني سنة 1157 / جوان 1744م.

⁷ جعفري أحمد أب الصافي، رجال في الذاكرة، محمد بن أب المزمري، طبع دار الثقافة، أدرار، 2003، ص 33.

"أخذ عنه جماعة وانتفعوا به في مواطن، لأنه كان جوّالا في البلاد"¹، وقد نظم قصائد ومقاطع لو جمعت لكانت ديوانا كبيرا².

ومن الشيوخ الآخرين الذين شهدوا بفضل الشيخ ابن أبّ وربطتهم به علاقات علمية هو الشيخ عبد الرحمان الجنتوري الذي توفي قبل الشيخ بن أبّ بثلاثة وعشرين يوما³، وكان قد ربطته به علاقة خاصة بحكم استقرارهما معا في منطقة تيكورارين وتمائل عمريهما، وتميز كل واحد منهما في فنون دون غيرها، فأصبح ابن أبّ اللغوي مرجعا للجنتوري في الضوابط الشعرية والأدبية، كما كان الجنتوري الفقيه مقصدا لابن أبّ فيما أشكل عليه من مسائل فقهية ونوازل محلية، فكانا يقضيان النهار معا يتدارسان الفنون والعلوم، ويعرض أحدهما على الآخر ما جادت به قريحته، ورغب في أخذ رأيه بشأنه⁴.

وقد خلف ابن أبّ تأليفَ قيّمة، طبع بعضها وبقي أغلبها مخطوطا، غلبت عليها القصائد الشعرية والتأليف اللغوية، ومن مؤلفاته الكثيرة نذكر:

- نظم العبقرى في أحكام السهو في الصلاة الذي لا يزال يدرس ومتداول في المنطقة.
- نزهة الحلوم في نظم ابن أجروم.
- نظم معاني بعض حروف الجر.
- روضة النسرين في مسائل التمرين وهي أرجوزة في التصريف.
- الذخيرة الكنزية في حل ألفاظ الهمزية وهي شرح على همزية البوصيري.
- تكملة الخزرجية في فك دوائر البحور في اثني عشر بينا.
- شرح للامية العجم سماه نفت القلم.
- شرح للمقصود والممدود لابن دريد.

¹ عبد الرحمان بن عمر التلاني، الفهرسة، المصدر السابق، ص 137.

² عبد الرحمان بن عمر التلاني، فهرسة الشيوخ، المصدر السابق، ص 133.

³ بن الساسي إبراهيم، المرجع السابق، ص 117.

⁴ ضيف الله ابن أبّ، الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنيط، ادرار، الجزائر، ص 67.

- شرح للامية ابن المجراد سماها " نيل المراد".
 - قصيدة رجزية في " ألفيات الزحافات والعلل" سماها " روائق الحلل".
- توفي -رحمه الله- ظهر يوم الاثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة 1160هـ / 1747م بتيميمون ودفن بمقبرتها¹، وقبره مشهور يزار يعرف بقبر العبقري نسبة إلى المؤلف الشهير المذكور.

✓ محمد بن المبروك البوداوي الجعفري:

ولد محمد بن المبروك البوداوي بقصر زاوية سيدي حيدة ببودة ونشأ بها وهناك تلقى علومه الأولى ثم انتقل إلى أولاد ونقال فتتلمذ على أحمد بن عبد الله الونقالي²، وعلى عمر بن عبد القادر التلاني، وعلى عبد الرحمان بن عمر التلاني³.

ذكره صاحب الدرّة الفاخرة⁴ أنه "كان -رحمه الله- عالما، ورعا، زاهدا، أحد الحفاظ، أخذ العلم عن الشيخ أحمد الونقالي، والشيخ عمر بن عبد القادر والشيخ عبد الرحمان بن عمر، تبحر في العلم والأدب وتفرد في المديح"⁵.

توفي -رحمه الله- على الأرجح في الثامن من شهر شعبان عام 1198هـ / 1783م، وقيل 1195هـ / 1780م، وقيل 1196هـ / 1781م⁶.

✓ محمد العالم الزجلاوي (ت 1210هـ / 1795م):

ترجع الشهرة العلمية لمركز زاجلو،¹ لعلمين بارزين من أعلام هذا المركز الحساس، ويتعلق الأمر بعلي بن حنيني الزجلاوي (ت 1118هـ)، الذي تتلمذ على الشيخ علي النحوي الوجروتي، وإلى

¹ ضيف الله ابن أب، المصدر نفسه، ص 33.

² مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة في ابراز شخصيات من علماء وصالحى اقليم، توات، منشرات الديوان الوطني للنشر والاشهار، الجزائر، 2005، ج 3، ص 205.

³ عبد القادر بن عبد الرحمان التلاني، الدرّة الفاخرة، المصدر السابق، ص 07.

⁴ مؤلف كتاب الدرّة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية هو عبد القادر بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف التلاني مولدا ومنشأ، المهداوي دارا ومسكنا، درس على يد الشيخ محمد بن عبد العزيز توفي بزواية المهديّة سنة 1265هـ / 1848م، ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 2، ص 186، /عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص 51.

⁵ عبد القادر بن عبد الرحمان التلاني المهداوي، المصدر السابق، ص 07.

⁶ نفسه، ص 33.

شخصية زجلالية ثانية ظهرت في الفترة الأخيرة من القرن 12هـ، ويتعلق الأمر بمحمد بلعالم الزجلالي، الذي نهض باللغة العربية وعلومها بتوات، نظرا لتتلمذه على عبد القادر بن عمر التتلاي، وعلى عبد الرحمان بن عمر التتلاي، فضلا عن مؤلفه اللغوي الثمين الذي ألفه في غريب القرآن².

قال فيه صاحب الدرّة الفاخرة: "كان - رحمه الله - أحد الأعلام المجتهدين في عصره، كان عالما بالفرائض، وعليه مدار الفتوى، انتهت إليه الرئاسة في الديار التواتية"³.

وكان الشيخ الزجلالي قد نشأ بمسقط رأسه زاجلو، حيث حفظ القرآن الكريم، وأخذ المبادئ الأولى من المتون، ثم رحل إلى تينلان فتتلمذ على عبد القادر بن عمر التتلاي، فأخذ عنه الفقه، والنحو، والتفسير، والمنطق⁴، كما تتلمذ على عبد الرحمان بن عمر التتلاي، وأخذ عنه العلوم، وطلب منه هذا الأخير أن يضع شرحا على مختصر خليل⁵.

ولقد خلف لنا مجموعة من المؤلفات الفقهية واللغوية وهي كالتالي:

- ألفية غريب القرآن، وقد قال عنها صاحب قطف الزهرات بأنها للطلبة كالغذاء للأبدان⁶، وقد مدحها عبد الكريم بن بابا حيدة التمنيطي بخمسة أبيات، قال في مطلعها:
إذا رمت ذوقا كالعسل حلاوة *** عليك بنظم كالجواهر رصعا.⁷
- شرح مختصر خليل⁸.
- نوازل، وقد قال عنها محمد باي بلعالم بأنها كتاب قيم، لا يستغنى عنها عالم ولا قاضي⁹.

¹ مركز زاجلو: يقع جنوب ولاية أدرار، يتبع إداريا لبلدية زاوية كنتة، يبعد عن مقر الولاية بـ 70 كلم.

² ينظر مؤلفه اللغوي في الباب الثالث الخاص لمصادر الدرس اللغوي بتوات.

³ عبد القادر المهداوي، الدرّة الفاخرة، مصدر سابق، وجه الورقة 08.

⁴ عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص 93.

⁵ محمد باي بلعالم، الغصن الداني، مرجع سابق، ص 27.

⁶ عبد العزيز سيد عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، مرجع سابق، ص 123.

⁷ بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص 94.

⁸ أبو عبد الله محمد الخرشبي، شرح الخرشبي على مختصر خليل، مخطوط بجزالة الطبيب الشاري، كوسام: تيمي، أدرار، الجزائر.

⁹ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، مرجع سابق، ص 128.

- شرح على التلمسانية في الفرائض.
 - شرح على المرشد المعين.
- توفي -رحمه الله- يوم الثلاثاء 23 شوال عام 1212هـ.¹

¹ عبد العزيز سيد عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، المرجع السابق، ص 123.

خلاصة الفصل:

وفي ختام هذا الفصل نستطيع القول بأن إقليم توات شهد خلال العهد العثماني ما يمكن اعتباره نهضة ثقافية علمية وحضارية، مكنته من أن يتبوأ مكانة مرموقة بين الحواضر والمدن المتاخمة له، ساهمت في تفعيلها عوامل موازية، على غرار العامل الاقتصادي والتجاري، والعامل الجغرافي الإستراتيجي.

وقد تباينت آراء المؤرخين حول أصل التسمية "توات" واختلفت تفسيراتهم حول ذلك، لكنهم اتفقوا على قدمها، وقد سجلنا في دراستنا وجود سبعة روايات حول أصل تسمية المنطقة ما يعكس الأهمية البالغة للمنطقة لسكانها وحضارتها وإلا لما كان كل هذا الإهتمام الملفت.

وقد تبلورت تلك الحركية العلمية والثقافية بجلاء، وتجسدت ملامحها وصورها في تنافس ثلة من الأعلام التواتيين عطاء واجتهاداً، وفي وفرة التأليف والتصانيف، التي شملت مختلف الفنون والعلوم، وفي تناثر المدارس والزوايا عبر ربوع وقصور توات.

انتشار الزوايا والمراكز العلمية في أنحاء الإقليم، وتسابق الطلبة في مجالات العلم والمعرفة، وتنافسهم في الفنون المعتمدة للتدريس، وانتصاب مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء، الذين تمكنوا من ربط علاقات ثقافية مميزة مع حواضر المغرب الأقصى، ومع بلاد السودان.

شيوخ ظاهرة المحاورات والمناظرات العلمية، وتسليح الأعلام بالأدلة والمنطق وإعمال الفكر والرحلات نحو مختلف الأمصار والأقطار.

الفصل الثالث:

مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة وارجلان

- المبحث الأول: الأوضاع العامة
- المبحث الثاني: مراكز الإشعاع الثقافي
- المبحث الثالث: علماء وارجلان

مقدمة الفصل

بعد أن تطرقتنا خلال الفصلين الأول والثاني إلى مراكز الإشعاع الثقافي في منطقتي وادي ميزاب وتوات، سنحاول من خلال هذا الفصل تسليط الضوء على حاضرة صحراوية شكلت ثقلا سياسيا وعلميا واقتصاديا هاما في منطقة الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني، ألا وهي منطقة وارجلان.

تحتل منطقة وارجلان موقعا استراتيجيا ميّزها عن غيرها من الواحات الصحراوية، الأمر الذي بوّأها لأن تكون مركزا اقتصاديا في المنطقة، إذ أضحت نقطة التقاء القوافل الصحراوية الوافدة من البلدان المجاورة، والمتجهة إلى إفريقيا جنوب الصحراء، ومن جهة أخرى اعتبرت هذه المنطقة بوابة الصحراء الكبرى نحو بلاد السودان، وحلقة وصل حضاري وثقافي بين المدن الكبرى الشمالية، ومناطق الصحراء الكبرى.

تميز النظام التعليمي بوارجلان بانقسامه إلى قسمين، تعليم إباضي تشرف عليه جماعة العزابة، وتعليم مالكي تشرف عليه هيئة المسجد المالكي، وبعض الطرق الصوفية، كالرحمانية والقادرية. كما تميّزت بكثرة المؤسسات الثقافية كالمساجد، وأهمها المسجد المالكي، الذي يعود تأسيسه إلى العهد الحفصي والمسجد الإباضي المعروف بمسجد "لالة عزة".

وظهر في منطقة وارجلان مجموعة من الشيوخ والعلماء والصالحين من المذهبين المالكي والإباضي، ساهموا في نشر العلوم الدينية والثقافية وعزز التواصل مع الحواضر الكبرى في العهد العثماني.

المبحث الأول

أوضاع منطقة وارجلان خلال العهد العثماني

أولاً: أصل التسمية

اختلفت المصادر والمراجع، من كتابات محلية وفرنسية، وروايات شفوية، وأساطير شعبية، في أصل تسمية مدينة ورقلة، ونُطق اسمها ومدلولاتها اللغوية والاصطلاحية، فمن خلال ما قرأت وبجئت وجدت أنَّها جاءت باسم: وارجلان¹ - وارجلة - واركلا - واركلة - وارقرن - وارقلان - وارقلة - وارقلا.

جميع هذه الأسماء المتنوعة التي تختلف في النطق، وفي شكل الكتابة، والجهة التي أطلقتها، والعصر الذي استعملت فيه دالَّةً على مكان واحد هو ورقلة الحالية. فقد وجدت:

أ- الكتابات الإباضية:

تعتبر الكتابات الإباضية من أهم المصادر المحلية التي تكلمت عن منطقة ورقلة، فقد ذكرها أبو عبيد الله البكري² في كتاباته باسم "وارجلان"، فقد أشار إشارة طفيفة عن موقع هذه المدينة فقال: "...مدينة طبنا حواليتها بنو زرتاج، ومنها إلى نهر الغابة، ثم نمشي ثلاث مراحل إلى مسالك العرب وهرارة و كبيتة و ورغلة"³.

¹ وارجلان: وردت تاريخياً بعدة تسميات، مثل: واركلا، وارقلا، وارجلة، وارقلان، وارقرن... وغيرها، تقع مدينة وارجلان في جنوب شرقي الجزائر، وتبعد عن العاصمة الجزائرية بحوالي 819 كم، وسكانها أحد بطون زناتة. انظر: عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1983، ص107.

² أبو عبيد الله البكري: هو أبو عبيدة الله بن أبي مصعب عبد العزيز بن أبي زيد بن محمد بن أيوب بن عمر البكري نسبة إلى قبيلة بكر بن وائل العربية، أكبر قبائل ربيعة في جزيرة العرب، ولد 432 هـ / 1039 ، فقد كان مهتماً بالجغرافيا ومن أهم كتبه المسالك والممالك، وكتاب فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. انظر: الفتح بن محمد بن خاقان، فائد العقيان في محاسن الأعيان، تح: محمد العناني، ج1، المكتبة العتيقة، القاهرة، 1968، ص191.

³ أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر كتاب إفريقية والمغرب، مج 2، تح: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص110.

وذكرها في موضع آخر في كتابه "المسالك والممالك" قائلا: "...فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان، وهي سبعة حصون للبربر أكبرها تسمى أغرم أن يكامن أي حصن العهود"¹.

في حين نجد أنّ الدرجيني²، قد أشار في عديد صفحات كتابه "طبقات المشايخ بالمغرب"، إلى ذكر المنطقة بتسمية "وارجلان"، وكمثال على سبيل الحصر قال: "...وجه عسكريا عديدا إلى وارجلان"³، وفي الصفحة الموالية يقول: "...فلما وصلوا رملة ايفران لحقهم رجل من وارجلان..."⁴.

بينما نجد أنّ الوارجلاني⁵ قد ذكر المنطقة بـ"ورجلان" وذلك خلال رحلته المعروفة برحلة الوارجلاني، حيث قال: "ورجلان ليست الحاضر اليوم بل كانت قبلها مدينة سدراة 12 كلم شمال ورجلان وهي اليوم آثار ومدينة تحت الرمال وقد كانت منها قوافل الحجاج إلى مكة وقوافل التجارة إلى غانة والسودان والسير من بلد السودان...."⁶ وفي هذا الصدد يقول:

جَزَى اَللَّهُ عَنَّا وَرَجُلَانِ خَيْرٌ مَا جَزَى بِهِ بَلَدًا عَن طَالِبِ الْخَيْرِ مَاتَرٌ

فَهُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا وَأَبْوَابِ مَكَّةَ وَمَعْدِنِ تَبْرٍ غَانَا بِالِدَّنَانِيرِ

¹ أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص371.

² أبو العباس الدرجيني: هو الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني هو من علماء القرن السابع هجري، أخذ العلم عن أبي سهل يحيى بن إبراهيم أحد علماء وارجلان، من أسرة ماجدة، أسرة علم وتقوى وكفاح، كان لها المكان الأسمى في توجيه الجماهير ومشيخة العلم بنفطة، وقصر درجين وقصطالية من بلاد الجريد، توفي سنة 670 هـ. انظر: أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: ابراهيم طلاي، ج1، دار البعث، قسنطينة، ص ك.

³ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، نفسه، ص95.

⁴ نفسه، ص96.

⁵ الوارجلاني: هو الشيخ أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني من أشرف علماء الإباضية بالمغرب ولد بسدراة 500هـ/ 1106 م فكان من الرحالة إلى بلاد الأندلس بحيث لقب بمحافظ الأندلس، ومن أهم مؤلفاته "تفسير القرآن الكريم"، و"الدليل والبرهان لأهل العقول". انظر: حميد زيدور، التاريخ والمؤرخون في وارجلان الإباضية على عهد الموحدين (أبو يوسف بن إبراهيم الوارجلاني نموذجاً)، مجلة عصور جديدة، ع3-4، جامعة وهران، خريف 1432-2011/شتاء 1433-2012م، ص110.

⁶ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراي الوارجلاني، رحلة الوارجلاني، تح: يحيى بن هون حاج أحمد، ط1، ص.ب، العطف، غرداية، 2006، ص58.

فَمَنْ كَانَ يَبْغِي الْحُجَّ فَلْيَأْتِ وَرَجُلَانِ يَجِدُ سَيْلَهَا رَحْبًا وَخَفْرُهُ خَافِرَةٌ¹.

ويذهب إبراهيم أعزام في كتابه غصن البان في تاريخ وارجلان إلى القول: "بأنها تسمى ورجلان وركلان، وارقلا و ورقلة، وقال بأنها معروفة الآن بورجلان أو ورقلة"².

ب- رواية الرحالة والجغرافيين

لقد أشار الكثير من الرحالة والجغرافيين إلى هذه المنطقة وتكلموا في أصل تسميتها. ويأتي في مقدمة هؤلاء العلامة عبد الرحمان بن خلدون الذي قال: ".....وركلا و واركلة و وركلي وقيل تسمى واركلان جمع وارقلة نسبة إلى بني واركلة الذين قدموا إليها أيام الفتح الإسلامي من الشمال والغرب صُحبة مغراوة ثم استولوا على المدينة.... بنو وركلا وهم احدى بطون زناتة وهذا البلد لهذا العهد باب ولوح السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية والمفيضة إلى بلاد السودان³، ويذكر لنا ياقوت الحموي⁴ نبذة عن تاريخ وأصل تسمية مدينة ورقلة إذ يقول:"...ورجلان بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الجيم وآخره نون، كورة بين افريقيا وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخيل والخيرات... واسم مدينة هذه الكورة فجومة"⁵.

ثم يقول في مكان آخر:"جومه بالضم ثم السكون وفتح الهاء الأولى بليدة بالمغرب في أقصى إفريقية وهي قصبة كورة مجاورة لبلاد الجريد تسمى ورجلان"⁶.

¹ نفسه، ص59.

² إبراهيم أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، مخطوط بمكتبة العطف بني سحن، غرداية، ورقة 14 .

³ عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المصدر السابق، ص120.

⁴ ياقوت الحموي: هو شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي توفي سنة 662 هـ، له عدة مؤلفات منها: كتاب "معجم الشعراء"، وكتاب "معجم الأدباء"، وكتاب "المبدأ والمآل" في التاريخ، و"المقتضب في النسب" يذكر فيه أنساب العرب، وكتاب "معجم البلدان" الذي يعتبر من المعاجم الجغرافية الهامة، ورغم زيارته لكل من مصر والشام والعراق وفاس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر فهو يعتمد على ما مجوزته من كتب جغرافية وتاريخية. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج6، دار صادر، بيروت، 1978، ص127.

⁵ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1997، ص920 .

⁶ نفسه، ص162.

بينما يذكر الإدريسي¹ في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " مدينة ورقلة قائلاً: "...أن مدينة ورقلان أو ورقلة هي مدينة بها قبائل مياسر تجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة²، فيخرجون منها التبر، ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم، وهم وهبية إباحية نكار حوارج من دين الإسلام، ومن وارقلان إلى غانة ثلاثون مرحلة"³.

والجدير بالذكر أن العياشي هو الآخر قد ذكر منطقة ورقلة في رحلته المعروفة بالرحلة العياشية(ماء الموائد) ، وهذا خلال ذهابه إلى البقاع المقدسة سنة 1059هـ/1649م، وذكرها باسم "واركلا" مع وضع ثلاث نقاط أسفل الكاف دون أن يقدم توضيحاً أكثر عن هذا المصطلح ولا عن تاريخ تأسيس المدينة، وقال فيها: "... لها سبعة أبواب وهي في وسط خط من النخيل ومساحتها بالتخمين نصف فرسخ يحيط بها خندق مملوء بالماء وهؤلاء جميعاً كَوَّنُوا سكان قصر ورقلة الذي حكمه مولاي علاهم"⁴.

ويصف لنا الحسن الوزان المعروف بليون الأفريقي مدينة ورقلة في كتابه "وصف إفريقيا" قائلاً: "ورُكَّلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا لها سور من الآجر النيء ودُور جميلة، وحوها نخل كثير. ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى. الصناعات فيها كثيرون، وسكانها أغنياء جداً، بها تجار أجانب عن البلد قسنطينة وتونس ويحملون إلى ورقلة منجات بلاد البربر ويستبدلونها بما يأتي من بلاد السودان.... وأهل واركلة كرماء، شرفاء، يستقبلون الغرباء استقبالا جيدا"⁵.

¹ الإدريسي: هو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن ادريس الشريف الإدريسي عالم مسلم من أهل البيت أحد كبار الجغرافيين في التاريخ ومؤسس علم الجغرافيا، ولد بمدينة سبتة المغربية عام 493 هـ/ 1100 م وتوفي عام 559 هـ/ 1166 م، من مؤلفاته: "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق". انظر: سامح كُرَيْم، موسوعة أعلام المجددين في الإسلام من القرن السادس حتى القرن الثاني عشر هجري، ج2، القاهرة، أكتوبر 2008، ص36.

² بلاد ونقارة: من بلاد السودان، شرقي غانة، "من مدينة غانة إلى أول بلاد ونقارة ثمانية أيام، وبلاد ونقارة هذه هي بلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة، يطلق عليها "ونقارة التبر"، من مُشتربي تبرهم أهل ورقلان. انظر: إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: إبراهيم بن بكير بحاز، ط1، العالمية، 2013، ص68.

³ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق، ص197.

⁴ أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، تح: سعيد الفضلي، ط1، دار السويدي، الإمارات، 2006، ج1، ص45.

⁵ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان-، 1983، ص136.

ج- رواية المستشرقين:

وعلى غرار الروايات الإباضية وروايات الرحالة والجغرافيين، نجد أنّ المستشرقين المهتمين بتاريخ المنطقة قد دوّنوا في كتاباتهم روايات حول أصل المنطقة وتسميتها. فنجد أن جون ليتيو (JEAN LETHIEUM) يرى أن كلمة "وار" عند البربر تعني الأبناء والأولاد وتأتي في بداية الإسم "وار فجومة"، وارقلا مأخوذة من كلمة "أرو"، "أرا" وتعني النفاس أو الوضع و "آكلي" و "ايكلان"، فالأولى تعني الأسود والثانية تعني السود عند اللغة الورجلانية القديمة أي أبناء الزوج أو أبناء السمر¹، ونجد أن لفيتسكي (LWICKI) يتفق مع ياقوت الحموي بأن هذه الكرة في تلك الفترة الزمنية تعني "بلاد ورقلة وحصونها بالتدقيق" وتعني وقرها التي تنتمي إليها لتكون شكل مدينة معتبرة تحمل اسم ورجلاني².

ويذكر لنا الدكتور عمر سليمان بوعصبانة في مذكرته رواية لفكتور لارجو (V.Largeau) ينسبها إلى امرأة يقول بأنها سكنت مكان المدينة حينها شنت الغارة على جبل كريمة وخرب ما حولها ومنها بنت كوخا، وسكنت المنطقة فسميت المدينة باسمها³.
أمّا المستشرق مارمول كرنجال في كتاب إفريقيا فيذكر مدينة ورقلة قائلا: "...بني البرابرة هذه المدينة العتيقة في صحراء نوميديا، وأحاطوها بالأسوار، وشيّدوا فيها منازل جميلة، يوجد بضواحيها كثير من النخل، تتخله القصور المنيعة"⁴.

ونجد مادلين روفيلوبريقول (Madeline Rouvillois-Brigol) أيضا قد

¹ Jean Lethielleux, Ouargla cité Saharienne, Paul Geuthner, Paris, 1984, p20.

² مصطفى بن صالح باجو، أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، ط2، وزارة التراث والثقافة، عمان، 2007، ص21.

³ عمر سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان (296-626هـ/909-1229م)، بحث لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: محمد ناصر، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، 1991-1992، ص31.

⁴ مارمول كرنجال، إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج3، دار المعرفة، الرباط، 1989، ص122.

ذكر المنطقة باسم "ورقلة" في كتابه "مدينة ورقلة"، ومن بين ما ذكر واصفا إياها بأن: ".....ورقلة هي قصر جميل جدا.....وجمّال ورقلة جمالٌ سرّيّ يتطلب التركيز نوعا ما حتى يتسنى لنا اكتشافه....."¹.

ويروي لنا رواية ترملي (C.Trumelet) قصة عن تأسيس ورقلة مفادها أن مؤسس قصر ورقلة هو الملك الكبير سليمان سلومو، الذي شيده على ريوّة استعمل في بنائه الحجارة، طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا ويتكون من ثلاثة أحياء ويبدو أنّ هذه القصة مجرد أسطورة رُويت له وفيها مزج بين هذا الملك وسيّدنا سليمان عليه السلام²، ولم يُقدّم أي دلائل عن هذا التأسيس³.

د- الرواية الشفوية:

تعد الرواية الشفوية المحفوظة مصدرا تاريخيا مهما؛ وقد اجتهدنا في جمع بعض الروايات الشفوية المتعلقة بالموضوع:

منها ما قام الأستاذ شافو رضوان بجمعه من سكان المنطقة، حيث وجد أن تلك الروايات الشفوية كانت متباينة، فبرى البعض أن التسمية مركبة من جزئين:

الأولى "وار" : وهو لفظ بربري يعني حسب رأيهم الأسد، أمّا الجزء الثاني "جلان" وتعني بالعربية هرب أو ذهب، وبالتالي تعني الكلمة الأسد الذي هرب واختفى.

أمّا الرواية الثانية فإنّه جاء في القواميس العربية أن لفظ قلة يعني النخلة الباسقة، وقد اشتهرت المنطقة بكثرة نخيلها⁴.

¹ Brigole Madeleine Rovilois, Le pays de Ouargla (Sahara Algérien), paris, 1975, p2.

² حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية-مدن الجنوب-، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص187.

³ Le Colonel C.Trumelet, Les Français dans le desert, bibliothèque Algerienne et coloniale, Paris, 1863, pp10-11.

⁴ رضوان شافو، من أعلام الحركة الإباضية بورجلان(ورقلة)خلال القرن الخامس هجري، قسم التاريخ، المركز الجامعي الوادي، فبراير2011، ص45.

ثانيا: الموقع الجغرافي والفلكي لوارجلان¹

أ-الموقع الجغرافي:

يحدد ابن خلدون في ديوانه الموقع الجغرافي لوارجلان، فيقول: "بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناته...وفتتهم قليلة، وكانت مواطنهم قبلة الزاب²، واختطوا المِصر³ المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب...ثم استبحر عمرانها فصارت مصرا واحدا⁴، فيحدها العرق الشرقي الكبير من الناحية الشرقية ومن الغرب والجنوب في ذهاب شبكة ميزاب وحمادة تادميت، ومن ناحية الشمال والشرق بلاد الجريد ونفزاوة وواد ريغ⁵.

ويُحدد "سعود الخثلان" حدودها بصيغة مختصرة ودقيقة فيقول: " تقع في منطقة الزاب على الطريق التجاري الذي يصل المغرب الأدنى بتادمكة ومنطقة ثنية نهر النيجر حيث تقع مملكة جاو وهي قريبة من القيروان و تيهرت وسجلماسة وجاو⁶.

ب-الموقع الفلكي:

تقع المنطقة جنوب المنخفض الصحراوي على خطي عرض 31° - 32° شمالا خط الاستواء وخطي عرض $5,15^{\circ}$ درجة و $6,30^{\circ}$ درجة شرقا خط غرينتش. وينحدر السطح من الغرب إلى الشرق، حيث تتجه الأودية مثل واد ميزاب وواد النسا إلى سبخة سفيون التي يصل

¹ انظر الملحق رقم 06.

² قبلة الزاب: بلادها بسكرة، وهي بلاد حسنة كثيرة المياه. انظر: بن أبي الفداء، تقييم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، 1830، ص139.

³ المِصر: مدينة، منطقة كبيرة تُقام فيها الدُور والأسواق والمدارس وغيرها من المرافق العامة. انظر: قاموس المعاني على الموقع: www.almaany.com. اطلع عليه يوم: الثلاثاء 29 أوت 2023 على الساعة: 15:25.

⁴ ابن خلدون، ديوان العبر، المصدر السابق، ص69.

⁵ مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، د.ط، دار الشؤون الثقافية، العراق، دس، ص157.

⁶ سعود الخثلان، دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد السودان الغربي فيما بين القرنين 3-5 هـ/9-11م، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، ع5، 1992، ص56.

مستوى سطحها إلى 101 م فوق سطح البحر، أما واد مية الذي يعتبر من الأودية الميتة المنحدر من الجنوب إلى الشمال ولم يبق منه إلا مجراه الذي غطته العروق الرملية¹.

ثالثاً: الأوضاع السياسية

إنّ المتتبع لسير الحياة السياسية في منطقة وارجلان يجد أنها كانت تسير في أول الأمر من طرف مجلس الجماعة وفي حالات من طرف رؤساء العشائر والقبائل، إلا أنه بعد سقوط الدولة المدينة سدراتة² في سنة 673هـ/1274م، ساد نظام السلطنات والمشيخات³، فتأسست أولا سلطنة "بني غابول"⁴(682هـ-783هـ / 1283-1381) التي اختار فيها الأهالي رجلا من عائلة بني أبي غابول النازحة من سدراتة والمقيمة في حي بني وقين، وقد ذكره ابن خلدون عندما تكلم على قصر واركلا قائلا: "ويُعرف رئيسه باسم السلطان، شهرة غير نكيرة بينهم، ورياسته لهذه الأعصارمخصوصة ببني أبي غابول ويزعمون أنهم من بني واكير، إحدى بيوت بني واركلا، وهو بدا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي غابول، ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب."⁵ وجاءت بعدها سلطنة "الأشراف الفيلايين" ابتداء من 886هـ/1481م واستمرت إلى ما بعد ضم وارجلان للسلطة العثمانية، وبعدها حكمت سلطنة بني علاهم في سنة (1011هـ-1266هـ/1602م -1849م)، وهذه السلطنات الثلاث كان الحكم فيها وراثيا

¹ عمر سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص36.

² سدراتة: بي إسم لقبيلة بربرية من بطون "لواتة"، لقبيلة سدراتة كانت موزعة على عدة مناطق للمغرب الإسلامي فهي من القبائل التي قدمت البيعة لإدريس الأول خلال القرن 2هـ/8 م، وهي تقع على بعد 14 كم جنوب غربي وارجلان، و سدراتة هي مدينة عريقة في الحضارة، انظر: مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص176.

³ المشيخات: جمع مشيخة، وهي شكل من أشكال التنظيم السياسي الهرمي في المجتمعات غير الصناعية التي تعتمد عادة على القرابة و النسب، والتي تحتكر فيه القيادة الرسمية من قبل كبار الأعضاء الشرعيين من الأسر المختارة.. انظر: فهرس المعاني الجامع على الموقع: www.almaany.com/ar ، اطلع عليه يوم: 2022/12/30 على الساعة: 21:48 .

⁴ سلطنة بني غابول: بعد سقوط المدينة الدولة الحاكمة سدراتة في ذلك الحين على يد بن غانية المرابطي سنة 626هـ-1229م، هاجرت الأغلبية من سكانها إلى وادي ميزاب، و فئة قليلة منهم توجهت إلى قصر وارجلان والتحمت مع أشقائهم في حي بني واقين، وبعد أكثر من خمسين سنة من الإفلات الأمني في الجهة وقع شبه إجماع محلي مفاده أن تكون هناك سلطة تأمر وتنهي في البلاد، فوقع الاختيار على أسرة بني غابول لتسيير البلاد بداية من سنة 1283م إلى غاية 1381 م .

⁵ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص107.

يتداول عليه أبناء الأسرة الواحدة، ويقوم السلطان وحاشيته في قصبة كبيرة محاطة بسور عال، ومزود بأبراج، ولها حراسة جد مشددة، وإلى جانب مؤسسة السلطان توجد بالمدينة سلطة تنفيذية يمارسها مجلس الجماعة¹.

بعد أن سقطت سلطنة بني غابول بوارجلان على يد سلطنة بني جلاب سنة (783 هـ / 1381 م) بقيت وارجلان بعد هذه النكبة فترة زمنية طويلة دون سلطان وظلت تسير من طرف مجلس الجماعة المكون من إثني عشر (12) عضوا يمثلون الأحياء الثلاثة (بني سيسين وبني واقين وبني ابراهيم أربعة (04) عن كل حي وفي حدود سنة (886 هـ / 1481 م) تم تزكية "مولاي موسى الفيلاي" سلطان على المدينة من الأهالي الذين وجدوا فيه صفه الشرف والعلم وهو من الأسر القديمة في وارجلان، والتي قدمت إليها من الساقية الحمراء مع قوافل ركب الحجاج الذين مروا بالجهة واستوطنوا بها، وقد توارث أبناء هذه الأسرة الحكم من سنة (886 هـ / 1481 م) الى غاية (1000 هـ / 1901 م) وتحضرنا شهادة الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان الفاسي حول سير الحكم في هذه الأسرة (933 هـ / 1526 م)، إذ يقول: "بواركلة أمير يشرفونه كالمملك يعين نحو ألف فارس من حراسه، ويجني أموالا كبيرة من الضرائب التي فرضها على رعيته، وقد تصل الى 150 ألف مثقال ويؤدي الى جيرانه الأعراب خراجا مرتفعا"².

وما يميز هذه السلطنة التي حكمت وارجلان في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي هو ظهور ملامح الرخاء والترف وعلى المواطنين، من خلال هندامهم وملابسهم كما لاحظ ذلك الرحالة المغربي حسن الوزان وأرجعه إلى التجارة النشيطة والمربحة القائمة ما بين وارجلان وبلاد السودان الغربي، وعلى عهد هذه الأسرة شن "صالح رايس" حاكم الجزائر حملته على هذه الجهة في شهر أكتوبر (1960 هـ / 1552 م) وفرض عليها ضريبة سنوية قيمتها 30 عبدا مع المحافظة على نظامها الملكي المحلي، وفي أواخر القرن السادس عشر ميلادي، عمت الفوضى في هذه

¹ عبد الله السايح، صفحات من تاريخ ورقلة، دار هومة، الجزائر، 2010، ص107.

² الحسن الوزان، المصدر السابق، ص10.

السلطنة بين السكان الحضريين والبدو الرحل أدت إلى اغتيال حاكم المدينة السلطان "بن مولاي موسى"، وما أن شعر خليفته بالمؤامرات التي تحاك ضده هرب من البلاد تاركا فراغا سياسيا كبيرا، هذا ما أدى بأعيان البلاد مالكية وابطاحية¹ أن يبحثوا عن رجل شريف آخر يولونه شؤوهم فوقع اختيارهم على رجل يدعى "مولاي علاهم" فنصبوه ملكا عليهم سنة 1011هـ/1601م، وأعلنوا له البيعة وجهزوا له قصرا خاصا مزودا بأبراج للحراسة ومزودا بمساحات خضراء ووضعوا له أربعين (40) عبدا لخدمته مع كتيبة من الحراس، والملاحظ أن سلطة الملك بهذه السلطنة صورية، حيث يمثل البلاد ويتفاوض باسمها، ويفصل في بعض الأمور التي لم يقع عليها الإجماع²، أما السلطة التنفيذية الفعلية فهي بيد هيئة الجماعة التي تتكون من 12 عضوا، أربعة (04) عن حي بني سيسين، وأربعة (04) عن حي بني ابراهيم، وأربعة (04) عن حي بني واقين³.

وبهذا المنهج في التسيير استمرت هذه المملكة مدة طويلة أكثر من قرنين من الزمن (1011هـ/1602م - 1266هـ/1849م).

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية

أ- الزراعة:

كانت الزراعة النشاط الأساسي لسكان وارجلان عبر مختلف الأزمنة والعصور، رغم وقوعها في منطقة صحراوية تساقط الأمطار بها قليل وغير منتظم إلا أن ذلك لم يمنع من قيام نشاط فلاحي يسد الحاجات المحلية ويصدر ما تبقي منه إلى الأسواق الداخلية للبلاد أو الخارجية نحو بلاد السودان، بفضل امتلاكها لثروة مائية كبيرة تشمل المياه الجوفية، استطاع السكان بفضلها استغلال

¹ إبراهيم بن صالح، (بابا هو أعزام)، غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، العالمية، غرداية، ص148.

² Denys pillet, Histoire de Ouargla essai de chronologie, Ouargla, 2011, p2.

³ حاجي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص40.

هذه الثروة بكل نجاح، فتغلبوا على الصعوبات المناخية التي واجهتهم من حرارة وجفاف وقلة التساقط¹.

وبالعودة إلى كتابات الجغرافيين والرحالة نجدهم قد تحدثوا عن زراعتها وعن البساتين الجميلة التي كانت تشتهر بها منطقة وارجلان، فقد ذكرها العياشي في كتابه ماء الموائد في قوله: "وتراءى لنا نخل ورقلة كأنه سحابة عجفاء"²، ويضيف الحموي قائلاً عنها: "... كورة في إفريقية ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات"³، ومثله ابن الدين الأغواطي في قوله: "وتعج ورقلة بأشجار النخيل"⁴.

لقد اختصت منطقة وارجلان بإنتاج بعض المواد الزراعية التي لا تنمو إلا في مثل وسطها الطبيعي، منها إنتاج التمور الذي كانت المورد الرئيسي لسكانها، حيث كان إنتاجه وفيراً وذو نوعية جيدة، ويعود سبب اهتمامهم الكبير لإنتاج التمور إلى تعدد فوائدها ومجالات استخدامها، فهي تعيل سكان المناطق الجافة لأن تمورها غنية بالمواد المغذية من سكريات وأملاح معدنية وفيتامينات ف 200 غرام من التمور تمنح الجسم ما بين 200 الى 300 سعرة حرارية، وبذلك تتجاوز الطاقة الحرارية لأغلب الفواكه، كما أن خشبها يستخدم في البناء وصناعة بعض الأدوات، بالإضافة إلى جريدها الذي يستخدم في أسقف المنازل كمصدر طاقة للطبخ والتدفئة خاصة فصل الشتاء في فترات البرد، ذلك أن النخلة تنتج ما بين عشرين إلى ثلاثين جريدة خلال السنة⁵، أما نواها فهو يستخدم أيضاً كعلف للبهائم⁶.

¹ نفيسة بلخضر، مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: صالح بوسليم، جامعة غرداية، 2015-2016، ص55.

² العياشي، المصدر السابق، ج1، ص114.

³ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص371.

⁴ أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات(رحلة ابن الدين الأغواطي)، المرجع السابق، ص92.

⁵ حسن حافظي علوي، سجل ماساة وأقاليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، مطبعة فضالة، المغرب، 1997، ص223.

⁶ أبي حاتم السجستاني، كتاب النخلة، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، لبنان، ط1، 2002، ص46.

والجدير بالذكر أن تمور وارجلان قد وصل صداها إلى بلاد السودان بسبب جودتها ووفرتها، حيث كانت من الصادرات الكبيرة الموجهة إلى بلاد السودان¹.

وإلى جانب التمور اشتهرت ورقلة أيضا بإنتاج الحبوب والزيتون، وذلك بعد الاستغلال الأمثل للمياه الجوفية في عملية الري وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمود إسماعيل عبد الرزاق: "ازدهرت الزراعة أيضا في واحة ورقلة اعتمادا على مياه الآبار، فاشتهرت بأشجار النخيل والزيتون والحبوب"²، فالحبوب التي كانت تنتجها منطقة وارجلان كالقمح والشعير كانت محاصيل شتوية، تزرع في الخريف ويتم حصادها قبل اشتداد الحر، ما عدا الذرة التي كانت من الحبوب الصيفية التي تزرع في فصل الربيع، وإلى جانب زراعة الحبوب والنخيل التي حظيت باهتمام كبير من طرف الفلاحين لكونها تدر أرباحا كبيرة، اهتم الفلاحون كذلك بزراعات أخرى لا تقل أهمية عن بقية المنتجات³ كالخضر التي تشمل البصل والجزر، الفلفل، الطماطم، الخس، الباذنجان⁴، والفول الذي كان يزرع في كل مكان لأنه مفضل ومحبوب لدى أهل المنطقة، إضافة إلى زراعة الكرفس، والبقدونس واللفت والعدس والثوم التي كانت تنطلق في فصل الخريف، ليتم جني غلاتها في فصل الربيع، وإلى جانب هذه الخضروات المتنوعة كان فلاحو منطقة وارجلان يغرسون بعض الأعشاب لاستخدامها كعلاج شعبي مثل الحلبة، والنعناع، والريحان، والحبق، وغيرها⁵.

¹ عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسبقين (1493-1591)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص220.

² محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخواص في بلاد المغرب حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 985، ص275.

³ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص160.

⁴ إلياس بن عمر حاج عيسى، مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (04-10هـ/10-16م)، مذكرة ماجستير، إيش: عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص56.

⁵ ربيع رمضان، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي، مقال ضمن الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، جامعة الوادي، 24-25 جانفي 2012، ص203.

أما الفواكه فقد كانت زراعتها تشمل بعض الأشجار التي تتلاءم مع مناخ المنطقة وسائر المناطق الصحراوية كالرمان، والمشمش، والتين، والخوخ، والتي تتطلب كميات مناسبة وكافية من الماء¹.

إلا أنّ هذه الزراعة كانت في بعض الأحيان تتعرض لبعض المشاكل التي تؤثر في كمية الإنتاج من بينها اجتياح الجراد للمدينة كما حدث في سنة 1877 و1891 م، والذي تسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية خاصة التمور²، بالإضافة إلى التساقط الغزير للأمطار الذي تشهده في بعض الأحيان والذي يتسبب في خسائر مادية كبيرة من إتلاف للمحاصيل وتدمير المنازل والبساتين³.

ب-الصناعة:

رغم أن التجارة كانت النشاط الأوسع الذي يمارسه سكان ورقلة، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض الصناعات التقليدية المعتمدة على بعض المواد الأولية التي توفرها الثروة الزراعية والحيوانية وقد صنعة تتميز بالبساطة، تعكس متطلبات السوق المحلية، ومرتبطة بالدرجة الأولى على المهن الضرورية، فلم تكن ذات إنتاج وافر، حيث كانت بالكاد تسد الاحتياجات المحلية، وبالنسبة للحرف السائدة في منطقة وارجلان نجد كل من: النجارة، والحداة، وصناعة الفخار والصناعة النسيجية والجلدية، والصياغة، وصناعة الأسلحة⁴.

❖ حرفة النجارة:

كانت النجارة من الحرف الواسعة الانتشار بورقلة، حيث كان ممتهنيها يصنعون بعض الأدوات التي يكثر الطلب عليها، كالنوافذ والرفوف، والخزائن، وطاولات صغيرة لشرب الشاي

¹ Brigol Madeleine Rovilois, Le pays de Ouargla (Sahara Algérien), paris, 1975, p229.

² دنيس بيلي، معالم تاريخ ورقلة(1872-1992)، تر: علي إيدير، ورقلة، 1995، ص14.

³ Mauroy, Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale, Paris, 1845, p152.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، وقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2000، ص526.

وتناول الأكل، إضافة إلى صناديق مغلقة بالحديد مطلية بمختلف الألوان وأبواب خشبية ترضي أذواق الزبائن¹.

❖ الحدادة:

رغم قلة الأشخاص الذين امتهنوا حرفة الحدادة بورقلة، إلا أنّها حظيت باهتمام وإقبال كبير من طرف السكان، وذلك لحاجة الفلاحين لبعض الأدوات التي تُصنع من الحديد، وتُستخدم في النشاط الفلاحي كالمناجل، المعاول، والأدوات المتعلقة بآبار السقي² بالإضافة إلى صناعة السكاكين والسيوف³.

ويُشير "موريس جاردن" الذي زار أحد الحدادين بورقلة يدعى مسعود ميموني، إلى أنّه يملك محلا بجانب منزله في غاية التنظيم، يعلق القطع الحديدية على جدرانها، ويحتفظ فيه ببعض القطع القديمة من أجل استخدامها مجدداً، وبأنه يمتلك علبة حدادة خفيفة وسهلة للتنقل، بها جميع المعدات التي يحتاجها لتصليح بعض الأدوات في عين المكان، بناء على طلب الزبائن الذين يترددون عليه باستمرار ومن جملة ما يقوم بفعله تلحيم القدور، وتصليح الأقفال وهيكل الدراجات والأفران الكهربائية، ومد خيوط الكهرباء⁴.

❖ صناعة الفخار:

بالنظر إلى بعض القلل التي تمّ العثور عليها بورقلة، والتي كانت تستخدم في جمع العسل، يتضح أن المدينة عرفت صناعة الفخار منذ القدم⁵، وقد كانت هذه الصناعة بالغة الأهمية، لأنّ الأواني المستخدمة حينها كانت من الفخار أو الخشب⁶.

¹ نفيسة بلخضر، المرجع السابق، ص55.

² Maurice Jardon, Ouargla, tra: J.Delheure, Algérie, 1970, pp74-76

³ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، المرجع السابق، ص542.

⁴ Maurice Jardon, ibid, p79.

⁵ مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1996، ص162.

⁶ محمد العربي الزبيدي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين (1792-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص63.

❖ الصناعة النسيجية والجلدية:

اشتهرت وارجلان في هذه الفترة بهذا النوع من الصناعات التي كانت قائمة على تحويل الأصواف والجلود إلى سلع متنوعة كسروج وأجمة، وأحزمة، برانس، أغطية، أحذية، وحافظات، حنابل، وقنادر وألبسة، إضافة إلى صناعة مخدات وزرابي كان لها سمعة تجارية رائجة خارج حدود المنطقة¹ وذلك لوفرة الأصواف فيها، التي كانت من أهم مصادر الثروة بالصحراء².

❖ الصياغة:

أشار دوماس إلى أن الصياغة كانت من اختصاص اليهود المتنقلين الذين يأتون إلى ورقلة لقضاء بعض الأشهر قبل مغادرتها في فصل الصيف، فقد كانوا يصنعون الحلبي عن طريق إذابة بعض العملات الذهبية³ بعد الحصول على الذهب من مناطق التعدين بغرب إفريقيا أين يجري تحويله إلى سبائك في ورقلة⁴ من خلال إذابته في النار وتصفيته من الشوائب ثم صبه في قوالب معينة، تم توجيهه بعدها لمراكز ضرب العملة⁵.

ج-التجارة:

من الثابت الذي لا شك فيه أن مدينة ورقلة كانت إحدى المنافذ الرئيسية بين شمال الجزائر وبلاد السودان خاصة خلال العهد العثماني، بسبب موقعها على مسار الطريق الفاصل والواصل بين بلدان المغرب الكبير وبلاد إفريقيا جنوب الصحراء، وزاد من شأنها استقرار التجار المتنقلين بين الجهتين بها، فنشطت المبادلات بين الطرفين مما جعل منها سوقا تستوعب كل ما يحل بها، بل أضحت وارجلان مركزا تجاريا يستقطب نشاط المناطق الصحراوية الأخرى، ولا أدل على ذلك من

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج6، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005، ص130.

² يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009، ص116.

³ Daumas, Le Sahara Algerien, Op.Cit, p114.

⁴ بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر:الهادي أبولقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي-ليبيا، ط2، 1988، ص189.

⁵ الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة-مصر-، ط1، 1999، ص284.

إقبال العديد من القبائل على أسواقها كالأرباع، أولاد يعقوب، أولاد سيدي الشيخ، شعانة متليلي بالإضافة إلى طوارق وتجار مدينة غدامس وغيرهم¹.

وفي سنة 1526م زارها الحسن الوزان وذكر ازدهارها ونشاط تجارتها²، أما العياشي الذي مر بها سنة 1663م في رحلته الحجية، فذكرها بلفظة "وارقلا" وكتب قائلاً: "فدخلنا وارقلا قبل غروب الشمس، وكان من لطف الله أن صادف دخولنا دخول قافلة من أعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وإبل وزرع، اشترى الناس منهم ما احتاجوا بأرخص ثمن...وقدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك أو أكثر، فتنعم الناس في اللحم والتمر والسمن، واشترى الحجاج غنما كثيرة حتى كأن تلك الليالي الثلاث التي أقاموها ليالي منى من كثرة اللحم..."³.

كما أعطى الطريق الرئيسي لوارجلان أهمية خاصة، والذي يعرف بطريق الواحات والقصور، حيث كان ينطلق من تافلات نحو غدامس، ويتفرع من ورقلة وتوغرت إلى كل من غات وتماسين والقليعة والأغواط والزيبان، وهو الطريق الذي وصفه العياشي في رحلته الحجية سنة 1663⁴، إذ كان يمتاز باستتباب الأمن وكثرة الأرباح التي يحصل عليها التجار بواسطته، فضلاً عن كونه طريقاً أقصر مسافة من طريق التل الواصل بين تلمسان والجزائر وقسنطينة وتونس، مروراً على مدينة ورقلة⁵.

إضافة إلى هذا الطريق هناك طريق آخر لا يقل أهمية عنه، وهو ما سماه الرحالة والجغرافيون العرب بطريق الذهب، الذي كان يمر بورقلة وتوغرت ويربط موانئ بلاد المغرب العربي بالمدن الرئيسية لممالك السودان كأغاديس وكانو وتمبكتو، فبفضل هذه الكتب أصبحت منطقة وارجلان سوقاً استهلاكية لمنتجات الصحراء والتل والسودان⁶.

¹ عبد الحميد زوزو، الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي، مجلة الأصالة، الجزائر: وزارة التربية الوطنية، عدد خاص: رقم 41، ص103.

² دينيس بيلي، تاريخ ورقلة 1872-1922، تر: علي إيدير، ورقلة، مطبعة إيتي دنوب، 1993، ص07.

³ مولاي بلحميسي، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، الجزائر: وزارة التربية الوطنية، عدد خاص، رقم 41، 1977، ص62.

⁴ أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، تح: سعيد الفضلي، ط1، دار السويدي، الإمارات، 2006، ج1، ص111.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، الجزائر: وزارة التربية الوطنية، عدد خاص، رقم 41، 1977، ص73.

⁶ أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار المصادر للكتاب، لبنان، د ت ط، ص24.

وكان هذا الطريق يمر عبر فرعين رئيسيين، الأول نحو مدينة غات ثم إلى أحيير وصولاً إلى أغادس، وهو مسلك¹ حال من الماء وعند وصول القوافل تدفع الضرائب إلى ملكها ومنها تنطلق إلى دامركو الواقعة في منتصف الطريق من مقاطعة بورنو، ومنها تقطع نفس المسافة إلى كاتشنا ثم إلى العاصمة ساقوطو ثم إلى كانو التي تعد الواجهة الرئيسية لقوافل وارجلان، أما المسلك الثاني فهو يمر عبر القليعة في مسيرة سبعة أيام، ثم إلى عين صالح ومنها إلى تومبكتو، وفي هذه الأحيير تنقسم القوافل إلى اتجاهات متعددة، فمنها من يتجه إلى الهوسة والبعض إلى سقاطو، الآخر إلى أحيير².

ومن جهة أخرى ظهرت مدينة ورقلة كمركز تجاري جد مهم بالنسبة للمبادلات التجارية الخارجية سيما مع أغاديس وبلاد السودان الغربي، إذ يعتمد سكانها في تجارتهم على إنتاج التمر وصناعة الأقمشة، وجلب المنتوجات الأوروبية التي تأتي إلى وارجلان عن طريق منطقة ميزاب، كما كان يتم التعامل في أسواق ورقلة وفي ميدان البيع والشراء بطريقة حضارية لا تختلف كثيراً عن المعاملات المعاصرة، أي عن طريق المزاد العلني وعن طريق المكاييل والموازين وبالعملة المعدنية بالإضافة إلى نظام البيع بالدفع المؤجل³.

أما التجارة المحلية فكانت تتم في الأسواق المحلية أو الحوانيت حيث يتم عرض المنتجات فيها سواء كانت المنتجات محلية أو مستوردة، وكان الرحل يعرضون في أسواقها منتجاتهم الخام من وبر وصوف وجلود ويشترون منها السروج لخيولهم وبعض المصنوعات الأخرى، كما أن القبائل سابقة الذكر، كانت تقصد أسواق وارجلان باستمرار، خاصة في فصل الخريف الذي تكون فيه أسواقها عامرة، لأنه موسم جني التمور، الذي تكون فيه القبائل البدوية مستقرة بالمدينة⁴.

¹ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 02، مكتبة الثقافة الدينية مصر، دت، ص2.

² ياقوت الحموي، معجم البلدان، تح: فريد الجندي، ج 05، لبنان، دار الكتب العلمية، ص427.

³ قشاشني علي، كوثر هاشم، فضاءات التبادل التجاري بني الجزائر ودول الساحل الإفريقي على ضوء كتابات الرحالة والمبعوثين الفرنسيين خلال القرن 19، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول، التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و 20، جامعة وادي سوف، 2019، ص8.

⁴ نفيسة بلخضر، المرجع السابق، ص 71.

المبحث الثاني

مراكز الإشعاع الثقافي بوارجلان

عرفت وارجلان خلال العهد العثماني على غرار منطقتي ميزاب وتوات بروز العديد من المؤسسات التعليمية والثقافية التي ساهمت في إنعاش الحركة العلمية في المنطقة وجعلها مركزاً إشعاعياً ثقافياً بارزاً يستقطب طلبة العلم والعلماء على حدّ سواء، ومن أهم هذه المؤسسات الفاعلة، نجد: الكتاتيب والمساجد والزوايا، ولقد كان لهاته المؤسسات نظام تعليمي خاص بها نذكر منها:

- النظام التعليمي الديني :

بحكم موقعها الجغرافي في قلب الصحراء الجزائرية، استطاعت حاضرة وارجلان عبر تاريخها أن تكون حلقة وصل حضاري وثقافي بين المدن الكبرى في الشمال ومناطق أقصى الصحراء، هذا التماس جعل منها منطقة عبور العلماء واحتكاك بين أهل الفكر والثقافة.

ولقد تميّز النظام التعليمي بوارجلان بانقسامه إلى قسمين ، تعليم إباضي تشرف عليه جماعة العزابة، وتعليم مالكي تشرف عليه هيئة المسجد المالكي، وبعض الطرق الصوفية ، كالرحمانية والقادرية، وهذا ما سنوضحه في هذه الدراسة.

أ-النظام التعليمي الإباضي في ورقلة:

تميز النظام التعليمي الإباضي بدقة التنظيم، ويعود ذلك إلى الهيئة القائمة على تنظيمه، والمتمثلة في جماعة العزابة¹.

وتتمثل مهام الهيئة الإدارية والتعليمية التي وضعها نظام العزابة في:

-تقرير المناهج التربوية للمراحل الدراسية.

¹ انظر الملحق رقم 10.

-قبول ورفض التلاميذ في الفصول الدراسية.

-عقد ندوات دينية وعلمية لصالح طلبة الدراسات العليا.

-قبول الطلبة القادمين من خارج المنطقة (عابري السبيل).

التصرف في الأوقاف، وتقسيمها على الطلبة المقيمين¹.

أما نظام الهيئة التعليمية، فيتكون من:

***عريف الختمات:** يمتد عمله من الصباح إلى الليل، ويسهر على تأمين حسن العمل

التربوي في المدرسة، بحيث أن كل مخالف للنظام يتعرض لنوع معين من العقوبة،

ويتمثل عمله في:

-إعلان بداية ونهاية الدراسة.

-يدعو الطلاب إلى الغذاء وإلى نوم الهجيرة، وهو إجباري.

-يدعو إلى ختمة بعد صلاة المغرب.

***عريف الطعام:** تتمثل مهامه في:

-توفير الغذاء وإعداده للطلبة.

-تنظيم جلوس الطلبة عند الأكل.

-يدعو إلى احترام القواعد الدينية في الأكل.

-يقسم الهدايا والطعام على الطلبة².

***عريف تحفيظ القرآن:** وهو المكلف بتحفيظ القرآن، لذلك يجب أن يكون حافظا لكتاب

¹ عبد الرحمان حجازي، التربية الإسلامية في القيروان، المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص 404.

² إلياس بن عمر، المرجع السابق، ص 116.

الله، عارفا برسمه، عالما بتفسير معانيه، ضليعا في اللغة العربية وفنونها، وتمثل مهامه في:

-الإشراف على مجموعة من الطلبة يتراوح عددهم من 2 إلى 10 .

-لا ينتقل التلميذ من حلقة أستاذ إلى آخر إلا بإذن الأستاذ.

ويكون التدريس كما يلي:

-يملي الآيات على التلاميذ فيكتبونها على الألواح.

-بعد أن تحف الألواح يقوم بتصحيحها.

يطلب من الطلبة أن يحفظوا ما كتبوه في اليوم التالي¹.

-يضع العريف(الأستاذ المحفظ) الحالات المستعصية في تقرير يقدمه إلى شيخ

العزابة للنظر فيه، ويتوزع الطلبة في مدارس العزابة على ثلاث مراحل:

-**المرحلة الأولى:** وهي الكتاتيب، وتضم الأولاد الصغار، وهم المبتدؤون يتعلمون حفظ

القرآن، ومبادئ الإسلام، والطهارة، والصلاة، ومبادئ اللغة العربية.

-**المرحلة الثانية:** وتضم طلبة العلوم والآداب. ومن الشروط التي يجب أن تتوفر في

طلاب هذه المرحلة:

-حفظ القرآن.

-أن يكون الطالب صاحب سيرة حسنة.

-أن يكون من عمار المسجد ملتزما باللباس الرسمي.

ولهم عدة امتيازات نذكر منها:

¹ عبد الرحمان حجازي، المرجع السابق، ص 414 .

- لهم ناد ومكتبة خاصة بهم.

- يستقبلون العلماء للاستفادة منهم

- لهم الحق في حضور دروس شيخ العزابة¹.

-المرحلة الثالثة: وتضم العاجزين وهم الأطرش والأعمى، وكبير السن وذو العقول

القاصرة، ومع ذلك فلا يطردون من مجلس العزابة ليحصلوا على الفوائد الحميدة.

ويبدو أن مدارس العزابة قد سبقت مدارس التربية الحديثة في كثير من الأمور، منها توزيع التلاميذ على حسب العمر إلا أنها لم تتمكن من وضع منهاج تعليمي ينظم المدة التعليمية التي يقضيها الطالب في هيئة التعليم الإباضي الذي تقوده العزابة بشكل تكاملي مع الأنشطة الاجتماعية والدينية الأخرى².

ب-النظام التعليمي المالكي في وارجلان:

تكاد تكون المصادر المتخصصة في هذا الجانب منعدمة إلا أننا حاولنا ان نقارب بين النمط المعاصر والنمط التقليدي الذي كان يسود في قصر ورقلة.

فالنظام التعليمي عند المالكية، كان يقوم على أساس المحاضر والكتاتيب، فلكل جامع كتاب خاص به، يجتمع به صبيان الحي للتعلم وحفظ القرآن، من جميع الأعمار من المبتدى إلى خاتم القرآن³.

ويتعلم الطفل في الكتاب مبادئ القراءة والكتابة أولاً، ثم حفظ القرآن ثانياً على أيدي معلمين تفرغوا لمثل هذا العمل. وعلى الأسرة التي يتعلم أحد أبنائها بالكتاب، أن تدفع أجرة

¹ الأزهاري عبا، نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال(1603-1884م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013-2014، ص124.

² نفسه، ص125.

³ عبد الرحمان حجازي، المرجع السابق، ص421.

شهرية للمعلم نظير قيامه بتعليم أبنائها وبعد إتمام الطفل تعليمه الابتدائي الذي يتوج عادة بحفظه الكامل للقرآن تقيم له أسرته حفلة عظيمة بهذه المناسبة، ويشارك فيها المعلم وغيره بتلاوة بعض أجزاء القرآن، وقراءة البردة وغيرها، وتقام مأدبة كبيرة، كما تقدم للمعلم المعروف في المنطقة بالطالب هدايا ثمينة¹.

ثم ينتقل التلاميذ إلى المستويات العليا من التعليم، ويكون ذلك في مراكز الزوايا المنتشرة في قصر ورقلة بين عروشها الثلاثة، وأهم هذه الزوايا الزاوية القادرية في منطقة بني إبراهيم وبني سيسين، ثم مراكز الزاوية الرحمانية التي كانت تقوم على خدمتها عائلة رحماني في القصر²، أما مركزها الرئيسي فكان في قرية عين البيضاء ومقدمها معروف عند عائلة مقدم، وما زالت هذه العائلة تقوم على خدمة الزاوية، وتعليم القرآن³.

إنّ نظام التعليم عند المالكية، نظام موزع الأدوار بين المساجد والكتاتيب والمحاضر المنزلية والزاوية، وفي هذا يقول "إبراهيم أعزام": "يرأس هذا النظام هيئة الطلبة الكبار، وهم الإمام وخليفته ومؤدب الطلبة، والوكلاء الثلاثة، واثنان من طلبة بني إبراهيم واثنان من طلبة بني وكين واثنان من طلاب بني سيسين، فالإمام دائما من عائلة أولاد باعمر⁴ من بني سيسين، والخليفة من بني وكين، ومؤدب الطلبة يكون من أولاد الإمام، والوكلاء على حسب نظامهم من كل عرش واحد، وسواء من الطلبة أو العوام، إلا أنّ الشرط فيه الثقة في الأموال، أمّا الأذان يكون اثنان من بني وكين وواحد من بني إبراهيم⁵.

¹ عاشوري قمعون، التعليم في منطقة سوف خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (خليفة بن حسن القماري أنموذجا)، مدونة الملتقى الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين (12-13هـ/18-19م) من خلال المصادر المحلية، للمركز الجامعي الوادي، 2012، ص10.

² إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص272.

³ الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص125.

⁴ أولاد باعمر: ينسبون إلى سلالة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) من عرش بني سيسين كلفهم مولاي علاهم سنة 163 م، بإمامة الصلاة في الجامع المالكي، ولا زالت هذه المسؤولية على عاتقهم إلى يومنا هذا، أنظر: إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص259.

⁵ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص259.

هذه هي الهيئة المنظمة لطريقة التعلم وتسيير شؤون المسجد، وتقوم بحل الخلافات بين الطلاب، وعرف عن أعضاء الهيئة الدينية المالكية أنه بعد الاجتماع بالجامع الكبير صبيحة يوم العيد، يبعثون بمجموعة من الطلبة والأعيان، ليأتوا بالإمام من داره بالتسبيح والتحميد والتهليل، ربما كبارا له وتعبيرا عن مكانته في المجتمع الورقلي رغم قلة الإمكانيات، إلا أن نظام التعليم عند المالكية كان قد ساهم في الحفاظ على التعليم الديني الحر بعد الاستعمار الفرنسي الذي حاول محاصرة هيئته التي نجحت في تخريج معلمي القرآن وأئمة المساجد في منطقة ورقلة وتقرت والمنيعة وغارداية ومسعد والجلفة والنيجر ومالي وغانا¹.

لقد ساهمت مشيخة آل علاهم في دعم هيئة كبار المالكية، وذلك بإعادة بناء المسجد المالكي في عهد الأمير علاهم سنة 1636م، ووقف غابات من النخيل لخدمة المسجد، وتوفير الأموال لتصرف في خدمته وصيانته².

ولعل أهم هذه المؤسسات التي كانت تطبق هذا النظام التعليمي، نجد :

1- الكتابات

كانت الكتابات من أهم المؤسسات الفاعلة في منطقة وارجلان، حيث فتحت أبوابها لطلبة العلم والمعرفة حيث يتلقى الصبيان مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن والأحاديث النبوية بطريقة مميزة وهي طريقة التكرار وراء الشيخ والظاهر، وكانت تقام بالقرب من المساجد ومنفصلة عنها لسببين، أولهما أن الكتابات كان لتعليم الصبيان الذين مازال لم يبلغوا سن الرشد بحيث يحتزوا من النجاسة إذا دخلوا للمسجد الذي يشترط فيه الطهارة وأما السبب الثاني لإقامتها بالقرب من المساجد هو أن العلوم التي تعلم في الكتابات كانت دينية بحتة أو مرتبطة بها ارتباطا وثيقا كاللغة العربية³. وانشرت الكتابات في منطقة وارجلان في العهد العثماني بكثرة، حيث لا يكاد قصر

¹ عبد الرحمان حاجي، ورقلة تاريخ وحضارة، د د ط، ج2، 2011، ص193.

² الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص126.

³ باجو (مصطفى بن صالح) وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط2، 2000م، ص276-277.

يخلو من وجودها، ومن أهمها: مدرسة سيد الحفيان التي كانت تنشط في القرن السابع عشر ميلادي¹، وكذا مدارس الشط وسيدي خويلد، حيث ورد في تقرير فرنسي يعود لسنة 1842م، أن مدرسة سيدي خويلد بها حوالي 30 طالبا².

كما وجدت مدارس لتعليم القرآن بقصري نقوسة والرويسات تخرج منهما عدة مشايخ كبار مثل: الشيخ عبد القادر بن الحاج ألنعمي المولود سنة 1852م، والمتخرج من مدرسة الرويسات³.

أما التوقيت اليومي للدراسة فكان لا يزيد عن ثلاث (03) ساعات في اليوم الواحد، وذلك لكون المدرس غير متفرغ لهذه الوظيفة، حيث يدرس الطلبة من صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، ثم بعد ذلك يتفرغ لعمله الخاص إما في متجره أو في بستانه، ومرد ذلك أنه لا يتقاضى أجره عن هذه المهمة⁴.

والكتاتيب عادة ما تكون بجوار المساجد أو في الزوايا، ومن النادر أن تكون بعيدة عن المسجد ومن مميزاتا أنها تكون مفرشة بالحصير المصنوع من سعف النخيل، أو من الحلفاء⁵، ولكل تلميذ لوح من الخشب ومحبرة وقلم مصنوع من القصب، وطريقة التدريس تكون على شكل حلقة يتوسطها المدرس ويلتف من حوله التلاميذ، ويملى على كل واحد منهم جزء من آية يكتبها على لوحه، وعندما تنتهي عملية الإملاء تقدم الألواح إلى المدرس لغرض تصحيحها، وبعد هذه المرحلة يشرع التلميذ في الحفظ، وإذا انتهى التلميذ من حفظ لوحته يستعرضها على المدرس وإذا أجاد الحفظ يوافق له على محو لوحته، وكتابة آيات أخرى، وإذا أتم التلميذ حفظ القرآن يقام له مهرجان

¹ عبد الرحمان حاجي، ورقلة تاريخ وحضارة، د د ط، ج2، 2011، ص152.

² يوسف تلمساني، الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842، أشغال ملتقى مقاومة الشريف بن عبد الله، ورقلة، 1998، ص292.

³ إبراهيم بن الساسي، من أعلام الجنوب الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص195.

⁴ بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب-من خلال بعض النماذج-، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر-، 2002، ص92.

⁵ مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان، السنة الجامعية: 2005-2006، ص75.

في المسجد المجاور للكتاب ويحضر معه أهله للاحتفال مصحوبين بقصعة من الطعام أو أكثر يتناولها الحاضرون، كما توزع بعض الصدقات، ويشجعون التلميذ المتفوق على إمامة المصلين خصوصا في صلاة التراويح، ويصعب على الطالب بوارجلان مزاوله دراسات عليا كونها حسب ما توفر لدينا من معطيات لا تتوفر على مدارس عليا أو حلقات كبرى للعلم خلال العهد العثماني، عكس ما كانت عليه في العصر الوسيط، وكل من يرغب في مواصلة الدراسة العليا من تلاميذ منطقة وارجلان فما عليه إلا التوجه إلى وادي ميزاب مثلما فعل الطالب "بن موسى بن الحاج داود" في سنة 1175هـ - 1761م¹، وبعد أن أتم دراسته العليا في الفقه بوادي ميزاب، عاد إلى موطنه وارجلان عالما فتوى رئاسة حلقة العزابة².

والملاحظ أن الكتاتيب في المرحلة الابتدائية في وارجلان كانت تضم البنات والبنين معا، عكس بني ميزاب التي لم تكن مختلطة، وكانت الكتاتيب تمول من أموال المحسنين والأوقاف، وفي الغالب تكون الأوقاف من شجر النخيل، حيث كان يقدم لها نصيب عند كل موسم جني الثمار، ويبيعون الفائض لسد حاجيات هذه المؤسسة التعليمية من تجهيز وترميم³.

وقد اتبعت هذه الكتاتيب نظاما تسير عليه، فقد كانت تفتح ثلاث مرات في اليوم، بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة العصر، وبعد صلاة العصر يكون فيها تكرار للقرآن الكريم⁴، وكان هذا على مذهب السلف المتمسكين بالكتاب والسنة⁵.

2- المساجد

¹ مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن، المرجع السابق، ص 197.

² مراح سميرة، سايفي سعاد مسعودة، دور علماء المغرب الإسلامي ببلاد الحجاز خلال العصر الوسيط-الكتاتيب انموذجا-، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مج 07، ع 02، جامعة الجزائر 2، 2023، ص ص 291-292.

³ أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 102.

⁴ آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، ط 3، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان-، ص 33.

⁵ مصطفى بن صالح باجو، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، ط 2، جريدة السبيل للنشر، يونيو 2007، ص 169.

عرفت منطقة وارجلان عدة مساجد اعتبرت في رأي العارفين في هذا الشأن معالم أثرية وحضارية وتاريخية لاسيما المساجد التي بنيت داخل القصور، وتميّزت مساجد وارجلان بنمطها الخاص في البناء، حيث أنّها تتكون من أروقة وبلاطات، وتكون عادة هرمية الشكل، اعتمد في بناءها على مواد محلية تتشكل من الجبس والحجر الصلب وجذوع النخيل والخشب وبعض الأشجار، استمدت هذه المساجد هندستها من البعد العربي الإسلامي.

وقد تميّزت هذه المساجد بعرضات عريضة والأقواس المتعكسة السقوف، أمّا الجدران فهي سميكة أيضا وكانت من الحجارة الصلبة المحلوبة من المقالع البعيدة، أما البقية فُتّبنى بحجر محلي هش¹، أما عن المساجد² التي ظهرت بمنطقة وارجلان إبان العهد العثماني، نذكر منها ما يلي:

■ المسجد المالكي:

ذكر العياشي في رحلته إلى وارجلان بأنّ بالمدينة مسجدين المسجد الإباضي والمسجد المالكي، هذا الأخير والمعروف بمسجد (جامع سيدي عبد القادر الجيلالي)، إذ ذكره العياشي قائلا: "وكان دخولنا للمدينة عشية الخميس، وأقمنا بها يوم الجمعة واليومين الذين بعده، ودخلنا للمدينة لحضور صلاة الجمعة، وصلينا بجامع يسمى جامع المالكية"³، وهو يعتبر من المعالم التاريخية التابعة لقصبة ورقلة أو القصر، وهو أحد الجوامع الرئيسية في القصر، فبالرغم من أهمية هذا المسجد في العهد العثماني إلا أنّ المصادر المراجع لم تتحدث عن المسجد وتاريخ إنشائه، وكان المسجد ملتقى يتجمع فيه جماعة البلد وأهل الرأي لمناقشة المسائل المتعلقة بأهل البلد، كما تُقام فيه صلاة الجمعة والصلوات الخمس، أما عن موقعه فهو يقع بساحة السوق القديم بورقلة⁴.

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص 08.

² دوماس ينفرد بذكر ثلاثة جوامع، بينما يذكر تروميلي وفيزو جامعين فقط، وهما جامع عزّة الذي بناه الميزابيون والجامع المعروف بجامع المالكية، والثالث يكون قد سقط. انظر: عبد القادر موهوبي، ومضات تاريخية، المرجع السابق، ص 171.

³ أبو سالم محمد العياشي، الرحلة العياشية، 1661-1663، تج: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج 1، ص 114.

⁴ عبد القادر موهوبي، ومضات تاريخية، ص 161، انظر: مجلة الأصالّة، ع 41، ص 71، والرحلة العياشية، ص 228.

ويذكر أعزام أنّ للمسجد صومعة في غاية العلوّ والإتقان، ويشمل على بيت الصلاة، يُدخل من ستة أبواب، اثنان من الشارع وأربعة من صحن المسجد، وفيه خمسة صفوف وأربعون سارية ومحراب، وعلى يمينه بيت صغير داخله منبر الخطابة وبجاء البيت باب صغير ينفذ للشارع مختص بدخول الإمام في المواسم، والبيت مفروش بالحصر وفي غاية النظافة وتحت كل سارية أحجار كثيرة للتميم، وفيه بيت لصلاة النساء وأخرى لحفظ لوازم المسجد، وفي خارج البيت صحن في غاية الاتساع، وملتصق بالصحن بيت لتسخين الماء وحفظ أزيار المياه وأماكن الوضوء¹.

■ المسجد الإباضي:

تضاربت الآراء حول تأسيس المسجد الإباضي العتيق، لكن الأكيد أنّه نشأ في عهد الإباضيين، وأهم ما يُميّز المسجد هي تلك المئذنة التي صُمّمت وفق الهندسة المعمارية الإسلامية. يقع هذا المسجد في منطقة بني سيسين² بورقلة، وقد ورد في رحلة العياشي، أن الغالبية في البلد من المذهب الإباضي حيث يوجد المسجد العتيق، ويقول: "وجدت الناس يتيممون داخل المسجد في زواياه فاستغربت الأمر... يُسمون أشياخهم بعم فلان فيقولون: عم داود وعم ابراهيم..."³.

وقد أعجب العياشي بهذا المسجد فقال عنه: "دخلت المسجد بإزاء داره لصلاة المغرب وهو مسجد متقن الصبغة محصص الأرض والحيطان على بابه أماكن وفي جوانبه أماكن معدة للوضوء وقضاء الحاجة ومكان لتسخين الماء فأعجبني..."⁴.

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص244.

² بني سيسين: تقع في الجهة الشمالية من ورقلة وهي إحدى المجموعات السكانية المنتمية في أصولها إلى قبيلة بني ورجلان، هذا بالإضافة إلى بني واجين(واقين) في الجهة الغربية، وبني ابراهيم في القسم الشرقي من ورقلة. انظر: عبد القادر موهوبي، ومضات تاريخية، المرجع السابق، ص172.

³ أبو سالم محمد العياشي، المصدر السابق، ص116.

⁴ نفسه، ص116.

ويقول بابا حمو أعزام أن هذا المسجد تُقام فيه الصلوات الخمس في أوقاتها بأذان وإقامة وجماعة، ويتلى فيه كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، وتقام فيه الشعائر الدينية من الوعظ والإرشاد وإقامة الحدود وكل ما له علاقة بالديانة الجامعة للسكان وهو المحور الاجتماعي والثقافي في كل الأزمنة والعصور بالنسبة إليهم¹.

■ المسجد العتيق بانقوسة:

يُعد من مساجد المالكية²، يقع في قلب قصر ورقلة قرب السوق القديم، يحتوي على بيت الصلاة في غاية الاتساع والأبهة، ويدخل إليه من بابين وفيه أربعة صفوف وتسع اسطوانات، وقد أعيد بناؤه سنة 1894 م وله أوقاف كثيرة ومحراب موجهة نحو الجنوب يعرف "بجامع سيدي صالح" نسبة إلى مؤسسه الشيخ صالح بن موسى الولي الصالح الذي قدم إلى المنطقة مع والده وهو في سن صغير، من ضواحي الساقية الحمراء حوالي القرن التاسع ميلادي، وأول لبنة وضعت لبناء المسجد كانت في العهد الأول لإنشاء قصر انقوسة في أول الأمر كانت عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل متصلة لمنزل سيدي صالح، وبعد وفاته وُسِّعت الغرفة وأصبحت بحجمها الحالي عبارة عن بيت للصلاة فهذا المسجد يعتبر من أعرق المساجد في المنطقة، ويعتبر من المعالم الدينية الهامة، حيث تُقام به الصلوات الخمس و صلاة الجمعة³.

أما عبد الحليم دحماني فيذكر في مذكرته "انقوسة المدينة المغمورة"، أن المسجد بُني من طرف الوليين الصالحين سيدي عباز وسيدي صالح، أمّا المؤذن كان من عائلة "شرع"، ثم انتقل إلى عائلة "إدريس" وبعدها إلى عائلة "بن عزية" وكل هذه العائلات من عرش سيدي امبارك⁴.

■ مسجد سيدي منصور :

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص234.

² إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص245.

³ الأزهاري عباز، المرجع السابق، ص127.

⁴ عبد الحليم دحماني، انقوسة المدينة المغمورة، ذاكرة تاريخية، دار الشباب، انقوسة، 2001، ص35.

من مساجد المالكية، مسجد سيدي منصور بناحية بني وقين، ويحتوي على بيت الصلاة له بابان وفيه ثلاثة صفوف وثمانية أسطوانات، وقد أعيد بناؤه عام 1256 هـ / 1841 م، وفيه صحن كبير ومحراب، تقام الجمعة في هذا المسجد¹.

■ مسجد سيدي بعافوا:

من مساجد المالكية، يقع بناحية بني سيسين في وسط القصبة يحتوي على بيت الصلاة، وله ثلاثة أبواب، وفيه أربعة صفوف وخمس عشرة أسطوانة، وعلى يمين المحراب زاوية داخلها منبر الخطابة، وفي الجهة الغربية بيت كبير بداخله قبر الشيخ بعافوا مؤسس المسجد، وهناك من يرى أن هذه التسمية جاءت من العافية، أي محو الأحقاد والعفو والمسامحة².

يعود تشييد هذا المعلم الديني العريق إلى الحقبة الأولى من انتشار الإسلام بمنطقة شمال حيث كان يحمل آنذاك اسم "مسجد السلطان"، قبل أن يصبح معروفا باسم مسجد "سيدي بعافوا" نسبة إلى ذلك الولي الصالح الذي كان واحدا من أبرز الأئمة به³.

أمّا مؤسسوا هذا المسجد فهم أولاد سيدي الحفيان في القرن السابع عشر الميلادي، وكانت عائلة تليلي تقوم على خدمة المسجد إلى أن عزل إمام المسجد (الشيخ تليلي عبد القادر) بحجة الخروج عن المذهب المالكي⁴.

■ مسجد سيدي حفيان:

من المساجد المالكية، يقع بناحية بني سيسين يحتوي على بيت الصلاة، يدخل له من باب واحد، وهو في غاية النظافة، فيه صفتان وثلاث سوازي ومحراب. وتذكر بعض المصادر أن الملك

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص 245.

² الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص 127.

³ الإذاعة الجزائرية، نشر يوم: 2023/04/21، ورقة مسجد سيدي بعافوا منارة دينية من التراث العريق، اطلع عليه يوم: الخميس 14 سبتمبر 2023، الرابط: <https://news.radioalgerie.dz/ar/node/2573>

⁴ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص 245-246.

علاهم هو الذي دعم الولي الصالح سيدي الحفيان في بنائه واقتطع له قطعة أرض قرب قصره في الجهة الغربية للمسجد¹، وكان مجمعا للعلماء القادمين من بلاد شنقيط والجنوب المغربي وبلاد توات القاصدين بلاد الحجاز، أو التجارة أو العلم والتعلم، وفي هذا المسجد كان يصلي السلطان ووزراؤه والقاضي الصلوات الخمس وفيه يجتمع أعيان العروش قصد التشاور في القرارات التي تقدم للأمير. وكان هذا المسجد منبرا للفتاوى الرسمية في عهد مشيخة آل علاهم².

■ مسجد سيدي إبراهيم:

يقع في قلب القصبة، وهو عبارة عن مدرسة قرآنية وزاوية ومجمع للطلبة والعلماء. يحتوي على دار لطلبة العلم الأجانب، وفيه مجلس قضاء لسكان القصر، وله بئر ماء خاص به، وحطب لتسخين الماء وأواني للمعروف، وخشب للقبور، وتمر يقدم للطلبة وعابري السبيل يوميا³.

■ مسجد أبي حضور:

هو أول مسجد بُني بعد خراب سدراته، وسمي على اسم مؤسسها الشيخ حادور خلال القرن السابع للهجرة وفيه تصلى الصلوات الخمس، وفيه أوقاف كثيرة للمعمرين ومصالح المسجد، وهو يشتمل على بيت الصلاة بثلاثة صفوف وست أسطوانات، وفيه أماكن معدة للاغتسال وإسباغ الوضوء في نظام تام، وعلى المسجد سطح في غاية الاتساع والإتقان والنظافة للصلاة أوان الصيف، وفيه صحن متوسط الاتساع للصلاة أوان الربيع⁴.

■ مسجد أبي سهل:

من مساجد الإباضية، يقع في ناحية بني سيسين، قرب الموقف بحاسي البستان اليوم. وبناء هذا المسجد غاية في البساطة، يتكون من اسطوانات وأقواس ضخمة يلججه الداخل من باب

¹ نفسه، ص250.

² الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص127.

³ عبد الرحمان حاجي، المرجع السابق، ص159.

⁴ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص233.

صغير، ومن العرف أن العريس الإباضي يزور هذا المسجد، ويقرأ مع جماعته سورة الأنعام، ويصلي ركعتين تحية للمسجد، وبعد الختام، يدعون الله بما تيسر ويوزعون الصدقة، ثم يذفون العريس بالصلاة على رسول الله إلى داره، ويذكر صاحب غصن البان قصة غريبة نذكرها من باب معرفة أوضاع المجتمع الورقلي في تلك الفترة من تاريخه فيقول "...ومما هو مجرب أن من أصيب بمرض عضال، أعيا الأطباء علاجه، يأخذ ثلاث بنات من بنات الدجاج، ويسلقهم ويدفنهن عند عتبة (يقصد القبر الموجود في المسجد)، وفي الصباح يفطر بها بنية خالصة لله، فإن الله يرفع عنه ذلك المرض والشفاء بيد الله، والاعتقاد في قدرة الله، وليس هذا مجرد مغالاة أو تمويه، من جرب أصاب، ومن كذب خاب والقير وبنات الدجاج في قيد الوجود... ومن يرد تصديق هذا الخبر، يصل إلى بلادنا وينظر..."¹.

■ مسجد أبي الربيع:

من مساجد الإباضية، مسجد أبي الربيع سليمان بن يخلف، يقع بناحية بني وقين، في منطقة باب الربيع اليوم، المسماة باسم الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف، قرب محطة الحافلات، وهو يشمل على بيت الصلاة بثلاثة صفوف وست اسطوانات. وبنائه في غاية البساطة. وفي المسجد تحفظ الأسرة المعدة لرفع أموات بني وقين، وتوزع فيه الأحباس المعدة لشهر رمضان في كل سنة، أعيد بناؤه سنة 1378 هـ / 1958 م².

■ مسجد أبي سعيد:

يعتبر من المساجد الإباضية العامرة بوارجلان، حيث تُقام به الصلوات الخمس وتلاوة القرآن الكريم، ويشتمل هذا المسجد على بيت الصلاة بصفيين، وثلاث أسطوانات، ومحراب وهو في غاية الإتقان والنظافة، وفيه محال للوضوء والإستنجاء والإغتسال وموضع لتسخين الماء بطست كبير

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص238.

² نفسه، ص239.

من النحاس معلق في السقف، وهو بناحية بني وكين، ومؤسسها أحد أجداد الشيخ الحاج أحمد بن محمد¹.

■ مسجد سدراته:

من المساجد الإباضية، وهو بناحية بني سيسين في جماعة (عروضة)، ولقد كان المسجد تجمعا للإباضيين من وارجلان إذا أرادوا زيارة أو تعزية إخوانهم بسدراته، وكذلك إباضية سدراته إذا قدموا لنفس الأمر اجتمعوا هناك، ثم دخلوا إلى البلد، ويقال إن المسجد كان محضرة لقراءة الصبيان²

بالإضافة إلى هاته المساجد، هناك مجموعة أخرى لم نخض فيها، يذكرها إبراهيم أعزام في كتابه غصن البان في تاريخ وارجلان، وهي كالتالي:

- مسجد الشيخ بانيز (من المساجد الإباضية، بناحية بني ابراهيم، يقرب من جماعة الميزاب).
- مسجد مولاي إبراهيم (من المساجد الإباضية، بناحية بني وكين، يقرب من جماعة بني وكين).
- مسجد الشيخ صالح (من مساجد الإباضية، من جماعة بني وكين).
- مسجد أبي عزيز (من المساجد الإباضية، بناحية بني سيسين في المكان المعروف بتمنواط).
- مسجد أبي إسحاق (من المساجد الإباضية، بناحية بني سيسين، يقرب من العين المسماة على اسمه).
- مسجد سيد الناس (من مساجد الإباضية، بناحية بني ابراهيم بدواخل ديار الجزائر).
- مسجد التوبة (من مساجد الإباضية، بناحية بني ابراهيم يقرب من السوق القديم).
- مسجد أبي عزاب (من مساجد الإباضية، وهو بعين ويدير³، في جنان سيدي أبي عزاب).

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص237.

² نفسه، ص242.

³ عين ويدير: منطقة بغابات وارجلان نُسبت إلى هذه العين. انظر: إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص243.

- مسجد سيدي صالح (من مساجد المالكية، يقع في السوق القديم).
- مسجد سيدي منصور (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني وكين).
- مسجد السنوسي (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني وكين).
- مسجد علي موكة (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني وكين).
- مسجد بَهْدَاج (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني وكين).
- مسجد أبي الشَّان (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني وكين).
- مسجد مسجد عَزِّي (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني إبراهيم).
- مسجد عمَّار (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني إبراهيم).
- مسجد إبراهيم الخَوَّاص (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني إبراهيم).
- مسجد سيدي عبد القادر (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني وكين).
- مسجد الشيخ بن عانو (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني سيسين).
- مسجد باهية (من مساجد المالكية، يقع بناحية بني سيسين، يقرب من السوق العمومي)¹.

3- الزوايا

وجدت في منطقة وارجلان هي الأخرى عدة زوايا مؤثرة وهامة، شكلت مراكز استقطاب ديني وعلمي وثقافي، العديد منها تنسب إلى مؤسسها من رواد الطرق الصوفية، وقد تمثلت فيآلاتي:

☒ - الزاوية الرحمانية العزوزية:

تنسب إلى الشيخ محمد بن عزوز البرجي² الشريف ولد بمدينة طولقة ، وكان عالما في الشريعة، زاهدا صوفيا على الطريقة الرحمانية التي نشرها وانشأ لها زاوية بقرية البرج في ضواحي بسكرة¹،

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص ص239-240.

² محمد بن عزوز البرجي: ولد بالبرج(برج بن عزوز حاليا) من واحات بسكرة في حدود سنة 1170هـ، تربي في حجر والده الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، وحفظ القرآن العظيم واشتغل بتحصيل العلم، فأخذ منه بغية، وله عدة وُلغات مفيدة، منها رسالة عالية في (قواطع المرید) و

تعتبر هذه الزاوية من أهم زوايا الجنوب الجزائري التي انتشرت بكثرة وامتدت إلى جريد تونس وهذا بفضل كثرة أتباعها وعلمائها، فكان لها دور ديني وروحي واجتماعي².

وتوجد لهذه الطريقة زاوية في منطقة وارجلان ممثلة في "زاوية عين البيضاء"، التي أسسها الشيخ بلخير المدعو لمقدم الشريف ينتهي نسبه إلى مولاي على بن يوسف أبي الجمال الشريف سليل الأشراف الفلايين ولد الشيخ بلخير ببني عباس قرب فقيق بداية القرن التاسع عشر، نزل بورقلة سنة 1832م بقصر عجاجة، ومارس تعليم القرآن، وأسس زاويته في منطقة عين البيضاء التي اهتمت بالتعليم الديني، وبإطعام الطعام ومساعدة المحتاجين بأمر من شيخه مصطفى بن عزوز البرجي³، وعاش الشيخ لمقدم بلخير مجاهدا في سبيل الله يدعم المقاومات الشعبية التي مرت بالمنطقة، مكرسا حياته في سبيل التعليم الديني وخدمة المجتمع، توفي سنة 1887م، وبفضل خصاله الكريمة انتشرت الطريقة العزوية في ربوع منطقة ورقلة⁴.

☒ - زاوية الرويسات :

تنسب إلى الطريقة القادرية لمؤسسها الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني أو (الكيلايني)، الذي ولد سنة (470هـ/1078م)⁵ وتوفي سنة (561هـ/1166م)⁶، ويرجع أصل هذه الطريقة

(شرح على التلخيص) وغيرهما، تخرج على يده فحول منهم سيدي علي بن عمر صاحب زاوية طولقة وسيدي عبد الحفيظ صاحب زاوية خنقة سيدي ناجي، توفي رحمه الله سنة 1233هـ. انظر: محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1908، صص 475-476.

¹ عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الخلوتية الرحمانية (الآثار والأصول) منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص: عقيدة، جامعة الجزائر، 2008-2009، صص 154.

² بلقاسم منصوري، الطريقة الرحمانية وأثرها في تشكيل الوعي الثقافي، محاضرات ومدخلات الملتقى الوطني العاشر، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات، بسكرة، 2015، صص 73.

³ بن ساسي محمد شعشوع، الدليل الأساسي في توضيح نسب أولاد بن ساسي، ط2، دار هومة، الجزائر، 2010، صص 203.

⁴ الأزهاري عبا، المرجع السابق، صص 132.

⁵ هناك اختلاف في تاريخ ميلاد الشيخ، فمنهم من يقول بسنة 470 هـ ينظر: عبدالله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، صص 18. وينظر كذلك: حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1991، صص 38.

⁶ الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، تح: محمد تامر وآخرون، م6، دار البيان العربي، القاهرة، 2006، صص 635.

إلى بغداد¹، تأسست في وارجلان سنة 1884م في قرية الرويسات من طرف الشيخ "حساني محمد الطيب بن إبراهيم بن احمد الشريف" ولد الشيخ محمد الطيب خلال سنة 1845م واستقر عند أحواله، أمه شعيبية تسمى رقية من أولاد الحاج مبارك بن فردية، توفي سنة 1901 ودفن في زاويته بالرويسات بورقلة².

وفي إشارة منه لتوضيح نسبهم يذكر المؤرخ إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، في كتابه الصروف لأصولهم الشريفة، عند تعرضه للعميرة الثانية أولاد البهيمة" أولاد العيايطة" "العبارة"، أن فيهم أبيات من الأشراف أتى جدهم من نفطة، وأنّ نسبهم يتصل بـ"سيدي إبراهيم بن احمد" صاحب الزاوية القادرية بنفطة³.

وهي المنتشرة في غالب بلاد وارجلان، ولها عدة زوايا ومقادم تحت أوامر وتعاليم الزاوية الكبيرة في بلدة ارويسات، ولها امتياز كبير على الزوايا بإقامتها يوم الميلاذ النبوي، المهرجانات العظيمة، والأفراح الشيقة مع ما يخلل ذلك من إطعام الفقراء والمساكين⁴.

✕ - الزاوية القادرية بأنقوسة:

تأسست الزاوية القادرية بأنقوسة على يد الشيخ الحاج عبد القادر الحبشي⁵، وقد ظهرت هذه الزاوية قبل الزاوية القادرية بالرويسات، وبعد وفاة مقدمها الأول تلاه الشيخ الحاج أحمد لمقدم

¹ عبد الله عبد الرزاق مناع، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1990، ص90.

² محمد شعشوع بن ساسي، المرجع السابق، ص37.

³ إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الدار التونسية للنشر، 1977، ص326.

⁴ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص272.

⁵ الشيخ عبد القادر الحبشي: ولد سماحة الشيخ الحاج عبد القادر الحبشي بن محمد حفيد سيدي أمبارك الصائم خلال 1813م بقرية من قرى أنقوسة بوهدة، كان أبوه من العرب الرجل من ضاية إلى أخرى واستقر بأنقوسة في أواخر السلطنة قبل دخول المشيخة، تزوج من بنت طيبة البنت المسماة الزهرة بنت المبروك الطيار، أنجب منها، توفوا كلهم معادا الأخيرين، بارك الله في زماخم حتى لقوا مثوالم، الاول محمد صابر (1857م) والثاني أحمد (1860م) وهذا الأخير هو الذي أخلف أباه في مشيخة الزاوية القادرية، فمحمد الصابر أنجب طفلان: الأزهر والهاشمي وأحمد أنجب ثلاثة أولاد منهم الحاج الذهبي الذي أخلف أباه أحمد في مشيخة الزاوية القادرية والحاج عبد القادر المبسوط بين أخويه المتواضع في الله والحاج ليمام الشيخ العالم العلامة توفي الشيخ بالجزائر العاصمة ودفن بمقبرة الإباضيين سيدي بنور 1879م وهذا بعد اغتياله على أيادي الغدر الفرنسية، وهذا لعد امتاله لأوامرهم والوقوف إلى جانبهم فرحم الله الشيخ واسكنه فسيح جناته. انظر: أبوبكر رحال، المرجع السابق، ص8.

الذي تقلد المنصب بقبول كبار العرش سيدي امبارك، حيث تم تنصيبه بحفاوة فصعد على ظهر الجمل حسب تقاليد العرش فبدأت النساء بمنح أهالي المنطقة شعيرا ودقيقا وتمرًا وفي تلك الليلة تقام التويذة بالطبل، أما عن أوقاف الزاوية فقد كانت تحضر من مجموع أموال أبناء العرش بحيث تشارك العائلات بكل ما تملكه إلى الزاوية¹.

وقد عرفت الزاوية القادرية بأنقوسة نشاطات عدة يحضرها زوار من مختلف المناطق منها: عجاجة والشط ... الخ، بحيث كانت تلقى فيها المحاضرات وسيرة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وأدعية إلى غاية الصبح، ويتم بعدها الفراق إلى العام المقبل، وكان للزاوية مسجد يدرس فيه التلاميذ الصغار إلى جانب المدرسة التي كان يدرس فيها لميني الصديق وكان يدرس في المسجد ثلاث مرات في اليوم².

كما كان للزاوية علاقات مع مناطق الوطن مثل منطقة بريان مع احمد بن الحرمة، وبالزاوية القادرية بنفطة التي كان يرأسها محمد الزيغم³.

✕ - زاوية سيدي الحفيان:

نظرا لشح المصادر والمراجع في ذكر زاوية سيدي الحفيان كأحد مراكز الإشعاع الثقافي في الجنوب الجزائري، وهذا حسب رواية أحد أحفاد الشيخ وهو أحد معلمي الزاوية في هذا الوقت إذ تحدث وقال: "أنه لا توجد مصادر ومراجع حول هذه الزاوية أي زاوية سيدي الحفيان، لكن ما رُوي عن أجدادنا أن زاوية سيدي الحفيان تأسست أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، وكان التأسيس الحقيقي خلال القرن السابع عشر بمجيء الشيخ "سيد الحفيان" من المغرب الأقصى من فاس ومن سجلماسة بالضبط، فهو شريف النسب إسمه الحقيقي "محمد

¹ أبو بكر الرجال، من بذرة البيان أحفاد الحرمة والحبشي وما عاقب الدهر والزمان بين انقوسة وبريان، بمناسبة احياء ذكرى الشيخ عبد القادر، ص06.

² جمعة مسكين وآخرون، السياسة التعليمية في الجزائر وأثرها في تكوين النخبة (1318-1359هـ/1900-1940م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، المركز الجامعي غرداية، (1431-1432هـ/2010-2011م)، ص167.

³ أبو بكر الرجال، المرجع السابق، ص7.

الحفيان" وقد لُقب بهذا الاسم في منطقة ورقلة لأسرار ظهرت فيه، وقد تعددت الروايات في أصل اسم كلمة الحفيان فالرواية الأولى تقول أنه حج مرات عديدة حافياً، أما الرواية الثانية فتقول أنه كان يودع ضيفه راكباً إياه على بغلته ثم يعود حافياً¹.

ونجد أن العياشي قد حج سوياً مع سيدي الحفيان، إذ يذكر ذلك في كتابه "ماء الموائد"، قائلاً: "فوجئت كتاباً إلى أمير الركب الأخ الصالح والمحج الناصح سيدي محمد بن أحمد الحفيان، أخبره بقدمنا عليه وعزمنا على التوجه، وكان يجب ذلك كثيراً ما بيننا وبينه من الألفة والمودة وما كنا نحج قبل ذلك إلا معه فجزاه الله خيراً من أمير هو في الحقيقة خادم لرعيته وساع في مصالح أهل رفقته، قد جمع الله ما زانه به من الأخلاق الحسنة حياءً وكرماً وصبراً وشجاعة وديانة وحلماً"².

كان حل هذا أنهم طلبوا من أهل ورقلة الذهاب إلى المغرب وطلبوا من سلطان المغرب رد الاعتبار لهم باختيار أحد شرفاء المغرب، فوقع الاختيار على سيدي الحفيان ولما قدم سيدي الحفيان مع ركب ولما وصل إلى مداخل سدراتة - حطوا الرحال - وقد وقع لهذا الركب العطش. وقد كان محمد الحفيان قائد الركب، وطلبوا منه الماء لأن الماء الذي كان بحوزتهم قد نفذ في هذه الأثناء، صل سيدي الحفيان ركعتين ودعا فيها الله تعالى فاستجاب الله لدعائه حيث نبع الماء بعد أن حفرت بغلته بحافرها (وتعد لهؤلاء كرامة) فصار الموضع يسمى اليوم (بحاسي البغلة أي بغلة سيدي الحفيان، وبعدها وصل إلى البلد واستقبله أهل ورقلة بالترحاب واستقر فترة من الزمن في المسجد العتيق - مسجد لالة مالكة - يعلم ويأمر الناس ثم بعدها استقر بزوايته الموجودة بقصر ساحة الشهداء، فكان يعلم الناس ويصلح فيما بينهم، وقد كانت الزاوية مأوى لأهل الخصومات³، أكرم الله تعالى سيدي الحفيان بمجموعة من الكرامات منها: كرامة نبع الماء، وتحول تمر النخيل

¹ عبد الرحمان حاجي، المرجع السابق، ص36.

² أبو سالم محمد العياشي، المصدر السابق، ص57.

³ عبد الرحمان حاجي، المرجع السابق، ص47.

إلى تمر يانع بعد أن كان حشافة وكرامة عين ذي القرنين، بقي سيدي الحفيان ينشط إلى أن وافته المنية سنة 1664 م ودفن في مسجده، أما عن العلوم التي كانت متداولة في الزاوية، فهي علوم الشرع ولما توفي الشيخ القطب دفن في الزاوية وضريحه معروف إذ يزار من الداخل والخارج¹.

✘ -زاوية سيدي بلخير الشطي:

له مكانة اجتماعية ودينية في المجتمع والعرف في ورقلة، وله مقام وزاوية في منطقة عين عمار بالشط بورقلة، ينسب الولي الصالح سيدي بلخير إلى أبيه الشيخ يونس الغرياني من أصل ليبي، عاش في القرن الخامس عشر الميلادي، وله مجموعة من الكرامات عرف بها في المنطقة، شجع السكان على الفلاحة وغرس النخيل²، وشرع في منزله في تحفيظ القرآن، كان معلما صادقاً ومفتياً، وعمل في مجال الدعوة إلى الخير وإصلاح ذات البين، أما القائمون على زاويته ومقامه فهم من عائلة (أولاد لعروسي) وما زال مقدم زاوية سيدي بلخير من أولاد لعروسي إلى يومنا هذا³.

وقد برز دور هذه الزاوية في استقبال الضيوف وأبناء السبيل والتكفل بالأرامل والأيتام وفض النزاعات والخصومات، هذا إلى جانب تحفيظ القرآن ونشر العلم⁴.

4- الكتب والمكتبات

لقد ورثت وارجلان مكتبة المعصومة العامرة بالكتب بعد سقوط الدولة الرستمية، وظلت هي الرائدة في ميدان الكتب والمكتبات، والعلماء المنتجين للكتب طيلة الفترة السدراتية من (296هـ/908م إلى 673هـ/1274م)، وجامعة يحج إليها طلبة العلم من جبل نفوسة ومن جربة ومن واد ريغ، ولكن بعد الأحداث التي مرت بها فقدت الكثير من هذه الكتب بعضها نُقل

¹ الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص89.

² عبد الرحمان حاجي، المرجع السابق، ص144.

³ زيارة إلى ضريح ومسجد سيدي بلخير الشطي، الشط، عين البيضاء، ورقلة، يوم: الجمعة 15 سبتمبر 2023.

⁴ عبد القادر موهوبي، معجم الصفوة، ج1، تين للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س، ص46.

إلى وادي ميزاب والبعض يظهر أنه حرق أو أُلّف على يد الميورقي يحيى بن غانية¹ سنة 626هـ- 1229م² إثر غزوته الأخيرة للمنطقة التي حطم فيها قصري وارجلان وسدراتة، وأجثت فيها أشجار النخيل وسد عيون الماء، ولكن رغم كل هذا العمل الهمجي بقيت بعض المكتبات في المساجد وعند الأئمة، وعند الحكام، وفي الزوايا التي تأسست فيما بعد³.

ورغم هذه الغزوات التي جاءت متتالية على الجهة من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي، وسحقت الأخضر واليابس، وأُلّفت الآلاف من الكتب، لكن إرادة الشعوب لا تقهر فقد تمكن بعض ملاك الكتب من المحافظة عليها، وبقيت في حالة جيدة إلى غاية العهد العثماني ومن ضمن هذه المكتبات نذكر:

❖ مكتبات الأئمة

عندما مر الرحالة المغربي أبو سالم عبد الله (العايشي) (توفي 1090هـ-1679م)⁴ بوارجلان مع ركب الحج القادم من سجلماسة سنة 1074هـ-1663م، ومكث بها أربعة أيام (الخميس والجمعة والسبت والأحد)، تعرف خلالها على أجزاء المدينة، وزار بعض المكتبات ومن جملتها مكتبة الإمام الذي دعاه إلى داره لطعام أعده إليه، وقبل تناول الطعام جاءه ببعض الكتب التي يملكها من مكتبته الخاصة، ومن ضمن ما عرض عليه من كتب نذكر:

(-الإمام مالك بن أنس: أجزاء من الموطأ - الإمام البخاري: صحيح البخاري - عياض: الإكمال - الخليل بن إسحاق: مختصر خليل في الفقه المالكي - ابن أبي زيد القيرواني: الرسالة.)

¹ الميورقي يحيى بن غانية: هو يحيى بن اسحاق المتلمذ، المعروف بابن غانية منسوب إلى جزيرة ميورقة بالأندلس، ثار بافريقية، وفعل فيها العجائب من الفساد، نزل على بلاد وارجلان فهدم قصورها، وقطع نخيلها، وأفسد عيونها، وشئت جمعها. انظر: إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص131.

² Madeleine (Rouvillois Brigol): op.cit. p21.

³ عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج7، ص64.

⁴ أبو سالم عبد الله، (العايشي)، المصدر السابق، ص45.

أعجب العياشي بهذه المكتبة وتأسف على أن بعض هذه الكتب تنقصها أجزاء، والبعض الآخر تنقصها أوراق وقال: (غايتهما لم تكتمل)¹.

ونستنتج مما تقدم أن مدينة وارجلان كانت تعج بالمساجد المالكية والإباضية في القرن السابع عشر الميلادي، وكل مسجد به مكتبة وكل إمام يملك مكتبة في منزله، هذا ما يؤدي بنا أن نقر أن هذه المدينة كانت تملك الآلاف من الكتب والمخطوطات المنتجة محليا، أو التي استوردت من الحواضر المجاورة، ولكن السمة الغالبة على هذه الكتب أنها كتب في الشريعة الإسلامية. كما زار العياشي خلال المدة التي قضاها في وارجلان مكتبة أمير المدينة "مولاي علاهم بن مولاي محمد"² الذي حكم من سنة 1052هـ إلى 1081هـ/1643 إلى 1669م³، بعد أن علم أن له خزانة من الكتب، وأنه لا يمنع من أراد الدخول إليها⁴ لغرض الدراسة أو الاستفادة منها، ذهب إلى الأمير بمعية الإمام فرحب بهما وأدخلهما إلى مكتبته التي تحتوي على أكثر من أربعين سفرا ومن جملة ما تحتوي من كتب⁵ نذكر:

- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائي: تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة.

¹ أبو سالم عبد الله، (العياشي)، المصدر السابق، ص 47.

² مولاي علاهم بن مولاي محمد: بعدما توفي مولاي عبد الغفار سنة 1631م، اجتمع الأعيان وقاموا بتوليته مكان أخيه، فمكث في الولاية تسعا وعشرين سنة أحدث في أثناءها إصلاحات جمة، وكان يحكم بشيء من الشدة. انظر: إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص 148-149. وقد ذكر ذلك العياشي في رحلته حيث وصف الأوضاع السياسية في عهد مولاي علاهم بأن ورقة كانت تتمتع باستقلالية في تسيير شؤونها السياسية، وأن الملك علاهم تربطه صلة قرابة بحكام مدينة تقرت بني جلاب، يتمتع بشيء من الثقافة، فهو يمتلك خزانة من الكتب تحوي نحو أربعين مجلدا، وله بعض الإمام بالمسائل الفقهية، ويشهد العياشي بما لمسه من حسن خلق هذا الأمير ولين جانبه، فمدحه ببيتين من الشعر، فقال:

فَإِنْ وُلَاةَ الْأَمْرِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ كَثِيرُونَ لَكِنَّ الْأَمِيرَ عَلَاهُمْ
عَلَاهُمْ عَلَاهُمْ إِذْ تَحَلَّوْا بِجَلِيَّةٍ مِنْ الْعَدْلِ وَالْمَدْوَحِ رُحْمِ حَلَاهُمْ

³ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص 149.

⁴ أبو سالم عبد الله، العياشي، المصدر السابق، ص ص 47-48.

⁵ نفسه، ص 117.

- الشيخ خليل: كتاب التوضيح - بهرام بن عبد الله: شرح مختصر خليل - محمد بن يوسف بن عمر بن السنوسي: العقيدة الصغرى.

ويبدو أن مكتبة الأمير هي بدورها تحتوي على كتب فقهية على المذهب المالكي، ويظهر أن العياشي اكتفى بمكتبتين فقط ولم يزر جميع المكتبات ويطلع على المخطوطات الموجودة في بعض الأحياء وبزوايا وارجلان وغيرها من القصور الأخرى ولم يزر كذلك مكتبات علماء ومساجد الإباضية التي تزخر بأمهات الكتب في الفقه الإباضي وغيره من العلوم، ومن ضمن المكتبات الإباضية نذكر:

مكتبة بأحمد بن افلح، المتوفي سنة 1149هـ - 1736م¹ ترك مكتبة عامرة بالكتب، سميت مكتبة أبي أحمد بن افلح، ويذكر أن بعض الكتب الموجودة بها وقتذاك كانت قد جلبت من تيهرت بعد سقوط الدولة الرستمية أي أجزاء من مكتبة المعصومة.

ومن بين الكتب التي كانت متداولة بورقلة الكتب التي ألفها الشيخ عبد العزيز الثميني ولد سنة (1130هـ/1718) وتوفي سنة (1223هـ/1808م)، وقد سبق للشيخ الثميني أن سكن وارجلان حتى بلغ سن الثلاثين² ثم عاد إلى بني يوقن ومن ضمن ما ألف وترك نسخا منها من وارجلان نذكر:

- أرجوزة في علم الفلك ومنازل النجوم - الأسرار النورانية - التاج على المنهاج - مختصر في أمور الزواج - تعاضم الموجين في شرح مرج البحرين - تكميل لما أدخل به كتاب النيل - عقد الجواهر في بحر القناطر - كتاب النيل وشفاء العليل - مختصر حواشي ترتيب مسند الربيع بن حبيب - المصباح المقبس من كتلب أبي مسألة والألواح - معالم الدين في علم الكلام - النور - الود البسام في رياض الأحكام.

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص148.

² نفسه، ص371.

وبعد الاحتلال الفرنسي لورجلان، أرسلت الإدارة الفرنسية بالجزائر المستشرق والباحث في التراث "رينيه باسيه" (René basset) إلى وارجلان¹ للبحث عن الكتب القديمة والمخطوطات في الكتاتيب والزوايا والمنازل، وبعد البحث والتنقيب عشر على مئات الكتب المخطوطة باللغة العربية فقط عندها كتب تقريراً إلى الإدارة الفرنسية يحتوي على أكثر من مائتي عنوان في مختلف مجالات العلوم والمعرفة وخاصة في مجال الفقه والتصوف، ومن ضمن ما جمع "رينيه باسيه" (René basset) من قصر وارجلان بعروشه الثلاث، نجد:

❖ كتب الأهالي والزوايا بقصر وارجلان:

(موطأ الإمام مالك - صحيح البخاري - مختصر سيدي خليل - رسالة أبيزيد القيرواني - كتاب علم النكاح - كتاب سير الأئمة - كتاب المعلقات - ريدة العجائب وجريدة الغرائب - كفاية العابدين - كتاب في نحو - شرح الشيخ خليل - ترجمة للشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي - كتاب تفسير المنام - كتاب الشيخ السنوسي في علم المنازل والأوقات والساعات - كتاب المعراج - كتاب الشيخ البصري في المدح الرسول (ص) - كتاب الشيخ الهمداني - قصة مولد الرسول (ص) - كتاب الرحبية في عالم الميراث - قصة الأندلس - كتاب حساب الفرائض - كتاب المارونية في علم الطب - رسالة أبي زيد القيرواني - كتاب الشيخ بن عاشر - الداري في علم الوضوء والصلاة - كتاب دلائل الخيرات في الترغيب في الصلاة - قصة الحجاج بن يوسف مع الصبية.

❖ كتب عرش بني إبراهيم:

(- كتاب القوانين في أحكام الشرع - كتاب محمد بن سيرين في تفسير الأحلام - كتاب بدأ الدنيا في القصص والأخبار - كتاب الشيخ الخرشبي - كتاب الألفية - كتاب الأجرومية - كتاب

¹ René basset, Les manuscrites Arabes, des bibliothèques des Zaouias de Ain Mahdhi et Temacine et de Ouargla et de Adjaja, Bulletin de Correspondance Africaine, tome 3, Alger, 1885, pp.242-265.

حياة النفوس - كتاب حسن البصري - كتاب دلائل الخيرات - كتاب علم البيان - كتاب الحديث - كتاب البردة للبصري - كتاب أحكام الشرع لابن سودة - قصة الباز والحمام - قصة القاضي مع السارق - كتاب الحديث للقاضي عياض - قصة آدم عليه السلام - كتاب بن مفرع في حديث الرسول (ص) - كتاب السقلي في علم الطب - كتاب الشجرة اليقين - كتاب بن رشد في شأن الدين - قصة عجيب وغريب - قصة رأس الغول - كتاب الشيخ بهرام على الخليل - كتاب حياة الحيوان في علم الطب - كتاب الميارة الصغرى - كتاب السمرقندي في الحديث - كتاب عبد الرحمان الثعالبي - كتاب السنوسي في علم الفلك والحساب - كتاب علم المحتاج - كتاب الشيخ الكندي في الحديث - كتاب أبي الحازم في الوعظ والحديث - كتاب فتوح إفريقيا - كتاب الياقوته - كتاب التودد في الفرائض والسنن - قصة هارون الرشيد مع الجارية¹.

❖ كتب عرش بني سيسين:

(- السمرقندي - كتاب بن سيرين في تفسير الأحلام - كتاب الشيخ الكندي - كتاب حديث الشفاء - كتاب شرح الرسالة - كتاب ابن رشد - الثعالبي: تفسير القرآن الكريم - كتاب ابن عاصم - كتاب ابن سلمون - كتاب جمع المسائل - كتاب السوداني على سيد خليل - الرسالة لابن الحسيني - كتاب الشيخ العروسي - كتاب الميارة في شرح بن عاشر - كتاب تنبيه الأنام - كتاب الرسالة وشرح ابن الحسن - كتاب ابن عبد الصادق في الطب - كتاب الجوهرة في مناقب الأولياء - كتاب الشيخ الحرشي - كتاب نزهة المجالس - كتاب دلائل الخيرات - كتاب البخاري - كتاب الفوائد في علم الرقية - كتاب الرحبية في علم الترائك - كتاب ذو القرنين - كتاب الجوهرة في التوحيد.

❖ كتب عرش بني وقين:

¹ Ibid :p.244.

(كتاب الشيخ العروسي - كتاب الشفاء - كتاب المعراج - كتاب الشيخ البغدادي - كتاب بداية الدنيا - كتاب الدعاء - كتاب الشيخ عبد الله بن سحنون - كتاب الشيخ خليل - كتاب أبي مسلمة - كتاب الشيخ بن زعري - كتاب قواعد الدين - كتاب الحديث - كتاب النكاح - كتاب الإيضاح - كتاب دلائل الخيرات - كتاب المسائل - كتاب الهارونية - كتاب الشيخ بن عاشر - كتاب حديث الطيور والبهائم - كتاب الشيخ بن سرور - كتاب الشيخ البخاري - كتاب أسماء الله الحسنى - كتاب حديث العرش).

❖ كتب مكتبة عجاوجة:

(- المواقف على شرح خليل¹ - كتاب التتاي على شرح خليل - كتاب الخرشبي على سيدي خليل - كتاب بن حسن علي ابن أبي زيد - كتاب الميارة الكبرى على بن عاشر - كتاب الميارة الوسطى - كتاب عمدة البيان على لأحضري - كتاب الأحضري على التصوف - كتاب الأحضري على علم الفلك - كتاب السنوسي في علم الفلك - كتاب الإخوان - كتاب المدونة - كتاب الشيخ سالم بن خليل - كتاب بن عاصم - كتاب التودد - كتاب الهارونية في الطب - كتاب آداب النكاح - كتاب شمائل النبي (ص) - كتاب دلائل الخيرات - كتاب الحاشية في شرح أسماء النبي (ص) - كتاب العروسين - كتاب المصمودي - كتاب البغدادي - كتاب سيدي خالد على الآجرومية - كتاب البصيري - كتاب البخاري - كتاب شرح الأربعين للقلشاني - كتاب القلشاني على الرسالة في الفقه - كتاب بن مالك في علم العربية - كتاب العزبة في الفقه - كتاب الرحبية في علم الترائك - كتاب الحصن الحصين - كتاب الزرفاوي في علم القضاء - كتاب الرقاق في علم الفتوى - كتاب بن هاشم في علم النجوم - كتاب بن أبي ويد في الفقه - كتاب الفوائد في علم الرقية - كتاب تنقيح الأنوار - كتاب فتوحات المغرب - كتاب فتوحات رأس الغول - كتاب بهجة النفوس في شرح البخاري - كتاب شجرة اليقين في الوعظ -

¹ Ibid :p.265.

كتاب بدأ الدنيا في قصص الأنبياء - كتاب تحفة السائل - كتاب الوعظ - كتاب التوضيح في الفقه - كتاب الغرناطي في مسائل القضاء - كتاب السنوسي في العقائد وفي التوحيد - كتاب الجوهر في التوحيد - كتاب ستة وستون عقيدة في التوحيد - كتاب إقناع الإقناع - كتاب الحديث لابن فرحون - كتاب العبادات والفتوى - كتاب تنبيه الغافلين - كتاب بن سيرين في تعبير الرياء - كتاب كفاية الطالب في الفقه - كتاب الهمداني في الحديث - كتاب الرحمانية في علم الأذكار - كتاب ذو القرنين - كتاب بن رشد - كتاب بن جماعة في الرياء - كتاب بن ناجي في شرح الرسالة - كتاب السلوان - كتاب قصة إلى زيد البصطامي - كتاب حكايات الملوك وأخبارهم - كتاب الجامع في الفقه - كتاب اللطائف¹.

إنَّ المتعمن في بيبولوجرافية الكتب التي أحصاها وضبطها "رينيه باسيه" (René Basset) في حوض وارجلان خلال القرن التاسع عشر الميلادي، يستنتج أن عددها كبير ولا يستهان به وأن المنطقة كانت على درجة مقبولة من العلم والثقافة الإسلامية عكس ما ظن العياشي عندما سمع خطبة جمعة لم تنل إعجابه بسبب الأخطاء اللغوية التي ارتكبها الخطيب، وربما كان لا يوجد أمي بين الأهالي، وأن أكبر عدد من الكتب كان في منطقة عجاجة، هذا ما يؤيد ويؤكد مقولة " أن عجاجة هي فاس الصغرى"، وأن جل الطلبة بوارجلان وقصورها الأخرى بعد إتمام دراسة الكتاتيب يتوجهون إلى الشط وعجاجة لدراسة علم التجويد، والنحو والفقه والحساب.

وإذا ما قمنا بتصنيف حظيرة الكتب بوارجلان في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري - النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي نجدها تنقسم إلى التصنيفات الآتية:

- كتب دينية (تفسير - فقه - حديث - تصوف - توحيد).
- كتب أدبية ولغوية (قصص - شعر - قواعد اللغة العربية).
- كتب تاريخية (تاريخ - سير - رحلات).

¹ Ibid :pp.475-485.

● كتب علمية (طب - حساب - فلك).

وما تجدر الإشارة إليه أن هذه العناوين، وهذا الكم العددي من الكتب غير موجود الآن، وفي اعتقادي إما أخفاه أصحابه في مكان إبان الاحتلال الفرنسي ولم نعثر عليه، أو دفن تحت بقايا بيوت الطوب التي تسقط بين الحين والآخر، وتآكلت بسبب صعود المياه، أو أخذه المستعمر وهجره إلى ما وراء البحار وهذا أغلب الظن.

المبحث الثالث

علماء وارجلان

ما يميز علماء وارجلان الذين وصلتنا تراجم عن حياتهم وسيرهم خلال الفترة محل الدراسة جلهم على المذهب الإباضي، وربما مرد ذلك أن أتباع المذهب المالكي كان جلهم بدوا رحلا لا يهتمون بالعلم والتحصيل بقدر ما يهتمون بالسعي والبحث عن الكالأ والمرعى لمواشيهم، أما المستقرون في القصر العتيق فكانوا منهمكين هم وأبناؤهم في الفلاحة والسعي وراء توفير لقمة العيش - والكثير منهم كان في حالة جد مزرية- يشتغل في الأعمال اليومية أو خماسا¹ عند ملاك غابات النخيل من السادة الإباضية والمالكية، واليهود، هذا هو شأن السواد الأعظم من أبناء وارجلان، ومن بين الذين كان لهم الحظ ودرسوا وتعلموا وواصلوا دراستهم العليا بوادي ميزاب أو في تونس نذكر :

❖ أحمد بن الحاج قاسم (توفي 1120 هـ -1708 م):

ولد بوارجلان في منتصف القرن الحادي عشر الهجري، منتصف القرن السابع عشر الميلادي وعندما بلغ سن التمدرس درس وتعلم بمسقط رأسه، ولما هاجرت أسرته إلى القرارة التي كانت آنذاك حديثة النشأة أستقر بها، وساهم في الحركة الثقافية والعلمية من خلال محاضراته ودروسه وخطبه المسجدية، كما لعب دورا كبيرا في تأسيس مسجد القرارة² ولما وافته المنية سنة 1120 هـ -1708م دفن في مقبرة الشيخ بهون، وبهذه المقبرة مصلى ومسجد ينسبان إلى الشيخ أحمد بن الحاج قاسم³.

¹ الخماس: هو العامل البسيط الذي يشتغل في البساتين ويأخذ مقابل ذلك خمس 5/1 الإنتاج الفلاحي. (متداول محليا).

² مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، المرجع السابق، ص 196.

³ محمد بابا عمي وآخرون، معجم اعلام الاباضية قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005، ص 71.

❖ با أحمد بن أفلح:

هو با أحمد بن أفلح يعود نسبه إلى الأسرة الرستمية التي حلت بوارجلان سنة (296هـ/908م)، ولد بوارجلان في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي، ولما بلغ سن التمدرس درس وتعلم بها، وبعد أن تمكن من علوم زمانه أسندت له وكالة الجامع الكبير لالة عزة¹، التي كانت موقوفة على عائلة أفلح، تبوأها سنة (1149 هـ /1736م)²، وبعد وفاته ترك مكتبة كبيرة يرجح الدارسون لسيرته³ أن بهذه المكتبة قسما كبيرا من الكتب التي جلبتها أسرة أفلح معها يرجح من تيهرت، وهو دفين مقبرة أولاد أفلح بوارجلان⁴.

❖ الشيخ باسة بن موسى:

هو الشيخ باسة بن موسى بن الحاج داود وينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان⁵ (رضي الله عنه) ولد بوارجلان سنة 1121هـ -1709م، من مشايخ الإباضية بوارجلان ومن العلماء العاملين والصلحاء المرشدين، أخذ العلم عن شيخه الحاج محمد بن أبي القاسم المصعبي⁶، نشأ بوارجلان بين أحضان أسرة علم حيث كان أبوه عمي موسى عالما من علماء وارجلان، تعلم في مراحل الأولى بمحاضر مسقط رأسه، وبعد أن أتم دراسته الأولية سافر إلى وادي ميزاب وتعلم على خيرة علمائها، عاد إلى وارجلان بعد أن تشبع بالعلم والمعرفة في ميداني الشريعة واللغة العربية، كما أتقن فن الكتابة والخط، دخل حلقة العزابة بوارجلان وما لبث أن تبوأ رئاستها في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي وكان صارما في تسييرها، كما تخصص كذلك في الكتابة

¹ انظر الملحق رقم 12.

² معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، ج1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ص 238.

³ محمد بابا عمي وآخرون، مرجع سابق، ص 148.

⁴ أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 114.

⁵ سلطان وارجلان، رسالة إلى الشيخ باسة بن موسى، تح: سليمان بن محمد بومعقل، عمل مرقون، 1995، ص 6.

⁶ محمد بن أبي القاسم المصعبي: من علماء ميزاب (1045هـ-1129هـ/1635-1716م)، تولى مشيخة ميزاب، ترك آثارا علمية واجتماعية، انظر: ابراهيم أعزام، المصدر السابق، ص 365.

والنسخ وتدوين العقود ويقول صاحب كتاب غصن البان¹ "أن له مهارة كبيرة في الكتابة لا يضجر ولا يمل منها، وقد رأيت كتبا كثيرة وأجوبة جمّة بخط يده"، توفي سنة (1176هـ / 1766م)²، وترك خزانة كبيرة مملوءة بالكتب بخط يده³ ومن ضمن ما ترك نسخ من رسائل كان قد وجهها لزملائه علماء وتلاميذ وادي ميزاب هذا ما يثبت الترابط الفكري والعلمي ما بين وارجلان ووادي ميزاب.

ومن بين رسائله التي كان يحث فيها على طلب العلم، رسالة وجهها إلى إخوانه من بني مصعب وهم بـ "جربة" يزاولون دروسهم، قال ما نصه: (إخواننا... الله الله، في زيادة العلم ليلا ونهارا، مساء و صباحا، لأن العلم كاد أن ينقرض من بلدانكم، ولأن الجهل مطية من ركبها ذل، ومن صاحبها ضل.

إخواننا... الله الله، تعلموا العلم فإنه يصلح حالكم ويرغم شانتكم، وتعلموا العلم فإنه عز لا يبلى جديده، وكنز لا يفنى مزیده..و تعلموا العلم، لأنه أفضل خلق، والعمل به أكرم شرف، فعسى أن تحيوا لنا ما اندرس من العلوم، وأن تقوموا ما انطمس من الرسوم.

إخواننا... عليكم بتقوى الله والورع عن محارم الله، يقول الله: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ⁴)، لأن قليلا من العلم مع العمل يكفي، وكثيرا من العلم بلا ورع يعمي.

إخواننا..اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وكونوا عباد الله إخوانا ولا تشتتوا.

إخواننا..عليكم في السعي في المهمات، والرغبة في جمع الخيرات تنجون من شدة العذاب يوم الفصل في الحساب، فإذا سعيتم جهدكم فيما ذكرنا جزاكم الله ريكم بالجنات مع الخيرات

¹ بابا جو اعزام إبراهيم بن صالح، النسخة المحققة، المصدر السابق، من 65.

² جاء في رسالة للطالب موسى فقيه إلى الشيخ أبي اليقضان مؤرخة في 04 جمادى الثانية 1385هـ/29-09-1965م، أنّ تاريخ وفاة الشيخ باسه سنة 1176هـ، وفي ملحق السير ص28 يذكر أبو اليقضان تاريخ الوفاة بـ 1176هـ، أما معمر علي يحي في كتابه الإباضية في الجزائر ج1، ص240 فيذهب إلى أنّها 1179هـ وهو نفس التاريخ الذي ذهب إليه إبراهيم أعزام. انظر: إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص365.

³ معمر علي يحي، المرجع السابق، ج 1، ص 240.

⁴ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 282.

الحسان، ومصداق ذلك قوله تعالى: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)¹.. وبلغوا مجموع المشايخ سلامنا..².

❖ بلقاسم بن حمو:

ولد بوارجلان سنة 1000 هـ -1519م³ ودرس على علمائها ثم هاجر إلى القرارة بعد تأسيسها ما بين 1630 هـ -1640م، وهناك استقر وبعد بناء مسجد القرارة عين إماما به وشارك في الحياة الاجتماعية حيث كان ممثلا للقرارة في الاجتماعات والمؤتمرات التي تنظم بين الحين والآخر بميزاب، وقد توفي هذا العالم سنة 1050 هـ -1640م بالقرارة ودفن بها⁴.

❖ بحمان بن عيسى:

ولد بوارجلان في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وهو من عرش بني سيسين، درس وتعلم بمسقط رأسه على يد علماء وارجلان، وكان من الرجال الذين لعبوا دورا كبيرا في الحياة السياسية، حيث ساهم في تنصيب أحد سلاطين المدينة المدعو مولاي عبد الغفار سنة 1040 هـ -1631م، وبعد وفاة السلطان مولاي عبد الغفار ساهم في تنصيب أخيه مولاي علاهم⁵.

❖ محمد بن إبراهيم بن موسى:

¹ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 25.

² معمر علي يحي، المرجع السابق، ص ص 945-946.

³ مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، المرجع السابق، ص 197.

⁴ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 210.

⁵ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 174.

ولد بوارجلان في القرن الثاني عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، تعلم على يد مشايخ وارجلان حتى وصل إلى درجة المشيخة، طلبه سكان بني يزقن ليتولى مشيخة المدينة، فلبى الطلب سنة 1109هـ-1698م، وبقي في هذه المهمة إلى أن وافته المنية في بني يزقن بوادي ميزاب¹.

❖ الشيخ صالح بن موسى:

من مشايخ الإباضية بوارجلان، الشيخ صالح بن موسى النقوصي²، ولد بوارجلان في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، تبوأ مهمة إمامة مسجد لالة عزة الإباضي³، ويذكر إبراهيم أعزام أنه من ذرية أبي بكر الصديق⁴، طلب منه سلطان وارجلان أن يتولى إمامة المسجد المالكي، لكن المنية حالت دون توليه هذه المهمة⁵.

❖ الشيخ عبد العزيز الثميني:

من مشايخ وارجلان الشيخ العالم العلامة عبد العزيز بن إبراهيم الثميني⁶، وهو المؤلف الذي يمكن أن يقاس عمله في الفقه الإباضي بعمل الونشريسي في الفقه المالكي⁷، ولد بوارجلان سنة (1128هـ/1715م)، استقر في بني يزقن⁸، وألف مجموعة من الكتب في المذهب الإباضي منها "النيل وشفاء العليل" الذي يعتبر العمدة في الفقه الإباضي، وكتاب "تعاظم الموجتين على مرج البحرين" في المنطق والفلسفة، تولى رئاسة الحلقة الدينية في ميزاب وسلك فيها مسالك الإرشاد والإصلاح. توفي سنة 1808 م عن عمر يناهز 93 سنة، وراثه تلميذه الشيخ إبراهيم بن بحمان بقصيصة مطلعها:

¹ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص788.

² إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص363.

³ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص492.

⁴ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص184.

⁵ أحمد ذكار، المرجع السابق، ص115.

⁶ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص371.

⁷ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص74.

⁸ محمد علي دبو، نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3، المطبعة العربية الجزائرية، 1969، الجزائر، ص270.

إِلَى السَّيِّدِ الْمَعْبُودِ أَشْكُو مُصِيبَتِي وَوَجَعِي وَلَوْعَتِي وَحَالِي وَعُزَّتِي.¹

❖ الشيخ إبراهيم بن بحمان:

يُعد من أشهر مشايخ وارجلان، استوطن بني يزقن من ميزاب، أخذ العلم عن خاله الشيخ عبد العزيز الشميني، فكان له النصيب الأوفر وبرز في العلوم العقلية والنقلية، وله عدة مؤلفات، ومما يُشهد له بالاطلاع في العلوم قصيدته المشهورة بـ "البردة في المديح"، التي مطلعها:

إِنِّي رَأَيْتُ خَيْالَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرَمِ.²

❖ موسى بن باسة:

ولد في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي بوارجلان، تعلم فيها على يد والده باسة موسى، كان كوالده نساخا للكتب، وشاعرا يقرض الشعر، ويوثق عقود البيع والشراء والأوقاف، توفي في حدود سنة 1230هـ -1814م، ودفن بوارجلان.³

❖ الشيخ محمد بن أحمد بن الرياح المعروف بسيدي عبا:

عرف في ضواحي ورقلة بكُنية سيدي عبا، وهي لفظ أمازيغي يعني السلطة والضغط، مما يوحي بأن الشيخ أحمد بن محمد كانت له سلطة ضغط على الجماعة الحاكمة في منطقة ميزاب، واستقر الشيخ أحمد بن محمد في ضواحي ورقلة بين القبائل العربية سعيد عتبة والشعابنة في عين البيضاء في منطقة سيف وحاسي بن عبا، يعلمهم شؤون دينهم ويفقههم في علوم الدين، تشير بعض المصادر التاريخية انه دخل ورقلة في سنة 1650 م، وساهم في الحركة العلمية التي عرفتها ورقلة وضواحيها في القرن السابع عشر، برعاية الأشراف الوافدين من الساقية الحمراء، وساهم في

¹ إبراهيم أعزام، المصدر السابق، ص372.

² نفسه، ص373.

³ محمد بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، ص 922.

بناء المسجد العتيق في بلدة أنقوسة بمساعدة سيدي مبارك الصائم دفن في غرداية، وإلى اليوم تعرف المنطقة باسمه¹.

❖ الشيخ سيدي محمد بن ساسي:

وهو الشيخ محمد بن عبد الله بن ساسي أصله من أشرف الساقية الحمراء الواقعة في جنوب المغرب، استقر الشيخ محمد بن ساسي في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي في منطقة الرويسات بورقلة، وأسس زاوية يلجأ إليه الناس. وكان معلما للقرآن ويقوم بتلاوة القرآن يوميا وأداء الاحتفالات الدينية المختلفة، وكان الشيخ محمد بن عبد الله بن ساسي من أتباع الطريقة الجزولية التي أسسها الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، صاحب كتاب دلائل الخيرات، والذي اشتهرت طريقته في كل من المغرب ومصر والجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية.

ساهم الشيخ محمد بن ساسي في نشر التعليم الديني ومبادئ التصوف في منطقة ورقلة وكان من أقطاب الصوفية في المنطقة، استطاع أن يجمع حوله طبقات المجتمع ويكون جماعة دينية ملتزمة بالمبادئ الإسلامية وأذكار الطريقة الجزولية.

وكان للشيخ مكانة اجتماعية راقية في المجتمع، حيث مدحه الكثير في القصائد الشعبية، نذكر منها قصيدة من الشعر الملحون للشيخ "قريشي محمد الطيب"²، الذي يقول فيها:

يا الشُّرفاء الأحرار أولاد الزَّهراء على خديم الله صاحب الشُّهرة
بجاه ربِّي داو ضُرِّي نبري دفين مُرَاكُش في الحوزة الحُمراء³.

❖ أبو زيان عبد العزيز:

¹ عبد الخليم دحماني، المرجع السابق، ص 36.

² قريشي محمد الطيب: شيخ علم ومدرس قرآن، من شعراء منطقة الرويسات في ورقلة تميزت قصائده بمدح النبي والمشايع والصالحين.

³ بن ساسي محمد شعشوع، المرجع السابق، ص 35-41.

تولى مهمة شيخ العزابة بالمسجد العتيق لالة عزة كان على قيد الحياة 1149هـ - 1736م¹ ووقع في عهده خلاف حول مسك مفاتيح المسجد العتيق وتوصل إلى حل هذا الخلاف بوضع المفاتيح عند شخصين واحد من عرش بني سيسين والآخر من بني واقين، وساروا على هذا الرأي إلى يومنا هذا ولما توفي دفن بمقبرة أولاد عبد العزيز بوارجلان².

¹ بابا حمو اعزام إبراهيم بن صالح، المصدر السابق، ص 120.

² معمر علي يحيى، المرجع السابق، ج 1، ص 238.

خلاصة الفصل:

- برزت عدة شخصيات بالمنطقة ومثلوا تاريخها وفكرها وردت لنا الكتابات التاريخية اسم "الوارجلاني" ، وهو ما لفت انتباهي في معجم الزركلي مثلا، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على الزخم المعرفي وقوة النشاط الفكري في وارجلان، وعلى سبيل الذكر بن أبي بكر الوارجلاني، مما يستعدي القول هنا أن لوارجلان الحظ الأوفر لاستقطاب خيرة الطلبة من كل الجهات وإنجاب فطاحل العلماء والمفكرين .
- ما يميز علماء وارجلان الذين وصلتنا تراجم عن حياتهم وسيرهم خلال الفترة محل الدراسة جلهم يتبعون المذهب الإباضي، من هؤلاء العلماء الأجلاء أحمد بن الحاج قاسم الذي ساهم في الحركة الثقافية والعلمية من خلال محاضراته ودروسه وخطبه المسجدية، كما لعب دورا كبيرا في تأسيس مسجد القرارة، ونذكر أيضا الشيخ با أحمد بن أفلاح الذي يعود نسبه إلى الأسرة الرستمية التي حلت بوارجلان سنة 296هـ-908م، وترك خزانة كبيرة مملوءة بالكتب بخط يده ومن ضمن ما ترك نسخ من رسائل كان قد وجهها لزملائه علماء وتلاميذ وادي ميزاب هذا ما يثبت الترابط الفكري والعلمي ما بين وارجلان ووادي ميزاب .
- استطاعت منطقة وارجلان بحكم موقعها الجغرافي أن تكون حلقة وصل حضاري وثقافي بين المدن الكبرى الشمالية، ومناطق الصحراء الكبرى .
- تميز النظام التعليمي بانقسامه إلى قسمين ، تعليم إباضي تشرف عليه جماعة العزابة، وتعليم مالكي تشرف عليه هيئة المسجد المالكي، وبعض الطرق الصوفية ، كالرحمانية والقادرية.
- تميزت قصبه ورقلة بكثرة المساجد، وأهمها المسجد المالكي، الذي يعود تأسيسه إلى العهد الحفصي والمسجد الإباضي المعروف بمسجد "لالة عزة".

الفصل الرابع:

مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة وادي ريغ

- المبحث الأول: الأوضاع العامة
- المبحث الثاني: مراكز الإشعاع الثقافي
- المبحث الثالث: علماء وادي ريغ

مقدمة الفصل

تطرقنا خلال الفصل الثالث على أصل تسمية وارجلان، والأوضاع الإقتصادية والسياسية للمنطقة خلال العهد العثماني، واجتهدنا للإحاطة بجميع المؤسسات العلمية والمراكز الثقافية المنشرة في المنطقة، وذكر أهم أعلامها وإنجازاتهم خلال فترة الدراسة.

وسنحاول خلال هذا الفصل تسليط الضوء على منطقة صحراوية شهدت هي الأخرى حركة علمية وثقافية مٌلفتة تستحق التشييد والتخليد، ألا وهي منطقة وادي ريغ.

تعتبر منطقة وادي ريغ عبر مر العصور والحضارات واحدة من أهم المناطق بالجزائر للعديد من الأسباب الجيوسياسية، كون المنطقة بؤرة التقاء لعديد المدن في الجنوب الجزائري، كما أنها تعتبر مصدر للثروات الزراعية كون الواحات المتواجدة بها تنتج العديد من الخيرات الطبيعية سنويا، خاصة وأن أصحاب المنطقة يعتمد أغلبهم على الزراعة كمدخول أساسي لهم، وساعدهم على ذلك وفرة المياه الجوفية القريبة من السطح والثروة الصالحة لتنوع المنتوجات الزراعية.

شهدت المنطقة ازدهارا علمياً وثقافياً خلال العهد العثماني، واضحت مركز إشعاع ثقافي هام في منطقة الجنوب الجزائري.

المبحث الأول

أوضاع منطقة وادي ريغ خلال العهد العثماني

1- أصل تسمية وادي ريغ:

لقد اختلف الرحالة والمؤرخون العرب القدامى حول أصل تسمية إقليم وادي ريغ، فقد ذكر ياقوت الحموي¹ في كتابه معجم البلدان أن "ريغ" هي كلمة بربرية معناها السبخة، و كل من كان في هذه المنطقة يسمى ريغي².

كما أشار العدواني إلى أن أصل التسمية تعود إلى رجل اسمه ريغ إذ يقول: ثم قلت له أخبرني عن وادي ريغ؟ وعن مسكنه؟ قال لي: يا سيدي ريغ اسم رجل يقال له باهوت ابن شملغ بن عب بن عاوية من ولد أندلس يافث بن نوح³، وقد سماها "ابن خلدون" في تاريخه بلاد ريغ أو "أرض ريغ" نسبة إلى ريغة إحدى بطون مغراوة⁴.

وسماها ابن سعيد ببلاد ريغ ((وفي شرقها ريغ طولها خمسة أيام و هي بلاد النخل، ومحضات ومياه... الخ))⁵.

ويرى ابن خلدون أنها نسبة إلى القبيلة الزناتية "بنوريغة" حيث يقول في هذا الشأن: "وأما بنوريغة فكانوا أحياء متعددة، ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم إلى جبل عياض... ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب و واركلا، فاختلفوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب

¹ ياقوت الحموي: هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (575هـ-626هـ)، أديب ومؤلف موسوعات وخطاط من أصل رومي اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب، سكن في مدينة بغداد حتى وفاته، ولقد سمي نفسه (عبد الرحمن). وأهم مؤلفاته ياقوت الحموي كتاب معجم البلدان الذي ترجم وطبع عدة مرات. انظر: ابراهيم عبد الغني الدوروي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد، 2021، ص 217.

² ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، (د،ط)، دار صابر، بيروت، (د.ت)، ص 113.

³ عمر بن محمد العدواني، تاريخ العدواني، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996م، ص 138.

⁴ ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج7، المصدر السابق، ص 96.

⁵ علي ابن موسى ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، (د،ط)، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص 190.

إلى الشرق ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، والأطم قد رف عليها الشجر، ونضدت حفافيتها النخيل، وانساحت خلالها المياه وزهت ينابيعها الصحراء وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد، وهم أكثرها ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة¹.

وتعتبر عاصمة وادي ريغ هي مدينة تقرت²، أي العاصمة السياسية والعسكرية، أمّا العاصمة الدينية فهي تماسين³.

تعتبر منطقة وادي ريغ خاصة مركزها مدينة تقرت، معبرا أساسيا في طريق الصحراء، وقد حظيت مدينة تقرت بزيارة عدد من الرحالة، ومكثوا فيها أياما وليالي تمكنوا فيها سبر أغوارها وأحوالها الطبيعية والاجتماعية والعلمية، فسجّلوا ملاحظاتهم عنها وعن أهلها ومشاهداتهم فيها⁴.

حيث زارها الحسن الوزان عام 1570م وقال فيها: "تقرت مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء يمر في سفحها يقطعها جسر متحرك، كما يوجد في ذلك أبواب المدن، وهي مسورة بسور من الطوب والطين ماعدا من جهة الجبل تحميها، وتقع هذه المدينة على بعد نحو خمسمائة ميل جنوب البحر المتوسط، وثلاثمائة ميل من تيكورارين"⁵.

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق، ص96.

² زناتة: تقع في الجنوب الشرقي اسمها مشتق ومنسوب لامرأة جميلة سكنتها جاءت من منطقة (أروت) وهذه المرأة تسمى "توق" فبذاك كلمة تقرت كلمة مركبة من كلمتين، أنظر: الطاهر المنصور: الدار الموصوف في تاريخ سوف، ج2، (د،ط)، مديرية الثقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2011م، ص65.

³ تماسين: تعني العين النابعة أو الجارية. أنظر: معاذ عمراي: المرجع السابق، ص112.

⁴ لغريبي نسيم، التاريخ الاجتماعي لإقليم وادي ريغ من خلال كتب الرحالة، مجلة دراسات تاريخية، مج10، ع1، مركز البصيرة، 2022/04/16، ص395.

⁵ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص135.

وفي وصفه للحالة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت عليها المدينة في ذلك الوقت حيث كانت تضم جمعا من الأغنياء الذين يملكون غابات النخيل، والنبلاء الذين ينتمون للأسرة الحاكمة ومساعدوهم من شيوخ العشائر والجند الضيافة للغرباء الوافدين عليهم¹. كما زارها الرحالة المغربي العياشي عام 1687م وقال فيها: "نزلت بتقرت وهي قاعدة وادي ريغ ومسكن أمرائها أولاد جلاب وأول من لقينا بعد النزول من طلبتها سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي² وَكَلْدُ عَالِمِ تَوَاتٍ فِي زَمَانِهِ سَيِّدِي عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِي وَهُوَ رَجُلٌ دَمَثَ الْأَخْلَاقِ، طَيِّبُ الْأَعْرَاقِ، قَدْ شَدَّ طَرَفًا مِنَ الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَلَهُ بَعْضُ الْخُبْرَةِ بِعِلْمِ الْعُرُوضِ وَقَدْ أَجْزَلَ لَنَا الضِّيَافَةَ جَهْدَهُ وَاخْرَقَ إِجْمَاعَ مَتَفَقِّهَةِ الْبَلَدِ سِوَاهُ"³.

2- موقع منطقة واد ريغ:

أ- الموقع الجغرافي:

يحتل إقليم وادي ريغ موقعا استراتيجيا في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل⁴، طوله حوالي 160 كلم ويتراوح عرضه بين 30 و40 كلم، يبتدئ شمالا من بلدة أم طيور وينتهي جنوبا بقرية قوق⁵، ويحد الإقليم من الشمال الجنوب

¹ نفسه، ص136.

² محمد بن عبد الكريم التواتي: له مشاركة في الفقه والنحو والعروض. انظر: العياشي، المصدر السابق، ص120.

³ أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية (1661-1663م)، مج1، المصدر السابق، ص120.

⁴ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، (د،ط)، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، 1999، ص1.

⁵ عبد الحميد إبراهيم قادري، التركيبة البشرية لسكان لواد ريغ أيام بني جلاب، أعمال الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، أيام 23-24 أبريل 1998، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الجزائر، (د،ت)، ص16.

الغربي لشط ملغيغ¹، ومن الجنوب ورقلة ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة ميزاب².

ب-الموقع الفلكي:

أمّا بالنسبة للموقع الفلكي لمجال الدراسة فهو يقع بين دائرتي عرض 34° و15 دقيقة شمال و32° و6 دقائق جنوبا وبين خطي طول 7° و52 دقيقة شرقا و5° و30 دقيقة غربا³،

وقد حددها إبراهيم العوامر أنها تقع بين بسكرة جنوبا من ناحية، ووادي سوف غربا من ناحية أخرى⁴.

يضم إقليم وادي ريغ عدة واحات وبلديات أهمها على التوالي أم الطيور، المغير، سيدي خليل، تندلة المرارة، جامعة، تقديدين، سيدي عمران، تمرنه الجديدة، سيدي راشد و المقارين الزاوية العابدية، تبسبست، و بني يسود⁵، تقرت، تماسين⁶، بلدة عمر⁷.

¹ شط ملغيغ: هو بحيرة الصحراء المالحة وهي جافة في الصيف تقريبا، وتلتهم أيضا مثلما تلتهم في الشتاء، إن ملحها يكون قشرة فوق البحيرة وهي ما يصفه سكان الإقليم بالجفاف، ولكن الماء يبقى دائما تحتها، انظر: هايريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر دود أبو العيد، ج 3، (د،ط)، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 م، صص 136-137 .

² معاذ عمري، أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 و 20م دراسة سياسية واجتماعية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2002-2003م، صص 08 .

³ رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي 1852-1875م، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2006-2007م، صص 12.

⁴ إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، (د،ط)، مطبعة الإسكندر، الأبيار، الجزائر، 2007م، صص 32.

⁵ بني يسود: تعتبر من إحدى الأحياء الكبرى لمنطقة تقرت، يعود مصدر تسميتها إلى أبناء الأسود، الذين قدموا من صحراء توات جنوب عين الصفاء بالغرب الجزائري، انظر: محمد الطاهر عبد الجواد: عاصمة وادي ريغ -تقرت- أيام بني جلاب، أعمال الملتقى التاريخي الثالث، فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، أيام 24 و23 أبريل 1998م، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، (د.ت)، صص 04.

⁶ تماسين: مدينة تاريخية ذات تراث روحي كبير في الموروث الثقافي الجزائري، تبعد عن تقرت 10 كم جنوبا، وهي العاصمة الثاني للطريقة التجانية، يرجع تأسيسها إلى حوالي سنة 159هـ/782م. انظر: حناي محمد، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية (1803-1954م)، رسالة ماجستير، نخ: تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الوادي، 2014، صص 1.

⁷ حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، (د-ط)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، صص 256.

3- الأوضاع السياسية في إقليم وادي ريغ:

لقد كانت العلاقة السياسية في البدايات الأولى لتأسيس إمارة بني جلاب¹ مع السلطة المركزية العثمانية علاقة تبعية، حيث اعتادت إمارة بني جلاب على دفع الضرائب إلى العثمانيين كدلالة على التبعية والخضوع، غير أنه في عهد صالح رايس شهدت العلاقات توتر بسبب تمرد الجلالة على رفض التبعية وعدم دفع الضرائب للعثمانيين، مما دفع بالسلطة العثمانية إلى إرسال أربع حملات عسكرية تأديبية على فترات متباعدة، أي بمعدل حملة عسكرية لكل قرن من الزمن، بسبب بعد مقر سلطنة بني جلاب عن مركز السلطة من جهة، ولارتفاع تكاليف هذه الحملات من جهة أخرى²، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن منطقة وادي ريغ تميزت بخاصية التمرد وعدم الخضوع والتبعية للغير منذ عهد الدولة الحفصية، حيث تعرضت المنطقة إلى حملتين من طرف السلطان الحفصي بني عمرو عثمان لإخضاعها، فالأولى كانت سنة 1449م، والثانية كانت سنة 1465م³.

واهم الحملات العثمانية التأديبية ضد إمارة بني جلاب نستعرضها كمايلي:

أ/ حملة صالح رايس⁴ سنة 1552م: سبب هذه الحملة هو استبداد الجلالة بإمارتهم بتقرت وامتناعهم عن أداء الجباية والمغرم، ويكون صالح رايس قد طلب من أهل تقرت دفع الضرائب عند وصوله إلى الحكم حتى يخضع الجنوب الجزائري للسلطة العثمانية، وأمام رفضهم ورغبتهم في الاستقلالية كان لابد من استعمال القوة. ويذكر مرمول كرنخال في المجلة الإفريقية

¹ إمارة بني جلاب: ينتسب بنو جلاب إلى بني مرين حكام المغرب الأقصى وأصحاب فاس وقد أكد هذه النسبة العدواني كما أكدها العياشي صاحب الرحلة بقوله: "وأمرء هذه البلدة وأولاد الشيخ أحمد بن جلاب وأسلافهم من بني مرين".

² محمد بن معمر، علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، تقرت، 23-24 أبريل 1998، ص 107.

³ مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القلم والحديث، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 2، ص 404.

⁴ صالح رايس: يعود أصله إلى الإسكندرية وقد تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة أثناء رحلاته مع عروج و خير الدين، وقد سبق للسلطان العثماني أن عينه على رأس أسطوله البحري، وقد وصل إلى الجزائر في نهاية أبريل 1552م، يحمل لقب بايلرباي. انظر: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القلم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 80.

أن الضريبة التي امتنع عن دفعها بنو جلاب للأتراك كانت مقابل حريتهم من العشائر العربية، أي أنهم هم الذين طلبوا الحرية التركية، ونظرا لسوء معاملة الأتراك توقفوا عن دفعها، ولكن هذا رأي مستبعد لعدم وجود حامية تركية بتقوت لهذا الغرض، ثم إن سلطان بني جلاب إنما قام بفضل هؤلاء العرب خصوصا أولاد مولات المقيمين بضواحي المدينة¹.

خرج صالح رايس في أكتوبر 1552م، يقود الحملة على رأس جيش مجهز بمدفعين ومكون من 3000 من المشاة، و1000 من الفرسان، مستعينا في حملته بصديقه عبد العزيز أمير قلعة بني عباس، وقد تمكن صالح رايس أثناء هذه الحملة من محاصرة تقرت طيلة ثلاثة أيام وإرغامها على دفع غرامة لباشا الجزائر، زيادة على ذلك تقدم السلطان الجلابي احمد بن سليمان باعتذار عما بدر منه لصالح رايس، وأمام هذا الاعتذار عمل صالح رايس على إبقائه سلطانا على الإمارة متعهدا بإخلاص التبعية للسلطة العثمانية².

ب/ حملة يوسف باشا سنة 1647م: وسبب هذه الحملة هو نفس سبب الحملة الأولى المتمثل في التمرد المستمر في عدم دفع الضرائب للسلطة العثمانية والتي كانت تتمثل في 16 عبدا من رقيق السودان سنويا³.

ج/ حملة صالح باي⁴ سنة 1788م: وقد حدثت في عهد السلطان فرحات بن عمر الجلابي بسبب استمرار عدم دفع الضرائب، غير انه تجدر الإشارة إلى أن صالح باي جاء إلى تقرت بدافع الانتقام من الجلالبة بعدما هزم في إحدى حملاته لإخضاع الجنوب الجزائري

¹ محمد بن معمر، المرجع السابق، ص 108.

² رضوان شافو، العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر (إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجا)، مجلة القرطاس، العدد الثاني، جانفي 2015، ص 151.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 481.

⁴ صالح باي: قيل أن مولده كان حوالي سنة 1725م وجاء إلى الجزائر سنة 1741م، أصله من بلد أزميز وكان رجلا عاقلا عارفا بالسياسة وأمور السلطة لأنه من الأقدمين في الأوجاق وترقى من مرتبة إلى مرتبة حتى بلغ منصب "الباي" الذي بقي على رأسه مدة 22 سنة، وكان حسن السيرة وصاحب حق، أنظر: مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، تح 7: مختار حساني، الجزائر، منشورات دحلب، 1999، ص 42.

وإلحاقه بالسلطة المركزية سنة 1785م¹، بالإضافة إلى أن الصراع بين الأسرة الحاكمة حول العرش دفع بالشيخ احمد الجلابي إلى تحريض العثمانيين على إرسال حملة عسكرية ضد ابن عمه الشيخ عمر الجلابي حاكم الإمارة آنذاك².

وعليه فعدم دفع الضريبة للعثمانيين ما كان إلا فرصة لتجديد الحملات العسكرية ضد إمارة بني جلاب، ولقد كانت هذه الحملة من اشد الحملات قساوة على الطرفين سواء الجلابية أو العثمانيين بسبب الظروف المناخية القاسية التي عرفتھا المنطقة آنذاك، حيث شهدت هذه الفترة ارتفاع درجة البرودة، وتساقط الثلوج، وكثرة تماطل الأمطار، وبسبب هذه الظروف طالت مدة حصار تقرت حوالي عشرون يوما، وأثناء هذا الحصار، عانى جيش صالح باي بسبب الظروف المناخية من جهة، وبسبب تحالف بعض القبائل بوادي سوف ووادي ريغ وورقلة لنصرة وانقاذ أهل تقرت من العثمانيين، مما دفع بصالح باي إلى التراجع والانسحاب تاركا وراءه ثلاثة مدافع³.

ومن نتائج هذه الحملة على تقرت يذكر "دوماس" أنّ صالح باي قام بقصف المدينة بالمدافع وقطع جميع أشجار النخيل المحيطة بالمدينة، وحمل على جميع قرى وادي ريغ، فالحق بها خسائر كبيرة، وقد قام الشيخ أحمد الذي أصبح سلطانا بعد أن أخضع صالح باي تقرت بتعويض خسائر الحرب بدفع الضرائب المتفق عليها، وهي مليون فرنك، وألف بوجو عن كل مرحلة قطعها صالح باي من قسنطينة إلى تقرت⁴.

د/ حملة احمد المملوك سنة 1818م: كانت هذه الحملة نتيجة لتحريض فرحات بن سعيد الراغب في القضاء على سلطنة بني جلاب وإلحاق تقرت بمشيخته، ولقد كانت هذه الحملة اشد وقعا على سكان المدينة، حيث خرب أحمد المملوك تقرت بقطع نخيلها، وتخريب

¹ محمد بن معمر، علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر، المرجع السابق، ص21.

² Daumas, op. cit, p 133.

³ ناصر الدين سعيدوني، وركات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص482.

⁴ Daumas, op. cit, p 134.

منابع ومصادر مياهها، مما جعل السلطان محمد بن جلاب يسارع إلى إرضائه وتقديم ضريبة سنوية له تقدر بـ 100 ألف ريال بسيطة، وهو ضعف المبلغ الذي كان فرحات بن سعيد وعد الباي تقديمه له مقابل حكم المنطقة، وذلك بعدما تمكن الباي من قطع حوالي 200 نخلة في مدة وجيزة¹.

واستمروا في دفع الضرائب إلى أحمد باي آخر بايات قسنطينة، لكن بمجرد سقوط مدينة الجزائر في يد القوات الفرنسية، حاول الجلالبة التخلي عن دفع الضرائب لبايات قسنطينة، إلا أن أحمد باي رفض ذلك وهددهم باستعمال القوة ضدهم إن هم امتنعوا عن أداء الجباية والمغرم².

4- الأوضاع الاقتصادية في منطقة وادي ريغ:

أ- الزراعة:

تعتبر الزراعة المورد الاقتصادي لأغلبية سكان المنطقة لأنها ساهمت في استقرار الكثير منهم بها رغم صعوبة الطبيعة الصحراوية وندرة مياه الأمطار، إلا أن الفلاحين والمزارعين استطاعوا أن يعمروها بذكائهم وذلك بواسطة استغلال واستنباط المياه الجوفية التي اكتشفوها وانشؤوا الواحات الخضراء الوافرة الضلال وبتعاقب الأزمنة واستقرار الفلاحين وارتباطهم بالأرض أصبحت المنطقة عامرة يضرب بها المثل، مما جعلها مقصدا للمهاجرين ومأوى للمسافرين والعابرين من مختلف الفئات ومحل نزول قبائل عديدة جاءت من كل الجهات، خاصة من الأقاليم المجاورة والذين أصبحوا فيما بعد يشكلون سكان المنطقة.

¹ Féraud .Charel, Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les Ben djallab de Touggourt ,in R.A , N°23, 1880, pp.80-81.

² محمد بن معمر، علاقة بني جلاب سلاطين تفرقت بالسلطة العثمانية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 22-23.

وأهم مكونات الثروة الزراعية تتمثل في النخلة التي اهتم السكان بغرسها في شكل فسائل سميت بالحشاشة وبعد غرسها تسمى بالجبارة "اللينة"¹، وعندما تكبر وتثمر تصبح نخلة²، وفي هذا الصدد يقول فون مالتسان: "إن إقليم وادي ريغ عرف بكثرة النخيل، فواحة تمرنة احتضنتنا بضلال نخيلها الشامخ... وواحة غمرة أيضا غنية بالنخيل³"، أما شارل فيرو يقول: "تضم تقرت على الجانب الغربي من واحتها قرابة الأربعة مائة ألف نخلة هذا دليل على أنها واحة كثيرة النخيل"⁴.

إن شجر النخيل يعتبر أساس العمران في إقليم وادي ريغ، إلا أن نوعية التربة والأرض التي يتميز بها الإقليم كذلك جعلها تتنوع في المحاصيل الأخرى، فالفلاحة لم تكن تتمثل في استغلال النخيل فقط بل في زراعة بعض المنتجات الاستهلاكية الأخرى في المساحات المروية من الواحة ومن هذه المحاصيل نجد: من الحبوب الذرة، الفول، ومن الخضر نجد: البطاطا، الفلفل، البصل، الجزر، الخردل، الثوم، السلق، الباذنجان، أما من التوابل لدينا الكزبرة وحبّة حلاوة، الحلبة، البسباس...، ومن الفواكه والأشجار المثمرة ينتج البطيخ بأنواعه والتين، الرمان، المشمش⁵.

أما ابن الدين الأغواطي في رحلته يقول: "تعتبر تقرت بلدة الثروة والرخاء فهي تنتج التمر والتين، العنب، الرمان، والتفاح، المشمش، وإجاص، وغيرها من الفواكه"⁶.

ب-الصناعة :

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء، الوادي، الجزائر، 1998، صص 40-41.

² عبد القادر نوح، ستارة بين أمجاد الماضي وحواضر اليوم، مطبعة مزوار، وادي سوف، 2011، ص 58.

³ فون مالتسان هينريش، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر:دودو أبو العيد، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، صص 142-145.

⁴ شارل فيرو، بني جلاب سلاطين تقرت، الجلة الإفريقية، العدد 23، 1879، ص 265.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 542.

⁶ الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي في شمالي إفريقيا والسودان والدرعية، تر:أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان-، 1990، ص 48.

عرف سكان وادي ريغ منذ القدم الصناعات التقليدية، والتي تقوم على الحرف اليدوية المحلية، فأنتجوا كل ما يحتاجونه في بيئتهم¹، فقاموا بصناعة البرانس والقشاشب والأغطية و"البخنوق" (ستار الرأس) من الأنسجة الصوفية، ومن الطين مواد البناء والأواني المنزلية وغيرها، ومن سعف النخيل وخشبه القفف والمضلات والأطباق والأقفاص... الخ، ومن الجلود تصنع قرب الماء، ومن أوبار الجمال تصنع العفافيزن "مفرد عفان"²، ولا يزال هناك الكثير من الصناعات الأخرى التي تقوم على هذه الحرف اليدوية وجميع هذه الأنشطة مخصصة للاستهلاك المحلي وللبيع معا حيث تعرض للبيع في الأسواق الأسبوعية والساحات العمومية³.

وإن كانت هناك بعض الصناعات تصدر إلى الخارج إلا أنها بقيت ضعيفة جدا مقارنة بالصناعات الأخرى التي تعتمد على المعامل الكبيرة بما في ذلك الصناعة الأوروبية⁴. وكانت تمارس هذه الحرف اليدوية في المنازل أو في المحلات الخاصة لهذا الغرض منها: الغزل والنسيج⁵، صناعة سعف النخيل، حرفة الحدادة، صناعة الفخار، وصناعة الجلود⁶.

ج- التجارة :

تعتبر التجارة بنوعها الداخلية والخارجية من أهم النشاطات الاقتصادية التي عرفتها المنطقة والتي اعتمدت عليها حتى القرن 16 م عندما تم اكتشاف الطرق البرية الجديدة.

¹ عبد الحميد قادري، تقرت البهجة قراءة تاريخية واجتماعية، مطبعة الإسكندرية، قسنطينة، 2011، ص191.

² عبد القادر نوح، المرجع السابق، ص60.

³ محمد الصغير بن العمودي، تقرت عاصمة وادي ريغ، المطبعة العصرية للوائح، تقرت-الجزائر، 1995، ص13.

⁴ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار البصائر، 1984، ص477.

⁵ عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص42.

⁶ نفسه، ص43.

والدارس للحركة التجارية بالمنطقة يمكنه معرفة الحركة اليومية والسنوية لسكانها ومدى ارتباطهم بما يدور حولهم من أحداث، فازدهار أو ضعف التجارة مرتبط بمدى قوة المدينة وخبرة سكانها ومقدرتهم على التعامل مع التجار الأجانب¹.

إن سكان وادي ريغ لم يمارسوا التجارة كحرفة أساسية، ولم يعرفوا النشاط التجاري كما عرفه جيرانهم إنما عرفوا أكثر استهلاك السلع والمواد الغذائية المستوردة التي تأتي إلى أسواقهم العامرة من طرف التجار القادمين من كل فج².

فالموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة جعلها تشكل نقطة عبور هامة للتجار، ونقطة تواصل بين البلاد الجزائرية وإفريقيا السوداء وذلك لوضعها الجغرافي ونشاطها الاقتصادي وظلت خلال الفترة العثمانية حلقة وصل وبوابة طبيعية بين بلاد المغرب الأوسط وأقاليم السودان الغربية ومعبرا حيويا تمر منه السلع وتتنقل عبره وفود التجارة بين مختلف جهات الصحراء الكبرى، ومن بينهم تجار إفريقيا (السودان) الذين كانوا يجلبون العبيد حتى أصبح سوق تقرت مثل سوق ورقلة في تجارة الرقيق³، وعموما تعد الصحراء بصفة عامة عبارة عن سوق مكتظة بالقوافل المتجهة لمختلف الاتجاهات المحملة بكل أنواع البضائع والسلع، ويذكر لنا الأستاذ مولاي بلحميسي في كتابه "الجزائر من خلال رحلات المقاربة للعهد العثماني" شهادة العياشي في رحلته إلى المنطقة إذ يقول: "بأن الناس يتعاملون بالمثقال وقيمته أربع وعشرون موزونة، كما أن منتوجات الصحراء تنحصر في التمر وحده بل هناك منتوجات أخرى مثل الحناء والفواكه والخضر والبقول واللحوم وغيرها فينفقون من أجلها ما لديهم من

¹ يمينة بن صغير حضري، الحياة الاقتصادية بمنطقة وادي ريغ، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب، تقرت، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، 1998، ص41.

² عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص41.

³ نجاح عبد الحميد، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، الوادي، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الآمال للطباعة، 2003، ص75.

الذهب وأحيانا ما يحملون من الكتب¹، وكما رأينا أن الإقليم كان نقطة عبور للقوافل التجارية كذلك كان محطة أساسية لعبور الحجيج القادمين سواء من الجنوب أو من المغرب وحتى الرحالة².

تعتبر تقرت وتماسين من أهم المراكز التجارية بالجنوب الشرقي إذ أن منطقة وادي ريغ تشكل نسيجاً اقتصادياً واجتماعياً متطوراً ونشطاً، والدليل على ذلك أنهم مع مرور الزمن استطاعوا أن يتخلوا عن طريقة المقايضة ويستعملوا النقود في معاملاتهم سواء العملة الجزائرية المعروفة حينها، أو الريال التونسي المعروف بالطريقة، والدور الإسباني بالإضافة إلى عمولة وصفها العياشي بقوله: "وأما دراهمهم فقراريط صغيرة اثنان وثلاثون منها في ربع ريالة³.

كما أن حمولة جمل من التمر كانت تشتري من طرف تجار ورقلة أو تقرت بخمسة عشرة فرنك لتستبدل بأربع حمولات من الحبوب عند نقلها إلى التل، وعندما تعود هذه الحمولات إلى المنطقة تباع مرة أخرى إلى البدو بأربع مائة فرنك " 400 " فرنك وبذلك يحال التاجر مقابل نقل البضاعة وإبدالها يربو على خمسة مئة وثمانية و ثلاثون فرنك " 538 فرنك⁴.

ومن المعروف أنه يوجد في منطقة الشرق نوعان من الأسواق هما المحلية والتي تعقدتها مختلف القبائل في أيام معينة من الأسبوع يأتيها أقرب الناس، وأخرى جهوية أشهرها سوق تقرت الذي كان يقام تحت رئاسة شيخ العرب، إذ تمتلئ هذه الأسواق بالمنتجات والمصنوعات المحلية المختلفة، وكانت لمنطقة وادي ريغ علاقات خارجية مع كل من تونس

¹ مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المقاربة للعهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 29.

² نجاح عبد الحميد، المرجع السابق، ص 80.

³ يمينة بن صغير حضري، المرجع السابق، ص 83.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، وقات جزائرية دراسات وبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المرجع السابق، ص 541.

والمغرب وبلاد السودان وطرابلس وأجاز، وكانت تحميها قبائل مختلفة أشهرها في جنوب قسنطينة، التوارق، والشعانية¹.

¹ يمينة بن صغير حضري، المرجع السابق، ص 83.

المبحث الثاني

مراكز الإشعاع الثقافي بمنطقة وادي ريغ

ظهر في منطقة وادي ريغ خلال العهد العثماني كذلك على غرار ما أسلفنا ذكر في مناطق وادي ميزاب وتوات ووارجلان عديد المؤسسات التعليمية والثقافية التي ساهمت في انعاش الحركة العلمية في المنطقة وجعلها كمركز إشعاع ثقافي بارز يستقطب طلبة العلم والعلماء على حدّ سواء، ومن أهم هذه المؤسسات الفاعلة، نجد: الكتاتيب والمساجد والزوايا، ولقد كان لهاته المؤسسات نظام تعليمي، سنذكره في الآتي:

1- التعليم في وادي ريغ:

يعود تاريخ الحركة التعليمية بالمنطقة حسب المصادر المتوفرة، إلى العهد الإباضي بها¹ أي مند نزوح الإباضيين إلى الإقليم، خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، حيث ترك بانتشار هذا المذهب الإباضي بصمات واضحة على المنطقة من الجانب الديني والعلمي، وكان من أشهر علمائه الذين برزوا آنذاك: "الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر"² الذي كان يملك سلطة روحية على سكان المنطقة من خلال تقواه وورعه وعلمه وحبه لنشر الخير وإطفاء الفتن والاضطرابات التي كانت تنشأ من حين إلى آخر بين مشايخ وقصور وادي ريغ، لكن استمرار هذه الصراعات أدى بالشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر إلى الخروج من المنطقة لمدة عام، وقد حاول أعيانها ووجهائها إرجاعه لكنهم فشلوا مما أدى بهم إلى الاجتهاد في تشكيل مجلس لأعيان القرى ثم شرعوا في القضاء على الفساد والفتن ونشر الخير بين الناس³ ولما سمع الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بهذا العمل أعجبه الأمر وقفل راجعا إلى

¹ عبد الحميد بنجاح، المرجع السابق، ص 77 .

² أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ص 436-437 .

³ رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت وجوارها للإستعمار الفرنسي 1852-1875، المرجع السابق، ص 87 .

وادي ريغ وبالضبط منطقة آجلوا (بلدة عمر)، وبدأ في تنشيط حلقة العزابة لتنظيم شؤون القرية والعلاقات الاجتماعية على أسس شرعية¹ ثم انتشرت هذه الحلقة بتفرت على يد الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن المعلي بمسجد وادي ريغ وهو مسجد الجامع الكبير بتفرت². ولما ظهر "سيدي محمد بن يحي الإدريسي" في المنطقة كما أشرنا مسبقا، وجد فكرة المجلس أو المجمع موجودة "حلقة العزابة" وبحكم أنه يتبع مذهب السنّة والجماعة أعاد بعث فكرة هذا المجلس بصيغة جديدة عرف باسم "مجلس رجال ملاح" تكون من أعيان قرى ومدائر وادي ريغ وعين على كل قرية مندوب عنه، أمثال: (سيدي راشد، سيدي يحي، سيدي علي بن كانون، سيدي سليمان، سيدي خليل، عمران) وغيرهم من هؤلاء الصالحين الذين عكفوا على إصلاح ذات البين والسعي إلى الأعمال الخيرية والدعوة إلى المشاريع ذات المنفعة العامة والمصلحة المشتركة³.

2- نظام التعليم ومراحله في إقليم وادي ريغ:

*التعليم في المدارس والكتاتيب:

من خلال ما رجعنا إليه من مراجع حول هذا الموضوع فإننا وجدنا أنّ هذا الإقليم لم يعرف المدارس المهيكلة والمعاهد المنتظمة كما عرفها إقليم وادي ميزاب وإنما عرف نظام الكتاتيب القرآنية والدروس المسجدية العامة التي عمل الأهالي على إنجاحها بأموالهم وأفكارهم وجعلوا فرصة التعليم متاحة لجميع الفئات خصوصا التعليم بالكتاب الذي كان شائعا يبدأ التعليم بالكتاب الذي لا تخلوا قرية منه وينتهي بالمسجد إذا كان به شيخ يدرس لأن التعليم بالمسجد يعود إلى مدى قدرة أهل البلد واستطاعتهم على استضافة شيخ علم والإنفاق عليه،

¹ أبو العباس بن أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، المصدر السابق، ص438.

² مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، المرجع السابق، ص 203-204.

³ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص50.

وبهذا النظام يكون الكتاب بمثابة المدرسة الابتدائية التي يتعلم فيها التلميذ القراءة والكتابة وحفظ الذكر الحكيم.

* التعليم في المرحلة الابتدائية:

طريقة التعليم هي في الكتاب السالفة الذكر، يتعلم الطفل فيها القراءة ومخارج الحروف والصلوات من قبل عريف الكتاب، الذي يساعد المعلم بتعليم الصبيان التهجي ورسم الحروف ثم ينتقل الطفل إلى حفظ القرآن الكريم آية فآية جزءا فجزءا فحزبا فحزب، مكتسبا ببعض المتون الفقهية ومبادئه العربية على يد معلم الكتاب الذي تنحصر مهمته في التحفيظ فقط ولا يلزم نفسه بالشرح والتفسير والتوضيح وعندما ينتهي من حفظ القرآن واستظهاره يكون قد قطع مرحلة تعليمية هامة يصير بعدها طالبا أو عريفا¹.

* التعليم في المرحلة الإعدادية أو الثانوية:

وهي المرحلة التي ينتقل الطالب فيها إلى حلقة المسجد وهذه المرحلة لا يحظى بها إلا أبناء الأسر الميسورة وبعض العرفاء والنجباء، يتلقى فيها الطالب التفسير والشرح على تلك المتون التي حفظها بالكتاب، حيث يتولى التعليم والتدريس بالمسجد عالم القرية في المداشر وعالم الحمي في المدن الكبيرة، أو فقيه يستقدمه الأهالي إلى قريتهم أو سكان حيهم من الجهات المجاورة بالخصوص من واد سوف أو الجريد التونسي أو أحيانا من زاب بسكرة أو من المغرب².

* التعليم في المرحلة الأخيرة:

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص50.

² موسى بن علي وعلي باسه، المرجع السابق، ص41.

وهذه المرحلة كما ذكرنا سابقا بالنسبة لإقليم ميزاب وتوات ووارجلان فهي تتم خارج الإقليم إما بجامع الزيتونة أو جامع القرويين بفاس وأحيانا بسيدي عقبة، ومن هناك يعود الرجل عالما ينتسب للتدريس والتعليم وهذه المرحلة لا يحضى بها في أغلب الحالات إلا أبناء الأسرة الغنية، وفيها يدرس الطالب سيدي خليل وشروحاته وحواشيه والمدونة والموطأ ومقدمات ابن رشد والرسالة وشرحها في الفقه والتعمق في دراسة المفتاح والبلاغة للسكاكي وديوان الحماسة في الأدب، فرما الطالب الذي يتخرج من هذه المعاهد العليا يكون أعلى من شيخه¹، أما بالنسبة لطريقة التعليم:

ففي المرحلة الأولى: يفتح الكتاب أبوابه مع صلاة الفجر، فيأتي التلاميذ الذين شأوا في الحفظ ليكتبوا في لوحاتهم من المصحف مباشرة، لأنهم سبق لهم أن رسموا القرآن إملاء، وعند طلوع الشمس يتجمع الأطفال في المحضرة أمام المعلم للكتابة عن طريق الإملاء، ويعتمد الانصراف عن التلاميذ وهم يكررون الآيات قصد ترسيخها، وكلما انتهى الطالب من كتابة لوحته يقرأها أمام المعلم لتصحيحها وتقويم التلاوة ثم يستقل مكانه لحفظها ودور المعلم بعد الكتابة هو التنشيط ومراقبة الجميع ومن جهة أخرى يكون العرفاء والنجباء قد جمعوا حولهم الأطفال الصغار لمساعدتهم على الكتابة وإقراءهم الآيات، وتنتهي هذه الفترة بين التاسعة والعاشر صباحا².

ثم تأتي **الفترة الثانية:** التي تبدأ بأذان الظهر فيجتمع التلاميذ في المحضرة: لمواصلة عملية الحفظ وكل من حفظ لوحته يتقدم إلى المعلم فيستظهر عليه ما كتبه في الصباح، ثم يقوم نحو لوحته ثم ينزوي ليقرأ في المصحف ما سيكتبه غدا .. ثم تأتي الفترة الثالثة تبتدي قبل غروب الشمس وهذه الفترة تخصص إلى تكرار الأحزاب والأجزاء التي حفظها التلاميذ وتمتد هذه

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص51.

² نفسه، ص51.

الفترة إلى ما بعد صلاة المغرب ويعمل الكتاب خمسة أيام ونصف من الأسبوع، السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء ويخصص الخميس صباحا للتكرار¹.

* طريقة التعليم في المسجد:

أمّا عن نظام التعليم المعمول به في مساجد وادي ريغ فهو أن يجلس الطلبة على شكل هلال يقابلهم المعلم وفي يد كل واحد لوحته ويستمع الكل إلى تقارير الشيخ ونقل ما في المتن وتستمر الحلقة غالبا من صلاة الصبح إلى الضحى وتبدأ الفترة الثانية المسائية بعد صلاة العصر إلى المغرب وهكذا باقي أيام الأسبوع ما عدا أيام الجمعة والأعياد، أمّا مدة الدراسة غير محددة وتتوقف على مستوى الذكاء للطلاب وقدرتهم على التحصيل ومدى إستعابهم للمواد المقررة إذا انتهى الطالب من العلوم وحفظها أجازته شيخه وسمح له بالتدريس ومنذئذ يصبح شيخا².

3- أجور المعلمين:

معلم الكتاب يتقاضى أجره من أولياء التلاميذ، فكل أسرة تدفع على ابنها سنويا كمية من التمر، مقدرة بحسب العرف المتعارف عليه بالقرية لأن الكمية تختلف من قرية لأخرى ومن عائلة إلى عائلة، وفي باقي السنة الدراسية على كل طفل أن يزود الكتاب يوميا بشيء مادي يسمى " الحاضر رمز الحضور " إلى الكتاب ويقدم أسبوعيا حصة من الحطب أو ما يعوضها نقدا أو قمحا أو تمرا ويسميها القوم ضمة الأربعاء أو حصتها فضلا عن الهدايا والعطايا التي تأتي المعلم من الأسر الكريمة في المواسم والأعياد وكلما ختم الطفل جزءا من القرآن تزين لوحته لتقدم الأسر: هدية الختمة حسب مستواها المادي ودرجتها الاجتماعية،

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص51

² نفسه، ص52.

وقد حددت الدرجات في السور الآتية : سورة الإخلاص، الكافرون، البينة، الأعلى، النبأ، الجن، تبارك، الجمعة، المجادلة، الرحمان، يس، مريم، الأعراف، وسورة البقرة¹.

أما التعليم في المسجد فهو مجاني، حيث يتقاضى المعلم أو المدرس أجره من جماعة البلاد أو العائلة الغنية التي جاءت به لتعليم أبنائها وتعمير المسجد وهناك بعض الأسر تستأثر بمعلمين ومدرسين تستأجرهم لتعليم أبنائها في بيوتها، إلا أن التعليم المسجدي لم يثمر كما أثمر وأفاد التعليم في الكتاتيب القرآنية خصوصا في العهود أو العصور المتأخرة إذ نجد أعدادا كبيرة من حفظة القرآن المتخرجين من الكتاتيب بينما لم تجد علماء أو فقهاء تخرجوا من المساجد كما هو حال الدارسين بمساجد بسكرة وسيدي عقبة وبلاد توات².

ولقد كان هذا النظام التعليمي منتشرا في المؤسسات التعليمية والثقافية وسهر عليه مجموعة من العلماء والأئمة ورجال الدين الصالحين، وتمثلت هذه المؤسسات في:

اولا: المساجد

■ مسجد السادة الإباضية القديم:

تميز هذا المسجد بمنارته التي كانت تعلوا الحي وكان هذا المسجد منبع لعلم الإباضية وادي ريغ بل امتد شعاعه إلى الخارج الإقليم، وقد كان عامرا بالعلم والعلماء من أمثال أبي بكر بن ماسكن وعبد الرحمان بن معلى الذي أسس حلقة العزابة بهذا المسجد إلا أن المسجد قد نالته يد التغيير وحول مسجد للسادة المالكية وأصبح يعرف بالجامع الكبير، بعد إعادة بنائه من قبل الشيخ إبراهيم الجلابي أما مسجد المالكية الأول زالت آثاره من الوجود على إثر عملية الهدم التي قامت بها السلطات العسكرية الاستعمارية في بناء الثكنة، وكان هذا المسجد كعبة الزوار

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص52.

² نفسه.

ومحط رحال العلماء أمثال عبد الله نجل محمد بن عبد الكريم المغيلي، محمد بن إبراهيم الفاسي التقى بهما العياشي وذكرهما في رحلته¹.

■ المسجد الكبير بتقرت:

تنقصنا المصادر التاريخية والأثرية التي نعتمد عليها لتحديد تاريخ تشييد الجامع الكبير بتقرت وهو الواقع بحي مستاوة في وسط المدينة والمسمى بجامع الجمعة، والجامع الجديد، حيث تخدم وأعيد بناؤه ولكن يرجع تأسيسه في القرن (8هـ/14م) وذلك استنادا إلى ما جاء في روايات الرحالة والمؤرخين حول تاريخ مدينة تقرت وجامعها الكبير².

فقد وصف الوزان الفاسي مدينة تقرت في القرن (10هـ/16م) بقوله "دورها مبنية بالآجر المشوى والنيئ حاشا الجامع فإنه وحده مبني بالحجر المنحوت الجميل"³، وأفادنا السيد الطاهر بن دومة وهو مدرس القرآن الكريم بتقرت (سابقا) بأن الجامع الكبير أسسه الاباضيون، عندما شردوا والتجأوا إلى الجنوب ثم شيد المالكيون مسجدا بجانبه⁴.

وتفيدنا كتب التاريخ بأنه ظهر في العهد الحفصي بمنطقة وادي ريغ أمير مغربي وهو سليمان الجلابي المريني من مدينة فاس، فاستقر في تقرت بعد رجوعه من الحج إلى بيت الله الحرام، وأسس مسجدا، ثم تمسك به سكان المنطقة، لا سيما أولاد مولاة، والدواودة، ونصبوه حاكما عليهم وهو جد أسرة بني جلاب التي حكمت تقرت إلى غاية (13هـ/19م) وقد يكون مسجده هذا هو الجامع الكبير الذي تهدم أثر هجوم صالح باي على تقرت (1202هـ/1788م) ثم أعيد بناءه سنة (1220هـ/1805م)، وجاء في كتاب العدواني

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة قراءة تاريخية واجتماعية، المرجع السابق، ص 94-95.

² عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، كنوز الحكمة، تلمسان، الجزائر، 2011، ص 178.

³ الحسن بن محمد لوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: حجي محمد والأخضر محمد، مج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص 135.

⁴ عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، المرجع السابق، ص 187.

"إن حاجا مرينيا استهل السلطة في إمارته بتأسيس مسجد في تقرت، وهذا المسجد هو الذي تهدم وسيد في مكانه الجامع الكبير، ولم يبقى منه إلا المئذنة التي قاومت الكوارث الطبيعية وقذائف صالح باي¹.

وأضاف فيرو Féraud أنّ رجلا من بني مرين كان يسكن مدينة فاس وبعد رجوعه من الحج، استقر مع أسرته وأتباعه في تقرت وتماسين، وعاش في سلام إلى غاية سنة (735هـ/1334م) وهو جد بني جلاب، الذين أسسوا الجامع الكبير، وكان هذا الجامع هو المبنى الفريد من نوعه، ليس فقط في وادي ريغ، بل في كل الصحراء القسنطينية².

وقد جلب له البناؤون والنحاتون من منطقة نفطة وتونس والوادي فكان في غاية من الروعة، خاصة قبته المنمنمة ومحرايه المزخرف، ومنبره المنقوش بآيات قرآنية وبتاريخ صنعه حيث حفر على جدارية رخامية، مرصعة فوق مدخل قاعة الصلاة، نص متابة تتوزع على سبعة أسطر كالتالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

كامل بناء هذا المسجد الأعظم بحول الله.

وحسن عونه على يد من أسس بناءه بتقوى.

من الله ورضوان الأمير الأسعد.

الاهني والأرشد قاصدا به وجه الله الأكرم.

¹ رشيد بورويبة، مدن مندثرة، سلسلة فن وثقافة، العدد 13، الجزائر، 1981، ص ص 68-118.

² شارل فيرو، بني جلاب سلاطين تقرت، المجلة الإفريقية، 1879، ص 366.

الشيخ إبراهيم بن المرحوم الشيخ أحمد بن محمد بن جلاب سنة 1220 عشرين ومائتين وألف وبالله التوفيق¹.

وجاء في نص كتابة، حفرت على منبر الجامع نفسه ما يلي: "جدد هذا المنبر الشيخ الذي اسمه إبراهيم... وهو ابن جلاب ... فتم بعون الله في آخر صفر سنة 1219 ميرس بالرمز قد نفهم المعنى"².

لقد حدد النص الأول تاريخ تجديد الجامع وهو سنة (1220هـ/1804م) وحدد النصف الثاني تاريخ تجديد المنبر وهو سنة (1219هـ/1805م)، كما حدد هذان النصان اسم مجددهما وهو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن جلاب تكفيرا عن الذنب الذي اقترفه في حق أخيه الذي قتله عن طريق الخطأ، وعن الظلم المسلط من الرعية، تم تخريبه في عهد سيدي محمد بن يحيى. وحسب رواية السيد الطاهر بن دومة أنه بعد أن تهدم الجامع بقذائف صالح باي أمر سلطان تقرت، بتحويل جامع المذهب الاباضي المجاور للجامع المهدم، إلى جامع على المذهب المالكي³.

يُعدُّ هذا المسجد من أقدم المساجد التي مازالت قائمة إلى يومنا هذا حيث يعتبر كعبة لزائرين ومكان رحال علماء أجلاء أمثال عبد الله نجل عبد الكريم المغيلي ومحمد بن إبراهيم الفاسي، حيث كان المسجد يشع على تقرت بنوره الذي يضيء بالعلوم الشرعية من فقه وأصول وعقيدة على أيدي شيوخ وفقهاء يشهد لهم بالعلم.

¹ هذا ما جاء في لوحة الرخامية أثناء تدشينه. انظر الملحق رقم: 001

² رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، الجزائر، 1979، ص ص 232-233.

³ عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، مرجع سابق، ص 181.

■ مسجد سيدي العابد:

يعد مسجد سيدي العابد من أقدم المساجد العتيقة في مدينة تقرت، يقع هذا المسجد في جنوب شرق الحي العتيق بقصر الزاوية العابدية¹، حيث يتربع هذا القصر على 8.25 هكتار²، حيث يتواجد ضمن النسيج العمراني المتراص لمنازل القصر العتيق يقربه مسجد سيدي لخضر جنوبا ويقابله الطرق وغابات النخيل، تمت تسمية هذا المسجد نسبة إلى سيدي العابد القادم من سجلماسة من المغرب الأقصى³.

ومن المعروف أن في هذا الزمان كانت تنسب المساجد إلى الأشخاص الذين لهم أثر على الناس أو كانوا أولياء صالحين والذي يعتبرونه كجزء من عملهم لتبليغ الرسالة الإسلامية وتيسير الشعائر الدينية⁴، وكان تسمية المسجد بعد وفاته. حيث ظهرت على سيد العابد سمات الرجل المتعبد الصالح فأطلق السكان سيدي العابد على المسجد لما رأوه منه⁵.

يحتل المسجد مساحة تقدر ب 420م²، له مدخلين بالجهة الشمالية والجهة الجنوبية، والمدخل الرئيسي هو الجنوبي، به المجال التمهيد أو ما يعرف بالسقيفة، ومنه تأتي ساحة المسجد وهي على شكل مستطيل غير مغطاة حيث توزع الساحة إلى مجالات عدة منها قاعة تحفيظ القرآن وكذا قاعة الصلاة و غرفة الضريح والسلم وكذا الدكان ، وتتميز جدران المسجد بالخشونة ودليل على ذلك تحملها لمختلف الظواهر الطبيعية ، أما قاعة الصلاة فهي أيضا

¹ الزاوية العابدية: هو اسم البلدية، حيث كانت تُسمى سابقا بلدة سيدي العابد، وبعد التقسيم الإداري لسنة 1984م أصبحت البلدة - بلدية - فتحول إسمها إلى بلدية الزاوية العابدية، فهي تقع في الشمال الشرقي لتقرت. انظر: عبد القادر الموهوبي الساتحي الإدريسي، المرجع السابق، ص 68.

² عبد القادر الموهوبي الساتحي الإدريسي، المرجع السابق، ص 67.

³ محمد الحاكم بن عون، أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة (1336-1403هـ / 1918-1982م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، علم المخطوط العربي، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011، ص 84.

⁴ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 128.

⁵ عبد القادر نوح، ستارة بين أمجاد الماضي وحواضر اليوم (تاريخ وحضارة)، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2011، ص 176.

مستطيلة الشكل يبلغ طولها 11 متر وعرضها 9 أمتار¹، يتواجد بقاعة الصلاة مدخلين أحدهم في الجهة الجنوبية والأخرى في الجهة الشرقية لقاعة الصلاة، حيث تحتوي على تسع أعمدة مبنية بنظام العقود المتقطعة، وفي الجهة الشرقية من داخل قاعة الصلاة بها محارب وقبة تتوسط المسجد².

إضافة إلى ذلك يتميز بالقباب فمنها المتقطعة مثل الموجودة في قاعة الصلاة ومنها الدائرية كالتى تتوسط المسجد وكذا الضريح³.

■ مسجد سيدي فتية:

يقع هذا المسجد في بلدية النزلة⁴، من الجهة الشمالية الشرقية لبلدية النزلة قرب حديقة المرابطين من الجهة الجنوبية، وتمت تسميته بسيدي فتية نسبة إلى جدهم سيدي فتية المدفون بالقرب منه الموجود في حي النزلة في الجهة الشمالية⁵.

تأسس على يد الرجل سيدي فتية في القرن 17م وكان منذ قيامه مدرسة قرآنية يتعلم فيها أبناء حي النزلة، فإذا كانت العائلات بالنزلة لا تخلوا من حافظ للقرآن فإن الفضل يعود إلى هذا المسجد المتواضع القائم بقبضة النزلة ومن العلماء والفقهاء الذين لازموه وجاهدوا في نشر القرآن وتفسيره للطلاب الشيخ الأخضر النيلي مفتي النزلة وفتيها الذي عاش في أوائل

¹ عبد القادر نوحه، المرجع السابق، ص 33-34.

² نفسه، ص 35.

³ يعتبر هذا الضريح نوع من أنواع الأضرحة الجمعة و التي يكون بها قبر ولي أو شخص كان على إحدى الطرق الصوفية واشتهر بها و يكون ذلك داخل غرفة، والحق فيما بعد بجامع أو زوايا أو غير ذلك كما هو ضريح سيدي العابد. انظر: الطاهر بوناني، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط (دراسة في الحركة الصوفية خلال العصر الوسيط)، ج 4، سلسلة الكتب الأكاديمية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017، ص 125.

⁴ النزلة: هي إحدى أحياء قصر مستاوة الخارجة عنه وتمّ تسميتها بالنزلة لأنه كان مكان نزول القوافل والتقاها للتبادل التجاري، يعود تاريخ إنشائها إلى الفترة التي قبل إنشاء قصر مستاوة. انظر: عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي الحسني، المرجع السابق، ص 66.

⁵ أحمد خوضر، تقرت بين الحقيقة والأسطورة والمغالطة، د.ط، دار الخلدونية، الجزائر، 2019، ص 49.

القرن 19م ثم الشيخ البشير بالنور عالم تقرت وفتيها في زمانه الذي خلف الشيخ الأخضر وانتصب للتدريس وتحفيظ القرآن لأبناء الحي مجانا¹.

يتربع المسجد على مساحة تقدر بحوالي 800 كلم²، وللمسجد أربع واجهات على قصر النزلة القديم أما الواجهة الرئيسية فهي في الجهة الشمالية منه ، يحتوي على قاعة لصلاة ذات مساحة تقدر ب 108 كلم² ولها محراب في جهة القبلة إضافة إلى قبة صغيرة في الجهة الغربية من القاعة وتحتوي هذه القاعة على حوالي تسع أعمدة، إضافة إلى ذلك غرفة الضريح التي يتواجد بها سيدي فتية وبجانبه خادمه وكذا زوجته وابنه الصغير، إضافة إلى صحن بداخل المسجد من أجل الصلاة وكذلك قاعة لتعليم القرآن².

■ مسجد سيدي خليل:

أسس هذا المسجد أبو بكر شريف الذي كان له الفضل في تعليم القرآن الكريم وتبصير الناس بأمور دينهم من فقه ومعاملات وجاء بعده ومبادئ العلوم الشرعية، ثم جاء بعده سيدي أحمد الصغير الذي تولى الإمامة فيه إلى أن انتقل إلى تمرنة، وقد تحول هذا المسجد إلى مزار، بجانب ضريح صاحب القرية، عندما تحولت القرية من مكانها إلى الشمال الشرقي، وعندها تم بناء مسجد جديد³.

■ مسجد القبة الخضراء :

تأسس هذا المسجد على يد الشيخ الحاج علي التماسيني مؤسس الطريقة التجانية، وقد عرف بهذه التسمية نسبة إلى القبة الخضراء المصنوعة من القرميد الأخضر، والذي تم استيراده من منطقة نفطة بتونس ويعتبر المسجد صرحا علميا نظرا لتوافد طلبة العلم عليه من كل مكان

¹ عبد الحميد قادري، المرجع السابق، ص262.

² أحمد حوضر، المرجع السابق، ص111.

³ عبد الحميد قادري، المرجع السابق، ص262.

من أجل تعلم القرآن والعلوم الشرعية كالفقه والتفسير¹، لأن الوظيفة التعليمية هي الأساس الذي أسس من أجلها المسجد إضافة إلى الوظيفة التعبدية².

وأما القبة الخضراء فهي مصنوعة من القرميد الأخضر، وتتميز بالشكل السداسي الأمر الذي ميز المسجد عن غيره من مساجد المنطقة أما الأبواب فهي مستوردة من تونس وذات نقوش وزخارف فنية رائعة، وهي الزخارف التي تظهر النمط التونسي وتؤكد عمق التواصل الثقافي بين المنطقة ومختلف مناطق المغرب العربي³، أما عبد الحميد قادري في كتابه التعريف بوادي ريغ ذكر بأنه أُسس عام 1804م⁴.

■ مسجد سيدي قاسم:

أُسِّسَ هذا المسجد بتبسيبست بعد وفاة الولي الصالح سيدي بلقاسم حيث يقال أنه شريف أتى من دندوقة نواحي المغير⁵ وكان عهده عهد الجلالبة أشتهر بالصلاح، تأسس في القرن 16م وكان من أبرز المساجد التي خدمت القرآن الكريم ونشرته على أيدي رجال صالحين تفرغوا لهذه المهمة النبيلة وأول من صلى الجمعة في المسجد هو الطالب أحمد عرعار ثم الطالب أحميدة قرميط ثم ابنه الطاهر قرميط وبعده محمد السعيد عرعار ثم الشيخ محمد الطاهر بن دومة⁶.

¹ عبد القادر خليفة، تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالجال العمري في مدن الصحراء الجزائرية "دراسة سسيو أنثولوجيا لمدينة تقرت وادي ريغ"، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2010-2011م، ص150.

² عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، مرجع سابق، ص118.

³ محمد بغداد، تماسين جوهرة الصحراء، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2010م، ص85.

⁴ عبد الحميد قادري، المرجع السابق، ص49.

⁵ المغير: هي إحدى مدن إقليم وادي ريغ، بالجهة الشمالية منه حيث انبثقت عن مدن قديمة كانت واقعة بالقرب من شط مروان، حيث كانت تسمى بإحدى الأسماء البربرية، انظر: عبد الحميد إبراهيم قادري، سنوات البارود بمنطقة المغير، مديرية الثقافة، الوادي، 2014، ص10.

⁶ موسى بن علي وعلي بله باسي، الحياة العلمية لسكان الجنوب الشرقي الجزائري أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص38.

يُعدُّ هذا المسجد اللبنة لأولى لحاضرة تبسبست وهو من جمع سكانها، وعرف أيضا بأنه كان السبب في تأسيس حضرة الرجال الملاح¹.

ومما عرف على هذه الحضرة² هي حفر قناة وادي ريغ على طول إقليم وادي ريغ من فوق إلى المغير³، وتمت عن طريق عادة من عادات سكان وادي ريغ تعرف بالتوزيع⁴، حيث يتم تحديد اليوم ويأتي ناس بمختلف شرائحهم رجال وشباب ونساء وأطفال فكل يقوم بدوره، وتُبرز ملامح التعاون الاجتماعي بينهم وتتعالى أصوات المديح الدينية، هكذا تم حفر قناة وادي ريغ التي لازالت إلى اليوم⁵. إضافة إلى ذلك ينسب إلى سيدي قاسم الملحون الذي تنشده عامة الحضارة اليوم وهو:

عَايِرُونِي بِيكَ عَايِرُونِي بِيكَ*** يَا يَحْيَى بِلْقَاسِمِ طَاحِ الْكَلْمِ عَلَيْكَ⁶.

حيث تعتبر كإحدى العادات التي احتضنها الصوفيون وصبوا فيها كامل تصوراتهم عن الحياة الدنيا والآخرة، ويعود له الفضل في جلب المياه من النزلة بمنطقة تسمى بالحمامة⁷، يحتوي المسجد على ثلاث واجهات فالجهة الشمالية والغربية بهما مدخلين رئيسيان لدخول

¹ الرجال الملاح : تسمى أيضا بلغة البربر "أريازان دو اصبيح" ، حيث ظهرت هذه التسمية ابتداء من القرن الثامن الهجري، حيث كان سكان الواحات يغدون في كل عام لزيارة الولي الصالح "أبي حنية" بقرية قوق التي تبعد حوالي 25 كلم على تبسبست وهي بداية وادي ريغ وذلك في فصل الخريف، حيث كان بها أناس مفكرين حيث يستخدمون ذلك اليوم في صالح العام و ينتخبون على كل بلدة صالحها من أهل الزوايا أو المستظهرين للقرآن الكريم ، وعند انتهاء هذه الزيارة يجتمعون ببطحاء تبسبست حيث يجلس صالحون وينادي بمناذيرهم ويقول هل من مظلوم...؟.ويدلي كل من له حق بحقه فلم تزل هذه العادة سنة 1840 م، فبعدها انقرضت و دخلت فيها الانحرافات و تغير اسمها و أصبح "لآلة مليحة". انظر : محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص ص 79-81.

² الحضرة: لغة هي كلمة مشتقة من الفعل حضر وهي نقيض الغيب، أما اصطلاحا فهي تكل جمع غفير من الناس فمنهم من يأتي من أجل الفرجة ومنهم من يأتي من أجل التبرك بالأولياء الصالحين. انظر: أبي الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج3، (د، ت، ص)، ص36.

³ عبد القادر نوحه، وادي ريغ في مشبك الأحداث ببلاد المغرب، ط 1، مطبعة مزوار، الوادي، 2016، ص54.

⁴ عبد الحميد إبراهيم قادري، وادي ريغ تاريخ وأجداد جزائرية، المرجع السابق، ص 217.

⁵ عبد القادر نوحه، المرجع السابق، ص55.

⁶ محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص145.

⁷ سفيان بالحبيب، المرجع السابق، ص46.

المصلين، أمّا المدخل الذي بالجهة الجنوبية فهو صغير وغير رئيسي، حيث يتربع على قاعة لصلاة ذات شكل مربع، وبه قاعة لتحفيظ القرآن¹.

■ مسجد سيدي لخضر (بتسبست) :

تأسّس في النصف الأول من القرن 17م على يد الشيخ الأخضر بن عطاء الله بن نصر الله نزيل تقرت الذي انتقل منها إلى الزاوية حيث أسس هذا المسجد الذي سمي باسمه ومنذ تأسيسه وهو يؤدي رسالته كمدرسة قرآنية وإقامة الصلوات الخمس وكان كعبة لطلاب العلم وقد تعاقب على عمارته عدد من القراء والصالحين أمثال الطالب بوعمه الإمام والمعلم والشيخ أحمد السايح الذي تولى الإمامة وتدرّس علوم القرآن الكريم من تحفيظ وتفسير².

يقال أن سيدي لخضر كان مدرسا بالمكان الذي يوجد به ضريح سيدي بايبة بمقبرة تسبست ويحضر إلى دروسه رجال أفاضل منهم سيدي محمد بن يحيى ويتواجد سيدي لخضر بوسط مساكن أولاد زائدة بتسبست وله ضريح هناك كما له ضريح ببلدية الزاوية العابدية وذلك عند موته وقع نزاع بين الطرفين منهم من يقول دفن في تسبست ومنهم من يقول بالزاوية العابدية ولعل السبب في هذا النزاع يدل على صلاحه فكل منهم يريد التبرك بقبره (كما هو الشأن المعروف في ذلك العهد، عهد المبالغة في الاعتقادات الفاسدة وخلو الواحة من العلماء المتشبعين بالشريعة السمحاء³، أما المسجد الكبير بمدينة جامعة كان محل إشعاع للقرآن الكريم والعلوم الدينية حيث درس فيه الفقيه الشيخ الحشاني بن العمري مبادئ العربية⁴.

¹ محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 145.

² عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت، الآمال للطباعة، الجزائر، 1998، ص ص 49-50.

³ محمد الطاهر بن دومة، مذكرة أخبار تاريخية لمدن وادي ريغ، تقديم عبد الجواد محمد الطاهر وبيكري محمد السعيد، المطبعة العصرية للواحات، تقرت، 1415هـ/1995م، ص ص 15-21.

⁴ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص 19.

■ مسجد سيدي محمد بن يحيى:

كان هذا المسجد بمثابة دار للتشاور يجتمع فيه الأعوان والقضاة للفصل في قضايا السكان ومنه تصدر الأوامر والمواعظ، التي تصلح من شأن أهل الإقليم بالإضافة إلى وظيفة التدريس والتفسير من علماء وفقهاء يأتون من كل فج، والذي يؤسف له أن هذا المسجد توقف عن نشاطه العلمي وتحول إلى مزاراة يزورها النساء والمريدون للتبرك أو المعاينة السياحية¹.

■ المسجد العتيق (الجامع الكبير أو مسجد القصر) بتماسين:

هو أكبر جامع بالمنطقة تأسس سنة (613هـ/121م)، القرن 18م تحت إشراف معمر بن الحاج علي التماسيني التجاني والحاج محمد السبع المعروف بابا عيسى². كان طوله في بادئ الأمر لا يزيد عن عشر أمتار، فقام السكان بتوسيعه من خلال شراء بعض المنازل المحيطة به، وتم إعادة بناءه سنة (1309هـ/1892م)³. كان المسجد يضم 45 قبة منها قبتان مميزتان إحداهما تبرز في المدخل للجامع أما المحراب والمنبر فنقش بأشكال هندسية ونباتية باللون الذهبي وكتبت عليها آيات قرآنية بالخط العربي المميز ويحتوي الجامع على منبر تاريخي مما يجعله تحفة نادرة⁴.

■ جامع الجمعة بتمرنة القديمة:

يسمى أيضا بالمسجد العتيق، ويعد أول مسجد في القصر، يعود بناءه إلى بداية القرن 10هـ، يقع في الجهة الشرقية من القصر، تحيط به المباني والدكاكين والبيوت، يجمع المصلين في كل صلاة، يبلغ طوله حوالي 18 متر وعرضه حوالي 08 متر، أما عن مواصفاته الأمامية فهو يحتوي على ثلاث نوافذ مربعة الشكل، مصنوعة من الخشب فيه دكانة للراحة وتلاقي

1 نفسه، ص 49.

2 عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص 49.

3 سي علي بن محمد، أعلام وأختام، ج 1، مطبعة SIB، كوينين، الوادي، الجزائر، 2013، ص 25.

4 محمد بغداد، تماسين جوهرة الصحراء، مرجع سابق، ص 84.

الناس، كما يجلس فيها الإمام من أجل التشاور وحل مشاكلهم والحكم فيها، ومن الجهة الجنوبية المؤدية لباب خوخة يوجد باب¹.

■ مسجد باعيسى بتماسين:

بالرغم من غياب المراجع التاريخية التي تحدد التاريخ المحدد لبناء هذا المسجد إلا أن جل الآراء تجمع على انه يعد من أقدم المساجد في قصر تماسين ودليلهم في ذلك هو كون تسمية المسجد باعيسى تسمية ميزابية والمسجد كان يحتوي مئذنة بنيت على الطراز الاباضي، ويحتوي المسجد احدى وعشرون قبة².

■ مسجد سيدي الحاج علي بتماسين

كان محل تقديس ومربط للمريدين، تعاقب على هذا المسجد علماء أجلاء وشيوخ من وادي سوف ونفطة وتوزر³.

■ مسجد عبد الله المغراوي (بتماسين)

بني هذا المسجد من طرف الحاج عبد الله المغراوي، وهو أحد الأشراف القادمين من المغرب الأقصى بالضبط من منطقة مغراوة، ونسبه يعود للأسرة الإدريسية إلى سنة 1192م، وإليه نسبت تسمية المسجد ولا يزال جثمانه وجثمان بعض أبنائه مدفون بالمسجد نفسه⁴.

تنقص عندنا المصادر التاريخية التي يمكنها أن تحدد لنا تاريخ تأسيس المسجد الموجود بقريّة تماسين التي تقع على مسافة عشر كيلومترات جنوب تقرت والمسجد نفسه لا يعطينا فكرة واضحة عن تاريخ تشييده، لكننا نجد أنّ عبد الحميد قادري في كتابه التعريف بوادي ريغ

¹ يمينة حضري بن صغير، قصور وادي ريغ "تمرنة أنموذجا" ما بين القرنين 13-19/14-19م، اطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2013/2014م، ص.ص 309-310.

² جابو جمعة، سحر تماسين للؤلؤة وادي ريغ، دار الشباب تماسين، 2008، ص.11.

³ مختار حساني، المرجع السابق، ص.207.

⁴ عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، ص.182.

يحدّد مؤسسه وتاريخ تأسيسه قائلا: "أسّس هذا المسجد الحاج عبد الله المغراوي عام 1792م"¹.

حيث قال سعد الله: "وقد استطاع العياشي أن يعاين جامع تماسين (قرب تقرت) وأن يسجل أن له صومعة عالية جدا تبلغ حوالي مئة درجة وأن يشاهد عليها اسم بانيها، وهو كما قال أحمد بن محمد الفاسي سنة (817هـ/1414م)².

وقال حسين مؤنس "ومن أجمل مساجد هذه النواحي، مسجد تماسين في ناحية تقرت، المشهورة بجمالها ومناعتها، فهنا نجد مساجد مبنية من اللبن المقوى بجدوع النخل، ولكل مسجد منها مئذنة تشبه في تخطيطها العام هيئة مئذنة مسجد عقبة في القيروان أي أنها مكعب طويل، يزينه في أعلاه جوسق، تعلوه قبة صغيرة والمئذنة مزخرفة في أعلى بدئها، بأشكال هندسية مصنوعة من قوالب اللبن، موضوعة بأشكال مختلفة"³.

وقد ورد في قول ابن خلدون: "إن تماسين بلدة العلم والعلماء منذ زمن ثم بعد مدينة تقرت بلدة تماسين وهي دونها في العمران والخطة..."⁴، وأهم ما يميز منارته التي بنيت سنة 1196م من قبل البناء أحمد بن محمد الفاسي المغربي، والذي يقال عنه أنه هو من قام بتحويل تماسين من أسفل إلى أعلى التلة، والتي يبلغ ارتفاعها حوالي 21 متر ومازالت شاهجة إلى يومنا هذا، وهو يتربع على مساحة غير منتظمة حسب قانون عمراي لبلدية تماسين 153.72م.

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص50.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص177.

³ حسين مؤنس، المساجد، الكويت، 1981، ص233.

⁴ عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج7، المصدر السابق، ص96.

أما صومعته فهي تتكون من مائة درجة وورد في المصادر أنها بنيت بمواد جلبت على الإبل ومن أماكن متعددة، الجبس من الحجيرة والأعمدة والآجر من منطقة الجريد بتونس والصخور من ضواحي البلدة وعلى هذا الأساس اعتبرت النموذج الأبرز في تمازج الهندسة المعمارية المغاربية¹.

ثانيا: الزوايا

إلى جانب المسجد، نجد أنّ الزوايا تحتل مكان الصدارة بين المؤسسات الثقافية من ناحية تثقيف أبناء الشعب في بلاد وادي ريغ²، وكان بناء الزاوية يختلف عادة عن بناء المسجد والمدرسة، فالزوايا غالبا ما جمعت بين المدرسة والمسجد والمنزل، وهي الجملة قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرضات القليلة النوافذ وإذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب دون مئذنة، فالزاوية من الناحية الهندسية جميلة بالإضافة إلا أنها كثيرة الرطوبة والعتمة وشكلها يوحي بالعزلة والتقفش والهدوء³، ولقد لعبت الزاوية في الريف دورا أكثر إيجابية منه في المدينة⁴ وتثبت العديد من الإحصائيات إن عدد الزوايا كان يفوق بكثير من عدد المساجد وغيرها من المؤسسات الثقافية، وقد أخذت الزوايا مظهر إمارة مستقلة وأصبح لها نفوذها الواسع على السكان⁵ وقد صنفت الزوايا إلى صنفين أساسيين: عرف الأول بالخلواتي يدعى فيه شيوخه المعرفة بالأسرار الدينية الغيبية الخاصة حيث يعرضون على أتباعهم أذكار خاصة في صلوات معزولة ومحدودة تعرف بأذكار الورد بعد صلوات العصر والمغرب والصبح ويعرف شيوخ أصحاب هذا الصنف من الزوايا بالطريقين، أما الصنف الثاني من الزوايا فقد عرف بأنه غير

¹ عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، المرجع السابق، ص183.

² حسين رضوان، نفحات في مطهرات النفوس وروض القلوب المستطاب، المكتبة المصرية، القاهرة، دس، ص35.

³ اندري بريان وأندري نوشي وأين لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح ومنصف عاشور، المطبوعات الجامعية، 1984، ص211.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص270.

⁵ عشراي سليمان، الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضريّة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص57.

خلواتي، وأعدوا لأتباعهم وردا معينا من الأذكار تتلى عقب الصلوات ويهتمون بتعليم القرآن الكريم وتلاوته وتدرّس بعض العلوم الدينية واللغوية¹، وكنماذج للزوايا التي قامت بخدمة اللغة والدين في وادي ريغ نذكر منها:

■ الزوايا الفردية (العائلية):

وهي تلك الزوايا التي أسسها رجال صالحون أتقياء أوقفوا أموالهم لخدمة العلم وتحفيظ القرآن الكريم وإطعام الفقراء والمساكين وعابري السبيل والمحتاجين، ومن هذه الزوايا:

■ زاوية تماسين التجانية:

عرف تاريخ الأمة الإسلامية رجالا صالحين وجدوا أن العلم هو السبيل الوحيد لإخراجها من التخلف والجمود لتمكينها من اللحاق بركب الحضارة، فأنشئوا لذلك المؤسسات والمراكز التي تخدمها وتصلح حالها، من ضمنها الزوايا التي تعتبر قطبا دينيا ومنارة علمية ومؤسسة اجتماعية، من بين هذه الزوايا التجانية بتماسين لمؤسسها الحاج علي التماسيني، فمن هو مؤسس الطريقة؟ وكيف تأسست زاوية تماسين؟

التعريف بمؤسس الطريقة وكيفية تأسيسها

الشيخ الإمام التماسيني هو أبو الحسن الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني، نسبة إلى تماسين من أرض الجريد ابن الحاج بن محمد الصغير بن محمد بن موسى بن يحيى بن إسماعيل بن محمد بن احمد بن علي بن حسن بن القاسم المشهور بالزراع بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن احمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن

¹ أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954، ص22.

المثنى بن الحسن السبط بن مولانا علي كرم الله وجهه زوج السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم¹.

ولد الحاج علي التماسيني سنة (1180هـ/1799م) وكان رابع إخوته وأصغرهم سناً²، وقد نظم الشيخ حقي محمد السائح نسب الشيخ الحاج علي التماسيني في قصيدة مطلعها:

يَاسَاتِلًا عَن نِسَبِ أَوْلِيَّيْ *** غَوَّثَ أَلُورَى عَلِي التَّلْمِسَانِي³.

تزوج سيدي الحاج عيسى بامرأة من قرية تماسين المسماة فاطمة بنت الزين، وبني لنفسه منزلاً ليسكنه خارج سور تماسين، وقد نشأ في بيئة مشبعة بالورع والتصوف وحفظ القرآن، عرف منذ صغره بالدب وكمال التقوى ومكارم الأخلاق والميل إلى العزلة والعبادة، كما عرف الشيخ الحاج علي التماسيني بالعفاف والميل إلى الانزواء بنفسه⁴.

وتعد الزاوية من أكبر وأهم الزوايا بالعالم العربي الإسلامي وذلك لدورها المحوري الكبير الذي لعبته منذ تأسيسها ومن ذلك الوقت وهي تشهد توسعات كبيرة بفضل خلفاء مؤسسها التي بدأها الشيخ سيدي محمد العيد 1875/1815 الذي قام بتأسيس المسجد الجامع (سيدي الحاج علي التماسيني) وبناء القبّة، (ضريح والده) سنة 1868 والمدرسة القرآنية لتحفيظ القرآن. لقد بلغ نشاطها العلمي والفكري شهرة واسعة في الجزائر وخارجها وقد درس فيها الكثير من العلماء من داخل وخارج الوطن وقد أعطت الزاوية مركزاً مهماً لمنطقة تماسين حتى أصبحت العاصمة الروحية للإقليم، فمنذ نشأتها وهي محافظة على حلقات الذكر المعروفة في الطريقة التجانية "الوظيفة والهيلة والقراءة الجماعية للقرآن الكريم من قبل مشايخ وعلماء

¹ محمد الحجوجي الحسني، إتخاف أهل المراتب العرفانية بذكر رجال الطريقة التجانية، ج1، محمد الراضي، دار كنون، دت، ص200.

² الصادق بن أحمد العروسي التجاني التماسيني، العرف الريحاني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني، إرجمة أحمد العروسي التجاني، المطبوعات الجميلة، 1436-1437هـ/2015م، ص7.

³ التجاني محمد السائح، قصيدة الأرجوزة، مخ، النسخة الأصلية، الزاوية التجانية، تماسين.

⁴ الصادق بن أحمد العروسي، المرجع السابق، ص7.

أصلاء وزوار ولا تزال، لقد لعبت الزاوية التجانية بتماسين بأدوار مهمة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي مثل إصلاح ذات البين وسد حوائج الناس والشفاعات مساعدة الفقراء والمحتاجين فهي معلم دينيا وثقافيا واجتماعيا¹.

أصيب الشيخ الحاج علي التماسيني بمرض في آخر حياته، وتوفي يوم الثلاثاء 23 صفر 1260 هـ الموافق ل 12 مارس 1844م، ودفن بزوايته بتملاحت².

■ **الزوايا الجماعية أو التضامنية:** وهي التي أسسها الأهالي واعيان البلاد باسم المساجد فأوقفوا لها الأوقاف وأسسوا لها أملاكاً وعقارات منها:

■ **الزاوية الخيرية:** وهي تلك الزاوية الخيرية التي أسسها الأهالي واعيان البلاد باسم المساجد فأوقفوا أراضي عقارية وممتلكات.

■ زاوية سيدي خليل

تأسست على أيدي جماعة القرية في القرن التاسع هجري باسم المسجد، فتحت أبوابها لعباري السبيل ومساعدة الفقراء من البلد والنفقة على معلمي القرآن الكريم ودفع أجور العلماء والفقهاء الذين يدرسون الفقه ويفسرون القرآن والإنفاق على مرافق المسجد ودفع الإتاوات والغرامات التي كان يأخذها البايلك في العهد التركي، فهذه الزاوية عبارة عن شركة تضامنية منظمة³.

■ زاوية سيدي راشد

¹ السعيد عقبة، الزاوية التجانية ودورها الاجتماعي بالمنطقة خلال القرن 19 م، أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13 هـ / 18-19 م من خلال المصادر المحلية، أيام 24-25 جانفي 2012 م، د.ط، د.ن، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، د.ت.

² علي بن خليفة، العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني، ط1، مطبعة دار الجائزة، القبة، الجزائر، 2015، ص57.

³ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، مرجع سابق، ص47.

أسسها سيدي راشد، وقد كانت موردا للفقراء والمساكين، ومجالا للإنفاق على طلبه العلم والعلماء ولم تتوقف خدمتها إلا بعد أن قسمت عقاراتها وأموالها وبساتينها على أحفاد مؤسسها خوفا من أن يستولي عليها الاستعمار تحت طائلة قانون 1870 الذي يضم الأوقاف إلى السلطات الاستعمارية حسب زعمهم¹.

■ زاوية سيدي مبارك الصايم

أسسها سيدي مبارك الصايم، كانت تقدم الطعام للفقراء والمساكين وتكفل الأيتام وتعلم القرآن لأبناء المغير. كانت مركز إشعاع على سكان المغير وضواحيها². أما القرى التي لم تضم زوايا فإن بها جمعيات خيرية تسهر على بناء المساجد وتأسيس الكتاتيب القرآنية لتحفيظ القرآن الكريم للصبية، بالإضافة إلى فض النزاعات بين الأفراد والأسر وتساعد الفلاحين على قضاء مآربهم والسهر على مصالح القرية، تستمد هذه الجمعيات مواردها المالية من مساهمات ذوي اليسار من أهل القرية الذين لا ييخلون بأموالهم في سبيل المجتمع. إن هذه الجمعيات أشبه كثيرا بنظام المجلس عمي السعيد الذي يستمد سلطته من نظام العزابة المعمول به بوادي ميزاب وليس هذا بغريب إذا جزمنا أن نظام العزابة بدأت فكرته بوغلانة وتأسس بتقرت فتوارثه القوم جيل عن جيل³.

أما بالنسبة إلى الطرق الصوفية فنذكر منها:

***الطريقة التجانية:** وهي طريقة صوفية تمثل منهاجا سلوكيا من المناهج الإسلامية التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر ميلادي، تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ أحمد التجاني⁴، انتشرت هذه الطريقة في الجزائر ووجدت لها أتباعا كثيرة، حيث يذكر محمد أسد في كتابه

1 نفسه، ص46.

2 نفسه، ص47.

3 نفسه، ص47.

4 **الشيخ التجاني:** هو مؤسس الطريقة التجانية، وهو سيدي أحمد التجاني بن سيدي محمد المكئي بن عمر بن المختار بن عمر بن علي بن سالم بن أبي العيد بن سالم بن احمد العلواني بن احمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن ادريس بن ادري بن اسحاق بن زين العابدين بن احمد بن محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن السبط بن سيدنا علي كرم الله وجهه المولود بعين ماضي سنة 1150هـ. انظر: عبد العزيز راس مال، الزوايا والأصالة الجزائرية - بين التاريخ والواقع - ، دراسة أنثروبولوجية حول صحراء تلمسان وأطرافها، ج2، منشورات تالة، الجزائر، د ت ، ص79.

الطريق إلى الإسلام أنه أحصى للطريقة ما لا يقل عن 25 ألف وثلاثون زاوية للجزائر سنة 1815م¹، تركز نشاطها خاصة في الجنوب الجزائري في منطقة عين ماضي وتماسين، ورقلة ووادي سوف وكانت لها علاقة وثيقة مع وسط إفريقيا²، وبالتكلم عن أهمية الزاوية التجانية في منطقة وادي ريغ فقد مثّلت مركزا هاما لتماسين بل أصبحت بمثابة العاصمة الروحية والدينية لإقليم وادي ريغ بأكمله، وقد كان لرجالها دور فعال في التواصل بين العلماء فيما بينهم، فالصلة بينها وبين تونس متمثلة في انتشار مبدأ التصوف للولي الصالح الشيخ أحمد التجاني بواسطة الشيخ الحاج علي التماسيني وخلفه³.

***الطريقة القادرية:** تعتبر أول طريقة دينية صوفية ظهرت في العالم الإسلامي، وسميت بالقادرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني المولود في جبل أوجلان بالقرب من مدينة بغداد عام (471هـ / 1078م) والمتوفى عام (561هـ / 1166 م)⁴ ببغداد، وهناك توجد الزاوية الأم، وتعتمد تعاليم القادرية على العلم والاختلاف والصبر والاتفاقات والصدف وذكر الله، وحب الناس والابتعاد عن شؤون الدنيا "الملذات" وتتسم بالتساهل والتسامح مع الأديان الأخرى⁵، حيث كان المؤسس يردد دائما قوله: "ينبغي علينا أن ندعو لأنفسنا فحسب ولكن لكل من خلقه الله مثلنا"⁶، كما اعتبر القادرية بمثابة القاعدة لمختلف الطرق الصوفية التي جاءت بعدها، ويعتبر شعيب بن حسين الأندلسي المعروف بأبي مدين دفين تلمسان والمتوفى عام (594هـ / 1197م) هو الذي أسس مدرسة التصوف السني وناشر الطريقة القادرية في المغرب والأندلس تفرغ في حياته للعلم والإصلاح والتوحيد في القرن 19 م، كان شيخ القادرية في الجزائر هو "الحاج محي الدين" والد الأمير عبد القادر،

¹ محمد أسد، الطريق إلى الإسلام، تر:عفيف البعلبكي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ص333.

² رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، لبنان، 1999، ص 515.

³ إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، المرجع السابق، ص32.

⁴ صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البرق، بيروت، 2002، ص157.

⁵ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، ط3، النهضة المصرية، القاهرة، 1993، ص202.

⁶ فيلاي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية، ط1، دار الفن الجغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، د.ت، ص35.

وقد تفرقت القادرية في الجزائر وانتشرت في مختلف أنحاء القطر الجزائري في أواخر القرن 19م ظهرت لها فروع في الشرق والجنوب الجزائري¹.

وقد تأسس لها زاوية في منطقة وادي ريغ عن طريق " الشيخ الهاشمي "صاحب زاوية اعميش ومازال بنياها ماثلا للعيان وأتباعها موجودون بوادي ريغ بكثرة خاصة تقرت وسيدي عمران والمغير، كانت تقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتدرّس العلوم الشرعية، وكانوا يستمدون بركاتهم من الشيخ الهاشمي بوادي سوف أما أذكاهم من ورد الشيخ عبد القادر الجيلالي، وتعتبر هذه الطريقة هي أصل الطرق في الجزائر².

***الطريقة الرحمانية:** تنتسب إلى الشيخ عبد الرحمان الجرجري³ المتوفي في (1208هـ/ 1793) من قبيلة آيت إسماعيل أسس بقريته زاوية وأخذ ينشر أفكاره وطريقته وقبل وفاته عين خليفة له على الزاوية هو الشيخ علي بن عيسى المغربي، وقد كان ينوبه في منطقة الشرق والجنوب الجزائري محمد بن عبد الرحمان باشا تارزي⁴، وقد كان مقدم في قسنطينة وقد تحالفت الرحمانية مع القادرية على الجهاد ضد الاحتلال منذ 1830م، كما انتشرت الرحمانية بسرعة، وفي عهد علي بن عيسى المغربي استقلت فروع الرحمانية في المناطق الشرقية والجنوبية من الجزائر عن الزاوية الأم وربما السبب يعود لبعدهم عن المركز وفروعها في قسنطينة التي كانت تحت يد الشيخ محمد باش تارزي فقد ورثه لأبناء عائلته وورث بركة الطريقة أيضا للشيخ محمد بن عزوز البرحي ببرج طولقة وكان مقدا للرحمانية بنواحي بسكرة فاشتهر وكثر أتباعه في الجنوب وصولا إلى وادي ريغ مع العلم أنها كانت أقدم طريقة به. إلا أن هناك من يقول بأن في تقرت كانت هناك زاوية رحمانية أو عزوزية نسبة إلى محمد بن عزوز، وهناك من

¹ نفسه، ص36.

² بن ساسية حياة، المرجع السابق، ص67.

³ الشيخ عبد الرحمان الجرجري: اختلف في تاريخ ميلاده، لكن بعضهم قدره بين 1127 و 1142هـ، وهو مؤسس الطريقة الرحمانية عرف بنسبته إلى زاوية وإلى الأزهر (الزواوي الأزهرية)، من قبيلة آيت إسماعيل من عرش قشطلولة، توفي في الجزائر سنة 1208هـ/1793م. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المصدر السابق، ص506.

⁴ عبد الرحمان شهبي، المرجع السابق، ص126.

ينفي هذا القول على أساس أن المنطقة كانت قريبة من مقر إقامة الشيخ بن عزوز أو لقربها من فروعها زاوية سيدي سالم بالوادي¹.

***الطريقة الطيبة:** نشأت الطريقة الطيبة في وزان بالمغرب الأقصى، حيث توجد الزاوية الأم وتُدعى دار الضمانة²، وكان مؤسسها الشيخ عبد الله الشريف المتوفى سنة 1089هـ/1679م³.

تعتبر الطريقة الطيبة من أقدم الطرق الصوفية التي كانت منتشرة بتفرت وأكثرها، ولكنها في السنوات الأخيرة لم تعد تذكر وتوقف العمل بها يعود لغياب المسنون والشيخ ولم يتوارثها الأبناء والأحفاد⁴.

***الطريقة العمارية:** نسبة إلى صاحبها عمار بوسنة، يتميز أتباع الطريقة بالألعاب البهلوانية واستخدام فوارق العادات كأكل النار والطعن بالسكاكين في حالات الجذب والرقص والصراخ على نعمات الناي "القصبة" والبندير ويميل أصحابها إلى الشعوذة وأكثر أتباعها هم المناطق الأمية الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ويقال أن سيدي العابد دفين الزاوية هو الذي أجازة شيخه بنشرها في أيام كانت بثوبها النظيف على أساس أن مؤسسها الذي كان مقدم للطريقة القادرية قد وضع شروط للدخول معه وهي ذكر كلمة التوحيد مائة ألف مرة وصيام أربعين يوم تطوعا لكن مريدي هذه الطريقة ابتدعوا بعده تلك الألعاب السابقة الذكر⁵.

¹ عبد الرحمان شهبي، المرجع السابق، ص 127-129.

² P.Passager, Ouargla Sahara Constantinois, Institut pasteur d'Algérie, 1957, p.133.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص515

⁴ عبد الحميد إبراهيم قادري، تفرت البهجة دراسة تاريخية واجتماعية، المرجع السابق، ص116.

⁵ عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص55.

المبحث الثالث

علماء وادي ريغ

❖ الحاج علي التماسيني:

هو الإمام الشيخ أبو الحسن الحاج بن علي التماسيني شيخ الطريقة التجانية، ولد بتماسين عام (1180هـ/1760)، تربى في بيت صالح، حفظ القرآن ودرس مبادئ الفقه والنحو بمسقط رأسه، وصفه معاصروه بالحكمة ومكارم الأخلاق، فنشأته كانت طيبة صالحة، وعرف منذ صباه بحالته الحسنة المرضية عليه، دلائل الخير والصلاح¹، وقد اعتنى به والده بالتربية والتهذيب، فنشأ قائما بأداب الشريعة والسنة المحمد، عرف بحسن الخلق والتواضع وحسن التبصر في العواقب، وكان يحب المساكين ويعين المحتاجين بكرم أهل الفضل ويطعم الجائع ويكسو العريان، يأكل ما حضر ويمقت أهل الترف والتذير، لا يتساهل مع الباطل ولا يتنازل على الحق².

اجتهد منذ صغره بأرض تملاحت³ المهجورة التي لم يهتم بها أحد لشدة ملوحتها، فبدأ بغرس النخيل الصغير دون أن يخبر والده⁴، ومال منذ صغره إلى طريق الصوفية وسلك مسلكهم في الزهد والتقوى وطلب المعرفة، وكان رجلا عمليا يفعل ما يقول ليكون أسوة لغيره، وأول إتصال له بالشيخ أحمد التجاني تم عبر سيدي محمد بن المشري وقد سخر الشيخ علي التماسيني حياته في خدمة الواقع التعليمي والثقافي، والذي جعل من زاويته مركز إشعاع لهذا

¹ مطبوعة الزاوية التجانية بين الأمس واليوم، منشورات الزاوية التجانية بتماسين، ط3، مطبعة sib، كوينين، الوادي، 2008، ص9.

² أحمد العروس، الطريقة التجانية بالجزائر من 1781 - 2004، منشورات الزاوية التجانية، تماسين، 2004، ص19.

³ تملاحت: أرض غير صالحة للزراعة لشدة ملوحتها. انظر: أحمد العروس، الطريقة التجانية بالجزائر، المرجع السابق، ص23.

⁴ الصادق بن أحمد العروسي التجاني، العرف الريحاني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني، تر: أحمد العروسي التيجاني، المطبوعات الجميلة، 1436-1437هـ/2015م، ص7.

الأمر من خلال استقطابه لعامة الناس لأجل تنويرهم تعليمياً وتربيتهم روحياً¹، وكذا استقطابه للعلماء الذين قاموا بزيارات متكررة ومتعددة باتجاهه، فراح الشيخ الحاج علي التماسيني يعقد اتفاقاً مع كل من يزوره منهم، ويتضمن الاتفاق المكوث بزاويته لمدة ستة أشهر، أو سنة، أو سنتين، كي يفيدوا بعلمهم ويقومون بتعليم الناس وكل من يطلب هذا الأمر من المسلمين بعموم وادي ريغ، وغيرهم من المتحولين الذين كانوا يأتون من كل حذب وصوب لهذا الغرض².

❖ الموهوب بن الطيب (الموهوبي):

أحد شيوخ قبيلة أولاد السايح، ولد أواخر القرن الثامن عشر حوالي سنة 1194هـ/1780م، عاصر الشيخ الحاج علي التماسيني بحسب رواية الشيخ محمد العيد بن الصديق، حفظ القرآن الكريم، شيخ علم وفقه في أمور الدين، قام بأعمال خالدة، وكان مرجعاً يُلجأ إليه في أمور الدين والحياة، كما كان من رجال الحل والعقد، داره زاوية مفتوحة ليلاً ونهاراً للضيف ولعابر السبيل، توفي سنة 1227هـ/1861م³.

كان له حضور اجتماعي قوي من خلال التعليم والتدريس والفتوى، وكان فقيهاً في أمور الدين والشريعة، وكان يحتك بالعامة ويعظهم ويحيب عن الأسئلة التي تُلقى إليه، ويدفع العامة وينصحهم إلى التمسك بتعاليم الدين الصحيح والرجوع إلى الله، كما كانت له وقفات عند بعض المسائل الخلافية التي تُثار هنا وهناك، منها قضية البسملة والجهر بها أو السر عند قراءتها⁴.

¹ محمد حناي، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية 1830-1954، رسالة ماجستير، نخ: تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2014، ص109.

² محمد حناي، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية 1830-1954، المرجع السابق، ص109.

³ موهوبي عبد القادر، آل البيت في الجزائر والعالم العربي والإسلامي (تحفة الأوراد في سند الأجداد)، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2009، ص438.

⁴ موسى بن علي وعلي بله باسي، المرجع السابق، ص52.

❖ الشيخ عمر العلاني التونسي:

وهو الأصحح أبو حفص الشيخ عمر بن الحاج محمد بن مصطفى العلاني الأنصاري، نشأ في طلب العلم وأخذ على علماء بلده وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم، ووليا للأشهاد بالقيروان في شوال 1254 هـ 1838م، وكان موثوقا وظهر عليه صلاح كبير، وله في ذلك كرامات وأنباءات لأهل الحاضرة، كان يحفظ القرآن الكريم بالروايات السبع، مكث في أحد المرات بزواية تماسين لمدة سنتين، فدرّس بها الفقه، الحديث، المنطق، وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف، توفي سنة 1311 هـ/نوفمبر 1893م¹.

❖ الشيخ أحمد بن عمار التغزوتي:

من الذين زاروا وادي ريغ واتخذوا من الزاوية التجانية بتماسين مركزا تعليميا ينشطون فيه، وهو أحد تلاميذ الشيخ "خليفة بن حسن القماري"²، صار معلما بالزاوية، ودرّس فيها "الشيخ علي السوداني" دفين تماسين، درس الفقه والحديث واللغة والكيمياء والفلك وسر الحرف وغيرها³.

❖ الشيخ محمد بالمشري الحسني السائحي السباعي:

هو أحد خاصة الخاصة في الطريقة التجانية وأمين سر شيخها، ولد سنة 1146 هـ/ 1734م بطزبوة وهي قرية اندثرت ولم تبقى إلا أطلالها، تبعد 20 كلم شمال تقرت وتقع

¹ محمد الجودي بن محمد الصالح (باشمفتي القسروان)، مورد الظمان في المتأخرين من فضلاء القيروان، مخطوط، ص86.
² خليفة بن حسن القماري: ولد الشيخ خليفة بقمار إحدى بلدات سوف سنة 1207هـ/1711م، وعاش حياته العلمية متنقلا بين مسقط رأسه وبسكرة وسيدي عقبة، وحنقة سيدي ناجي، من أشهر من نظّم واعنى بالفقه المالكي، له نظم سماه بـ"جوهر الإكليل في نظم مختصر الشيخ خليل" حققه محمد بالعالم في 10 أجزاء وأصدرته دار الوعي بالجزائر سنة 2010م، له عدة مؤلفات مطوطة منها "الكناش"، له تأليف "شرحا على السنوسية"، ونظم الأجرومية، وله قصيدة في معرفة الأثر، وفتاوى آراء اجتماعية، توفي سنة 11207هـ/1792م. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص77.
³ التجاني الصادق، العرف الرجحاني، المصدر السابق، ص5.

على الطريق الرابط بين مدينة تقرت ومدينة مسعد، التقى بالشيخ أحمد التجاني سنة 1188 هـ ، بعد رجوعه من الحج لتلمسان ولقّن الشيخ التجاني محمد بالمشري الطريقة الخلوتية¹.

وعند ظهور الطريقة التجانية كان أوّل تلاميذ الشيخ التجاني، كان حافظاً للقرآن الكريم وعلم التجويد وتفنن في العلوم من حديث وتفسير وفقه، وقرأ العربية وآدابها وأصول الدين والفقه والتصوف وما يتبع ذلك من معارف، مكث بوادي ريغ متنقلاً بين قراه وبلدته ناشراً للعلم ومنتظراً لصاحب الأمانة حتى يطلبها منه، وبذلك نشر العلم وساهم بقسط وفير في بناء قاعدته من خلال التعليم والتدريس والفتوى².

وهو صاحب كتاب "الجامع لما افترق من العلوم"، وكتاب "نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء"، وكتاب "روض المحب الفاني فيما تلقيناه من سيدي أبي العباس التجاني"³.

❖ سيدي الحاج سعيد المغراوي التلمساني:

جاء إلى تقرت من تلمسان بداية العهد الجلاي، واتّخذه الأمير الجلاي إماماً وأصبح من أعيان الأسرة الجلايية، وقام بأعمال جلييلة علماً وعملاً⁴.

¹ محمد بالمشري الحسني السائحي السباعي، روض المحب الفاني فيما تلقيناه من سيدي أبي العباس التجاني، كتاب ناشرون، بيروت، 2013، ص74.

² محمد حناي، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية 1830-1954م، المرجع السابق، ص53.

³ مؤلف مجهول، أصحاب سيدنا أحمد التجاني (الفقيه سيدي محمد بن المشري رحمه الله)، الموقع: www.tidjaniya.com، اطلع عليه يوم: الجمعة 10 نوفمبر 2023 على الساعة 18:43.

⁴ حياة بن ساسية، المرجع السابق، ص77.

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق نخلص إلى القول بأنّ منطقة وادي ريغ تعتبر عبر مر العصور والحضارات واحدة من أهم المناطق بالجزائر للعديد من الأسباب الجيوسياسية، كون المنطقة بؤرة التقاء لعديد المدن في الجنوب الجزائري، كما أنّها تعتبر مصدر للثروات الزراعية كون الواحات المتواجدة بها تنتج العديد من الخيرات الطبيعية سنويا، خاصة وأن أصحاب المنطقة يعتمد أغلبهم على الزراعة كمدخول أساسي لهم، وساعدهم على ذلك وفرة المياه الجوفية القريبة من السطح والثروة الصالحة لتنوع المنتوجات الزراعية، ونمط الحياة استمر عبر أجيال عديدة تعود الى الحضارة الأمازيغية، وقد حاول العديد من المستعمرين السيطرة على المنطقة كونها تعتبر مركز ربط في المنطقة، وأنها أحد المفاتيح الأساسية للسيطرة على شرق وجنوب الجزائر.

إنّ التركيبة البشرية لوادي ريغ تتشكل من عنصر الرّواغة وهم رجال الحشان، هذه التسمية في الأصل لا تعبر عن عرق أو جنس وإنّما نسبة إلى مهنة غراسة "الحشانة" أي فساتل التّخيل التي كان يغرسها أهل المنطقة، ولهذا أطلق عليهم إسم رجال الحشان.

شهدت المنطقة ازدهارا علمياً وثقافياً كبيرين بفضل تمسك أهل المنطقة بالعلماء والشيوخ أمثال سيدي محمد بن يحي الإدريسي ومن سبقه من علماء الإباضية الوافدين إلى المنطقة.

شكّل وادي ريغ همزة وصل بين أهم الحواضر العلمية آنذاك مثل سيدي عقبة وحنقة سيدي ناجي وإقليم توات، وكذا بلاد الجريد التونسي ممثلة في الفرع الزيتوني، وجامع الزيتونة الأعظم، لأنّ الإقليم كان الطريق الرئيسي الذي يسلكه القادمون من نفوسة وجربة باتجاه وارجلان والقرى السبعة الإباضية، ناهيك عن القوافل التجارية وقوافل الحجيج التي تتراد هذا الإقليم، ما أثر على الحركة العلمية من خلال التنوع الفكري والعلمي.

الخاتمة

الخاتمة

إنّ مساهمة علماء الإسلام في مختلف المجالات دليل عملي على تقبل العلماء لمشاكل عصرهم المحددة وتأثيرها على حياة الناس في جميع العصور، فضلا عن تأثيرها على الحضارة الإسلامية بشكل عام، ولا يقتصر الأمر على العقل فحسب، بل إنه يتمتع أيضًا بطاقات الحواس والقلب وما إلى ذلك، ولقد كان لعلماء الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني كلمتهم وتأثيرهم على المجتمع بفضل عملهم الذي نسأل الله المولى القدير أن يجعله في ميزان حسناتهم.

فمن خلال هذه الدراسة العلمية التي تمحورت حول موضوع مراكز الإشعاع الثقافي في الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني، تبين لنا وجود حواضر علمية شهدت حركة فكرية وثقافية واسعة أبانت بحق عن قدرة سكان منطقة الجنوب الجزائري على تحدي الظروف الطبيعية الصعبة، وخلق مراكز إشعاع ثقافي أبدع علمائها بإسهاماتهم القيمة في رفع المستوى التعليمي والثقافي، وجعل المنطقة كإنارة مستقطبة لطلبة العلم والعلماء.

ومن هذا المنطلق ومرورا بالعديد من الأفكار والحقائق التاريخية التي بُني عليها ركائز هذا العمل خلّصنا في نهايته إلى جملة من النتائج التي أوجزها فيما يلي:

- كان إباضيّوا منطقة ميزاب يُقدّمون الطاعة والولاء للدولة العثمانية مقابل ترك السلطة لنظام العزابة في تسيير شؤونهم الداخلية بالمنطقة والاعتراف بمذهبهم واحترام أعرافهم.
- شهدت منطقة ميزاب خلال العهد العثماني نشاطا زراعيا ملفتا رغم ندرة الأمطار، فنجد زراعة الزيتون والحمضيات والدلاع والبطيخ وأنواع كثيرة من النخيل، كما اهتموا ببناء السدود واستغلوا الآبار وجنّدوا أمناء لمراقبة حركة السيول.
- عرفت منطقة ميزاب صناعات عديدة خاصة التقليدية منها مثل: الصناعة الطينية، والصناعة النسيجية كالجبس والجير والحلي والفخار والعباءات وغيرها، كما عرفت حركة تجارية واسعة وضمت أسواق داخلية وأخرى خارجية، وكانت تُسيّر وفق أعراف وشروط مضبوطة تحت اشراف مجلس العزابة.

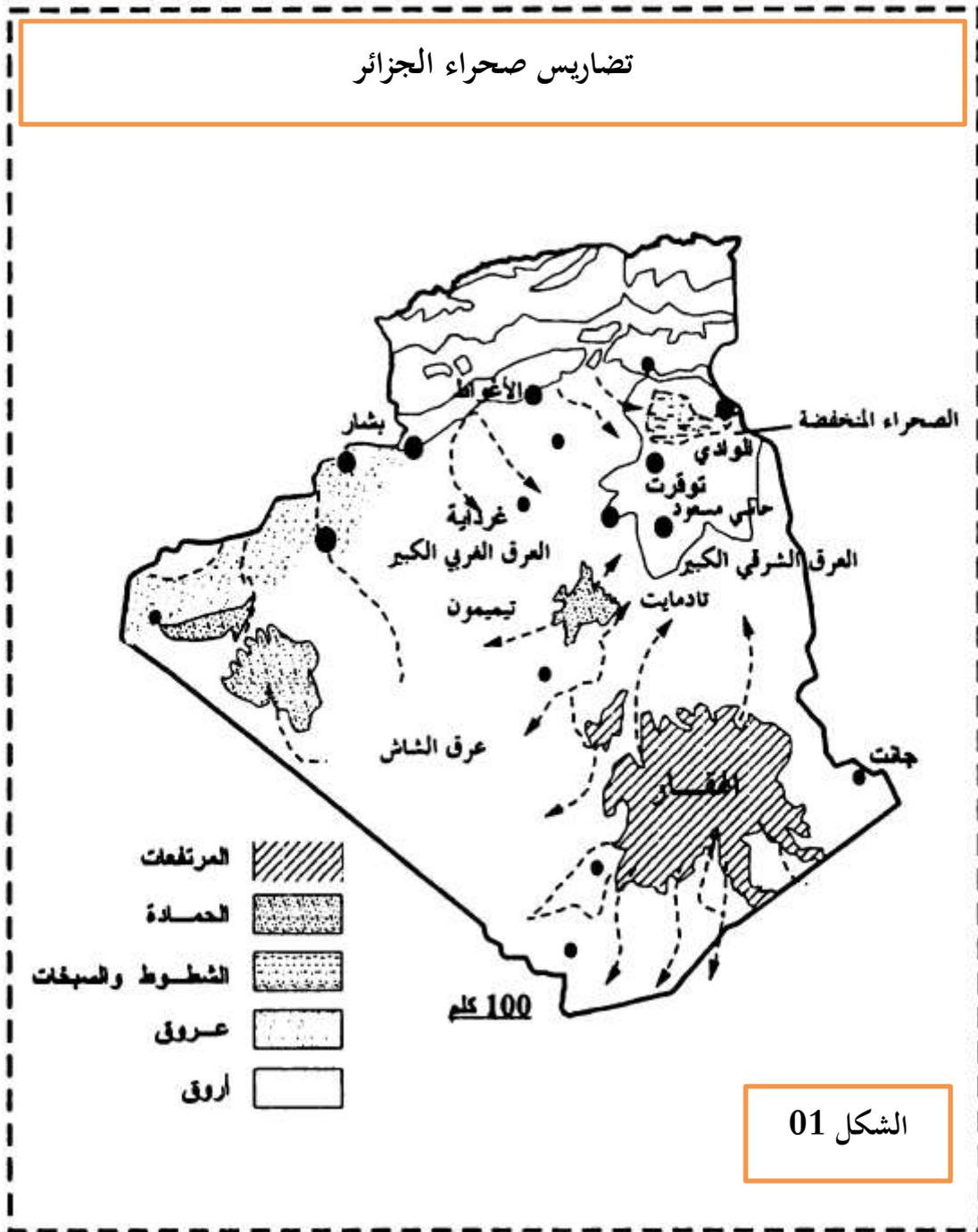
- شهدت منطقة ميزاب خلال العهد العثماني مؤسسات علمية وثقافية متنوعة وعديدة، كانت أساسا لجعل المنطقة كمركز إشعاع ثقافي هام في الجنوب الجزائري، مثل: المساجد والمسجد القديم بينوارة، والمسجد العتيق بغرداية، والمسجد الكبير (بني يزجن)، ومسجد القرارة العتيق، كما شهدت مدارس متنوعة مثل: مدرسة بلحسن، ومدرسة الساسي، وتميزت هذه المدارس بنظام تعليمي وتربوي خاص.
- برز الدور التربوي لنظام العزابة في وادي ميزاب من خلال خلق نظام تعليمي مثالي يتميز بالصرامة والدقة وإتقان الإدارة، ولقد أسس قادة حلقة العزابة المدارس وخصصوا لها الكثير من وقتهم وجهدهم لأنهم توصلوا إلى الحقيقة المقدسة وهي أن التعليم هو الأساس الذي حافظ على عاداتهم وتقاليدهم وهويتهم الإسلامية.
- كانت منطقة وادي ميزاب ثرية بالمكتبات والخزائن النفيسة، واحتوت على أصناف متعددة من العلوم (نقلية وعقلية)، ومن بين المكتبات: مكتبة عشيرة آل خالد، وخزانة الشيخ محمد ابن ادريس ونجليه الفقيهين "صالح" و "سليمان"، وخزانة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش وغيرها.
- شهدت منطقة توات هي الأخرى مراكز إشعاع ثقافي لا تقل أهمية عن منطقة ميزاب، حيث استفاد أهلها كثيرا من هجرة علماء شمال إفريقيا إليها خاصة مع بداية القرن السادس عشر بسبب تردّي الأوضاع السياسية في بلادهم، حيث كانت اسهاماتهم هي اللبنة الأولى للنهضة العلمية والثقافية في المنطقة.
- إنّ الموقع الإستراتيجي لمنطقة توات في قلب الصحراء، جعلها موقع التقاء وتجمع للقوافل التجارية التي تعبر الصحراء، ممّا أتاح لأهل توات فرصة الاتصال بالتجار الذين كان لهم دور كبير في نقل الكتب والعلوم.
- عرفت منطقة توات انتشار الكثير من المؤسسات العلمية والثقافية كالمساجد والزوايا الكتابية التي احتضنت الحراك العلمي القائم بالمنطقة، وكان لها الفضل في تكوين نُخب من العلماء، ولقد انتهج التواتيون طرقا خاصة في تلقين العلوم اعتمدوا في أساسها على التدرج في التحصيل واهتموا بالكثير من العلوم النقلية والعقلية.

- لقد ترك علماء منطقة توات خزائن ومكتبات مليئة بالكتب والمخطوطات القيّمة، من بينها خزانة زاوية كنتة، خزانة المطارفة، خزانة زاوية الشيخ المغيلي والخزانة البكرية بتمنطيط وغيرها.
- تُعد منطقة وارجلان أحد أهم مراكز الإشعاع الثقافي في الجنوب الجزائري، حيث جعلها موقعها الإستراتيجي مركزا اقتصاديا هاماً في المنطقة، إذ أضحت نقطة التقاء القوافل الصحراوية الوافدة من البلدان المجاورة، والمتجهة إلى إفريقيا جنوب الصحراء، وحلقة وصل حضاري وثقافي بين المدن الكبرى الشمالية، ومناطق الصحراء الكبرى.
- وجدنا في وارجلان نظاما تعليميا مزدوجا، بين تعليم إباضي تشرف عليه جماعة العزابة، وتعليم مالكي تشرف عليه هيئة المسجد المالكي، وبعض الطرق الصوفية، كالرحمانية والقادرية.
- كما تميّزت بكثرة المؤسسات التعليمية والثقافية كالمساجد، والزوايا، والمدارس.
- ساهم علماء وشيوخ منطقة وارجلان من المذهبين المالكي والإباضي، في نشر العلوم الدينية والثقافية وتعزيز التواصل مع الحواضر الكبرى في العهد العثماني.
- منطقة وادي ريغ تعتبر عبر مر العصور والحضارات واحدة من أهم المناطق بالجزائر للعديد من الأسباب الجيوسياسية، كون المنطقة بؤرة التقاء لعديد المدن في الجنوب الجزائري، كما أنها تعتبر مصدر للثروات الزراعية كون الواحات المتواجدة بها تنتج العديد من الخيرات الطبيعية سنويا
- عرفت المنطقة بكثرة المساجد إذ لا تخلو قرية من مسجد حتى أنهم جعلوا لكل ولي صالح مسجدا باسمه، كما كان للزوايا والطرق الصوفية دور كبير في نشر العلم، مثل الزاوية التجانية بتماسين التي سخّرت كل إمكانياتها للتعليم واستقطاب العلماء.
- شكّل وادي ريغ همزة وصل بين أهم الحواضر العلمية آنذاك مثل سيدي عقبة وحنقة سيدي ناجي وإقليم توات، وكذا بلاد الجريد التونسي ممثلة في الفرع الزيتوني، وجامع الزيتونة الأعظم.
- يمكننا أن نقول بأنّ آثار وإنجازات علماء الجنوب الجزائري خلال العهد العثماني، ساهمت في محاربة البدع والخرافات والتصويب الصحيح للأفكار، والمحافظة على مقومات الشخصية الإسلامية.
- نجد أنّ قابلية سكان منطقة الجنوب الجزائري للتعلم وكسب المعرفة ساهم بشكل كبير في جعل مناطقهم كحواضر ومراكز إشعاع ثقافي مستقطبة للعلماء وطلبة العلم، ونلمس حبهم من خلال ما ظهر من تبجيل وتقديرٍ لعلمائهم.

الملاحق

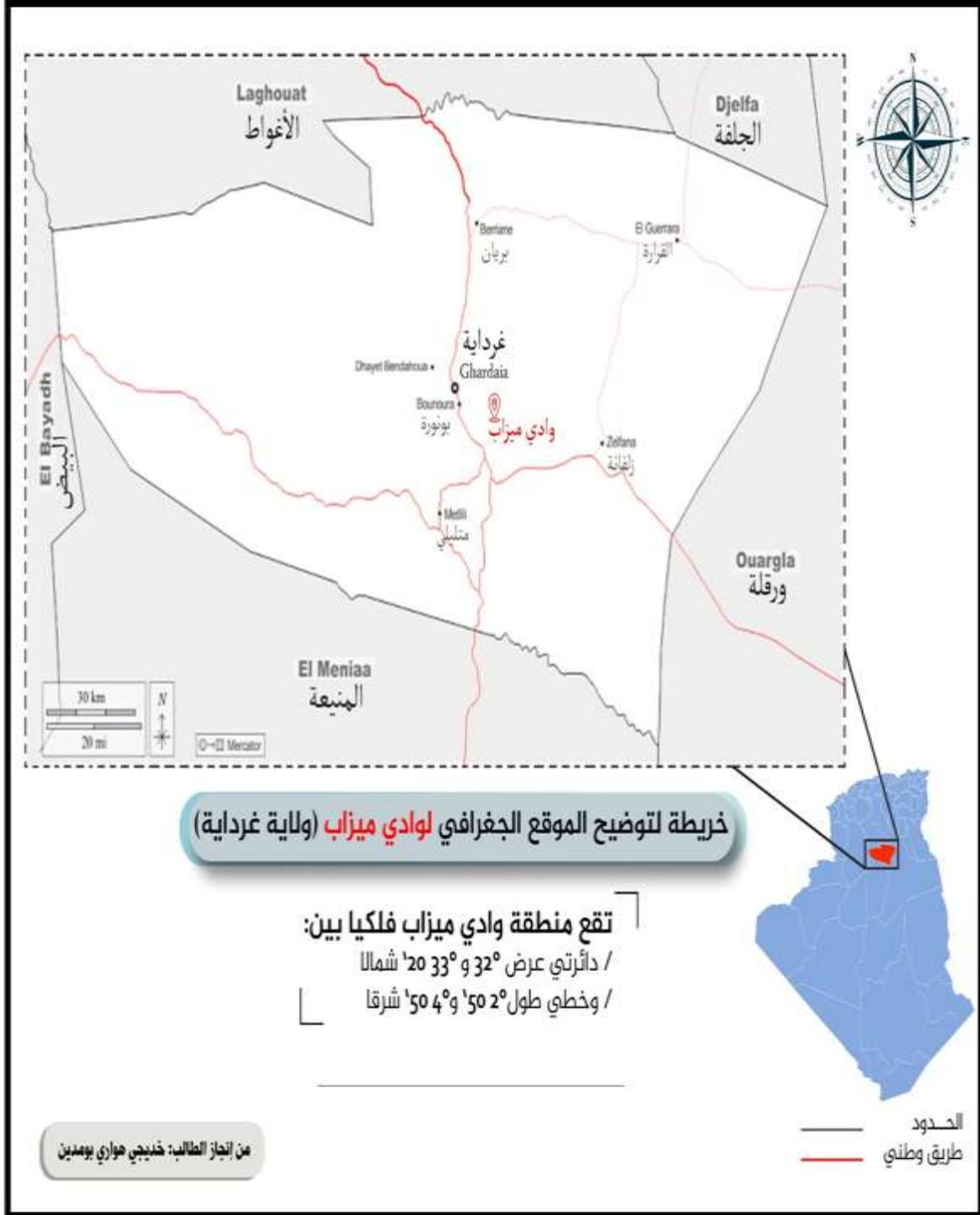
الملحق رقم 01

خريطة تمثل تضاريس الصحراء الجزائرية¹



¹ - عميراي حميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص155.

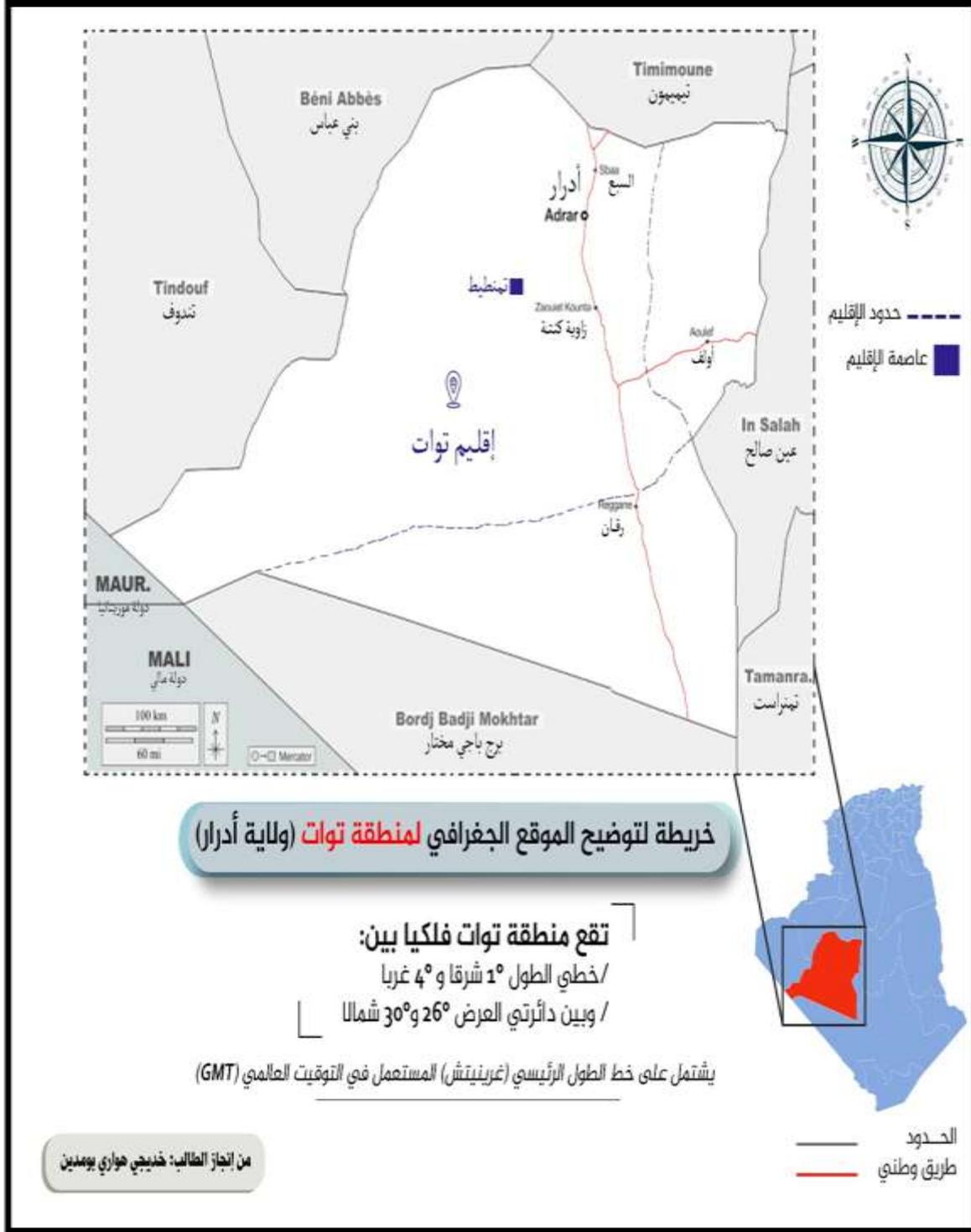
الملحق رقم 02

خريطة تبين الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وادي ميزاب¹

¹ - من إعداد الطالب المترشح معتمدا على صورة فضائية حديثة من موقع جوجل إيرث Google Earth

الملحق رقم 03

خريطة تبين الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة توات¹



¹ - من إعداد الطالب المترشح معتمدا على صورة فضائية حديثة من موقع جوجل إيرث Google Earth

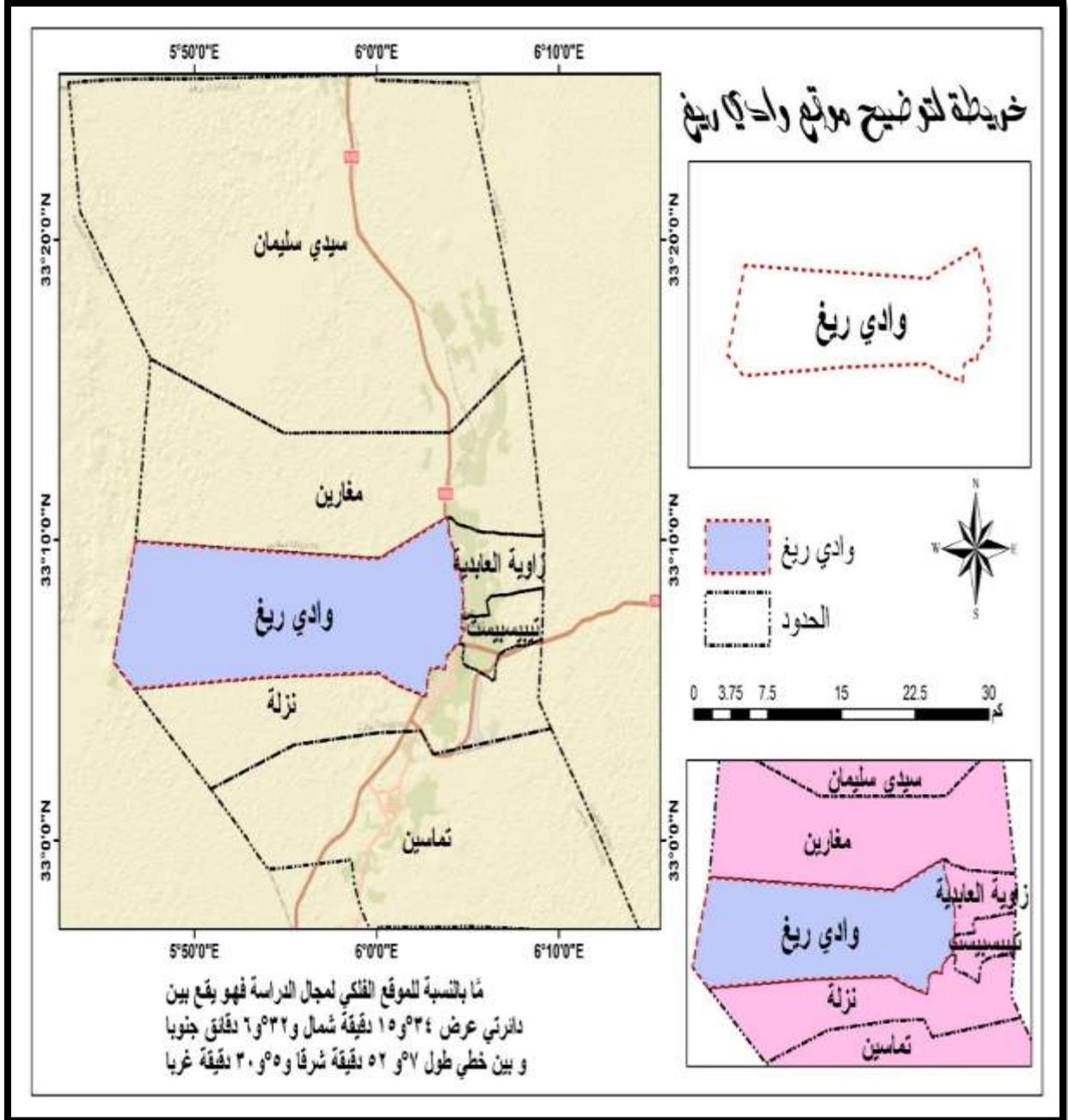
الملحق رقم 04

خريطة تبين الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وارجلان¹

¹ - من إعداد الطالب المترشح معتمدا على صورة فضائية حديثة من موقع جوجل إيرث Google Earth

الملحق رقم 05

خريطة تبين الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وادي ريغ¹

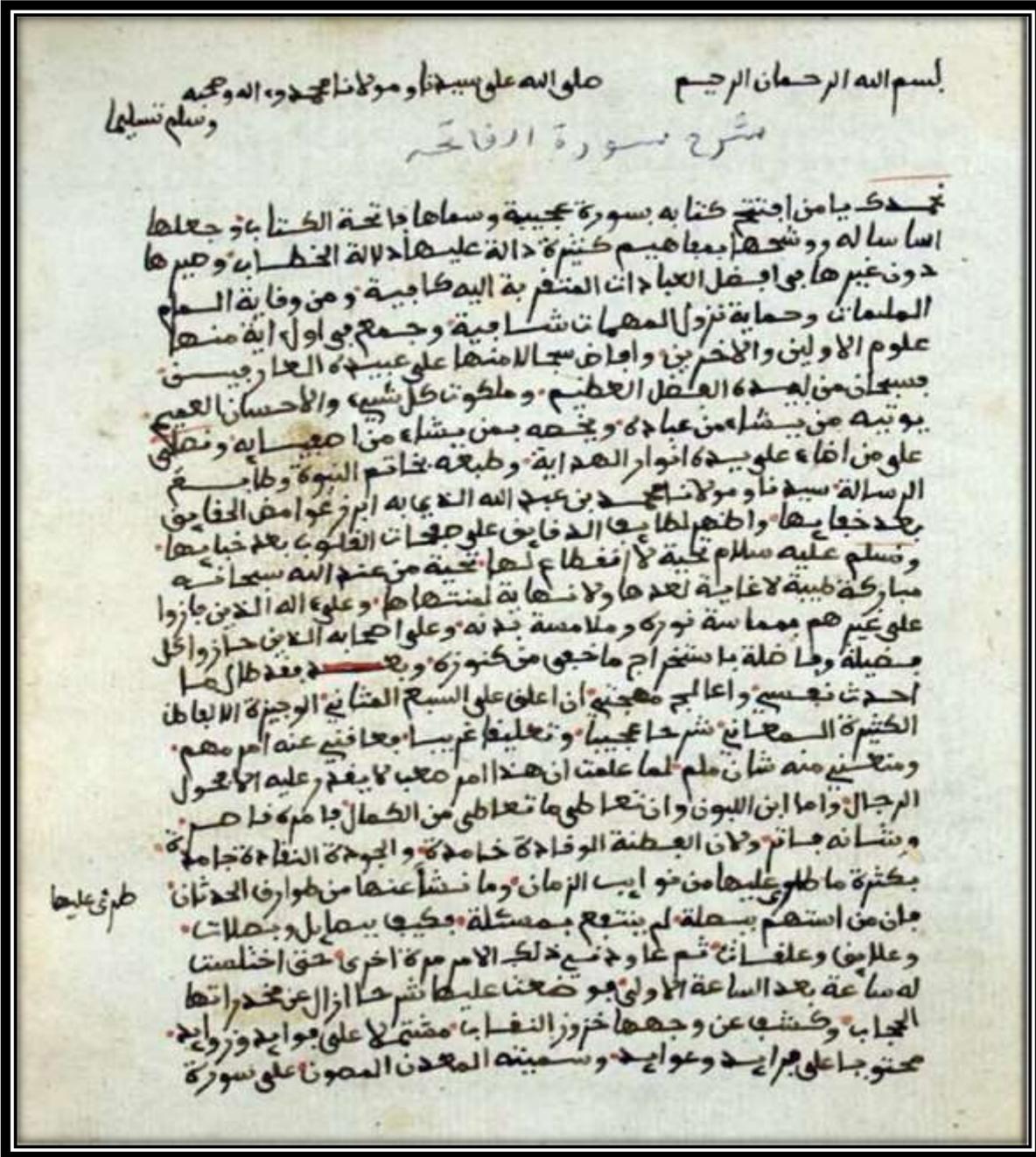


¹ - من إعداد الطالب المترشح معتمدا على صورة فضائية حديثة من موقع جوجل إيرث Google Earth

إعادة كتابة الفقرة الأولى من الوثيقة

فليس هذا بطعن إن كان مراده انتصاراً لمذهبه وإعلان تبرأ من الإسم الذي نسب إلى مذهب أهل الحق بالإسم المشهور فإنه طعن مثل من طعن في الوهبية هكذا لو الإباضية والغالب إذا قصد ببراءته إلى قبيلة المسلمين مثل نجوسية أو مثلهم قصداً لعظم لظنه وكفره وإعلان إلى قبيلة تنتسب إليه.

الملحق رقم 07

وثيقة من كتاب المعدن المصون على سورة الكنز المدفون¹

¹ - الشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن اليسجني، المعدن المصون على صورة الكنز المدفون، مكتبة الإستقامة، بني يزجن، غرداية،

الخزانة الأولى، الرقم: (97)9.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

وصحبه وسلم تسليما

شرح سورة الفاتحة

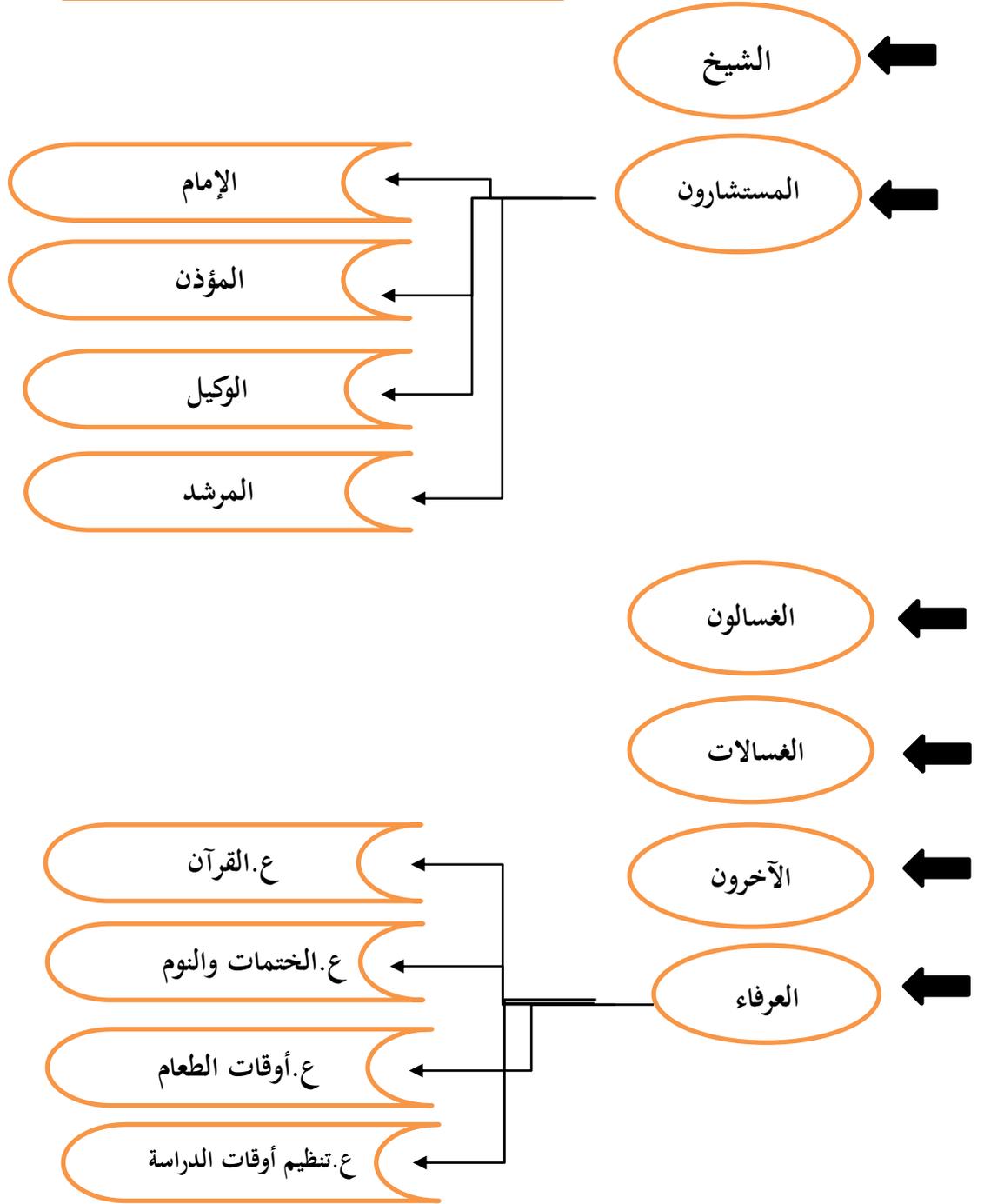
نحمدك يا من افتتح كتابه بسورة عجيبة وسمّاها فاتحة الكتاب وجعلها أساسا له ووشحها بمفاهيم كثيرة دالة عليها دلالة الخطاب وميّزها دون غيرها في أفضل العبادات المتقربة إليه كافية. ومن وقاية الملم الملمات وحماية تزيل المهمات شاجية. وجمع في أول آية منها علوم الأولين والآخرين وأفاض سجلا منها على عبيده العارفين. فسبحان من بيده الفضل العظيم. وملكوت كل شيء والإحسان العميم. يوتيه من يشاء من عباده ويخصه بمن يشاء من أصفياه ونصلي على من أضاء على يده أنوار الهداية وطبعه بخاتم النبوة وخاتم الرسالة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي به أبرز غوامض الحقائق بعد خفائها وأظهر لطائف الدقائق على صفحات القلوب بعد خبائها.

ونسلم عليه سلام تحية لا انقطاع لها تحية من عند الله سبحانه مباركة طيبة لا غاية بعدها ولا نهاية لمنتهاها وعلى آله الذين فازوا على غيرهم بمماسة نوره وملامسة بدنه. وعلى أصحابه الذي حازوا كل فضيلة وفاضلة باستخراج ما خفي من كنوزه وبعد فقد طال ما أحدث نفسي واعالج مهجتي أن أعلّق على السبع المثاني الوجيزة الألفاظ الكثيرة المعاني شرحا عجيبا وتعليقا غريبا فعاقني عنه أمر مهم ومنعني منه شأن ملم. لما علمت أنّ هذا أمر صعب لا يقدر عليه إلا فحول الرجال. وأما ابن اللبون وان تعاطي ما تعاطى من الكمال فأمره قاهر وشأنه فاتر. ولأنّ الفطنة الوفادة خامدة. والجودة النقادة جامدة بسبب ما طلو عليها من خوائب الزمان وما نشأ عنها من طوارق الحدثان. فإنّ من استهل ببصلة لم ينتفع بمشئلة ...

الملحق رقم 08

مخطط يمثل التركيب الهيكلي لمجلس العزابة¹

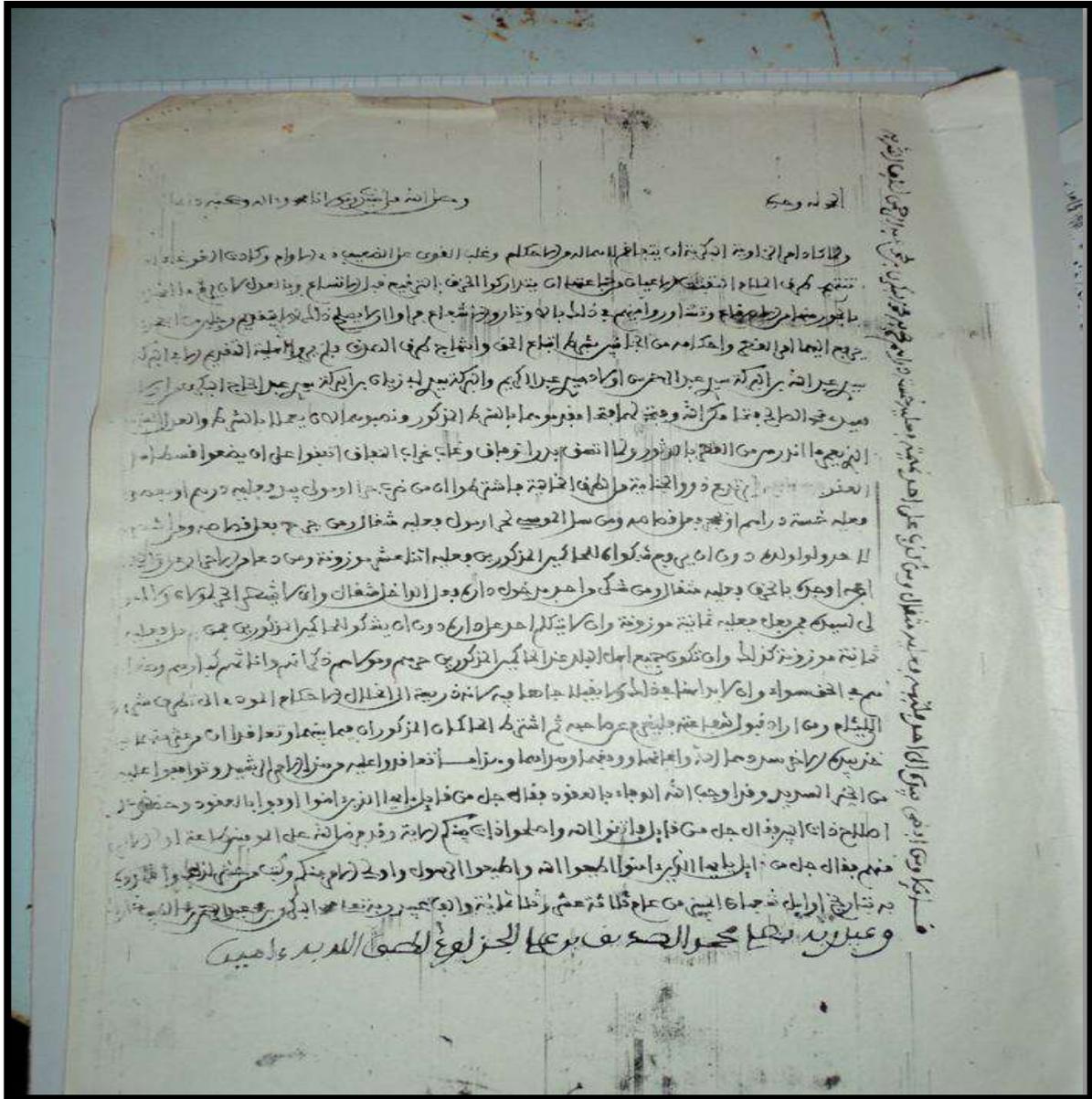
المجلس الأعلى لهيئات العزابة



¹ - هذا المخطط من تصميم الطالب المترشح، معتمدا على اسماوي صالح بن عمر.

الملحق رقم 09

مخطوط يبين القانون الداخلي للزاوية البكرية¹

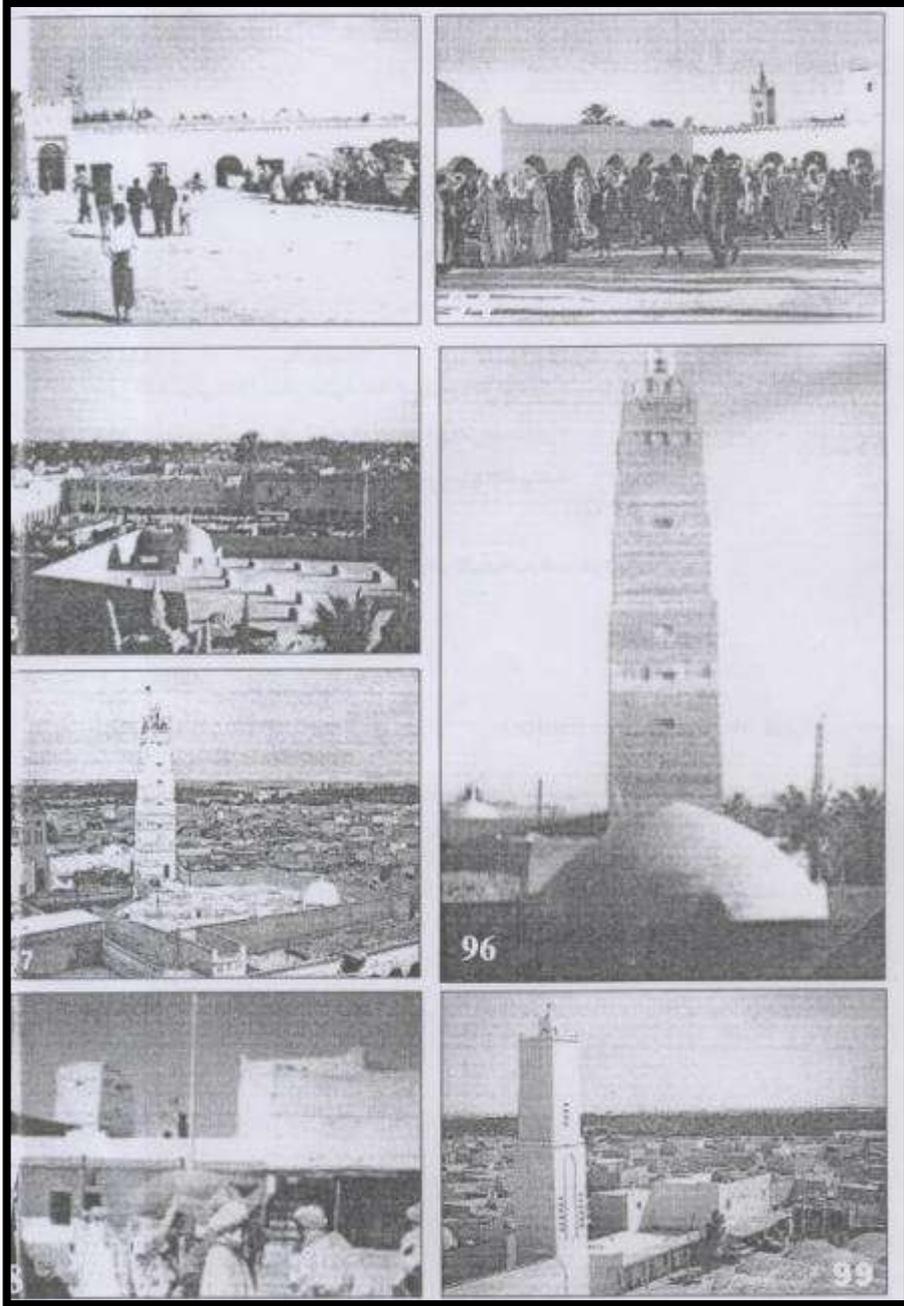


¹ - عبد الله بابا، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والإجتماعي بإقليم توات من 1112-1421 هـ/1700-2000م، رسالة ماجستير في التاريخ الإجتماعي والثقافي عبر العصور، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، الجامعة الإفريقية أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2012، ص 145.

² - مخطوط بيد الحاج عبد الله بكرابي.

الملحق رقم 10

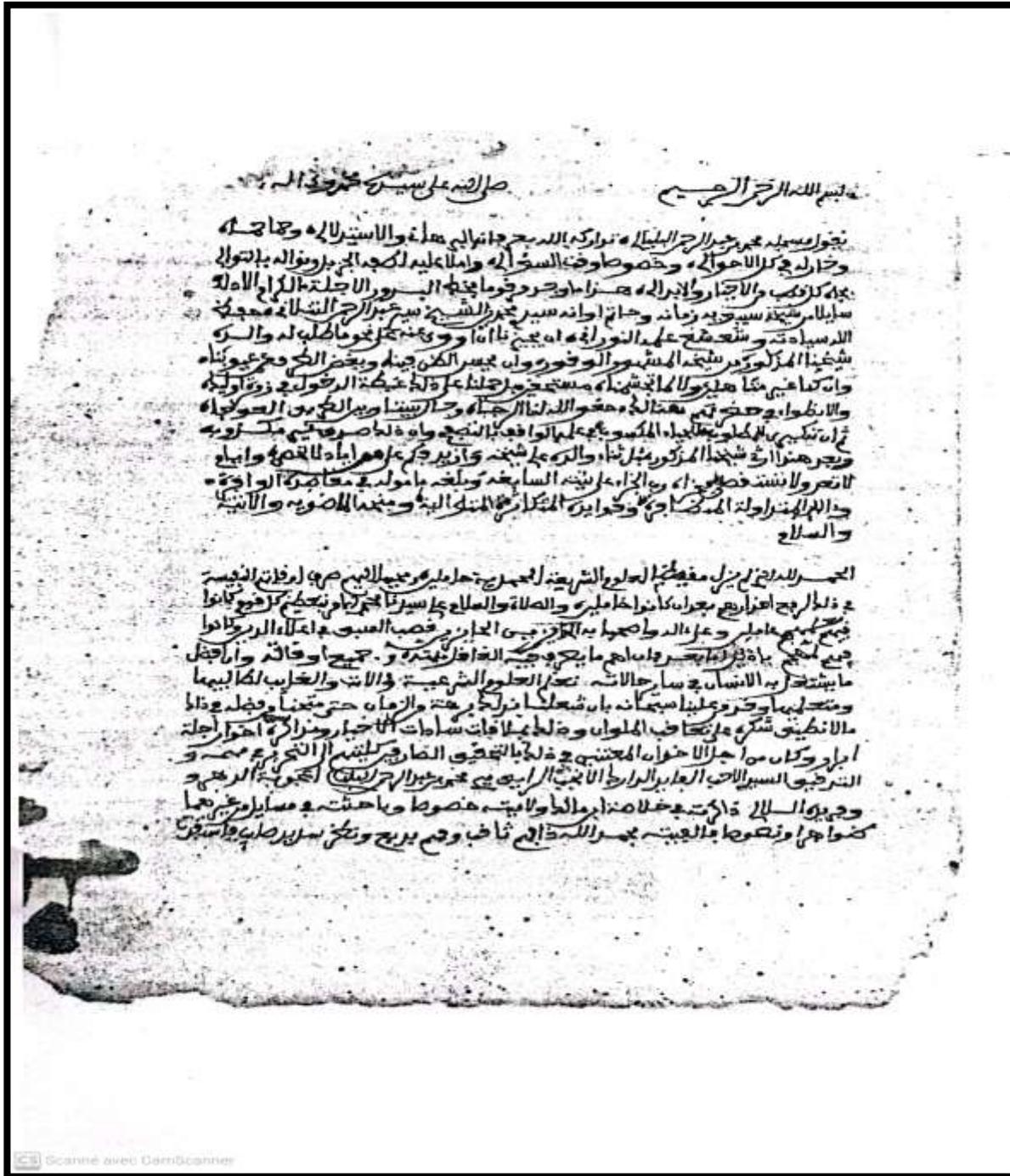
صور لمسجد لالة عزة¹



¹ - جمعية الثقافة والإصلاح، واحه عبر التاريخ، ورقلة، الجزائر، 2003، ص54.

الملحق رقم 11

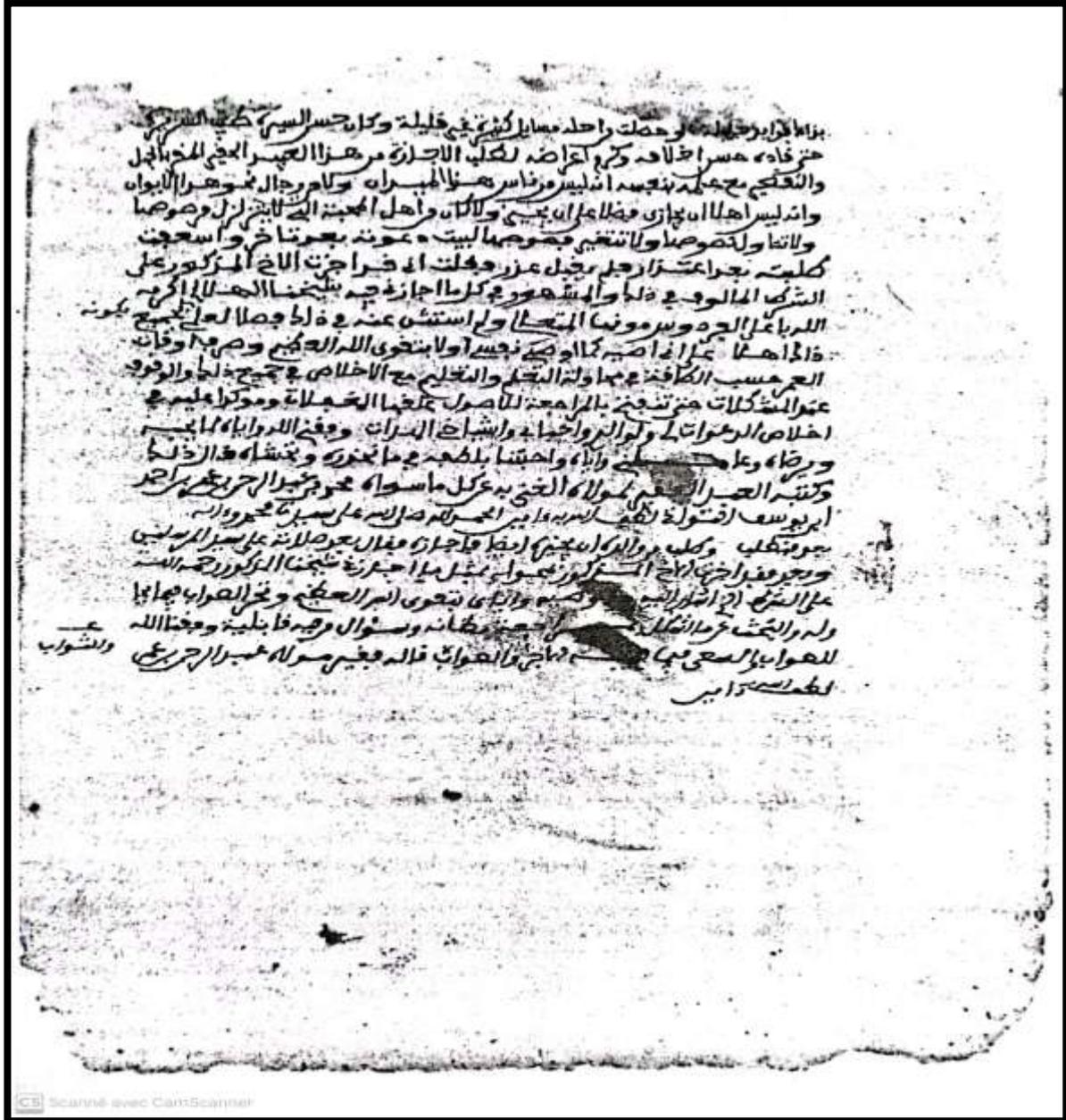
الوجه الأول من إجازة الشيخ محمد بن عبد الرحمان التينيلاني للشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي¹



¹ عبد الرحمان بن حسان، الجهود اللغوية والأدبية للجزائريين إبان القرنين التاسع عشر والعشرين ميلاديين، إشراف: عبد القادر إقصاصي، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار، 2014، ص 182.

الوجه الثاني من إجازة الشيخ محمد بن عبد الرحمان التينيلاني للشيخ محمد بن عبد الرحمان

البليالي¹



¹ عبد الرحمان بن حسان، المرجع السابق، ص 183.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

يقول مسجله محمد بن عبد الرحمن البلبالي، تداركه الله بعرفانه البرهاني والإستدلالي وحمى حماه وخار له من كل من الأحوال، وخصوصا وقت السؤال، وأملى عليه لطفه الجزيل ونواله بالتوالي، بجاه كل قطب من الأخيار والأبدال، هذا ما وجد مرقوما بخط البدور الأجلة الكرام الأدلة، سائلا من شيخه سيويه زمانه وحاتم أوانه، سيدي محمد بن الشيخ سيدي عبد الرحمن التتلائي، حفظ الله سيادته وشعشع علمه النوراني، أن يجيزنا أن أروي عنه على نحو ما طلب له والده شيخنا المذكور، من شيخه المشهور الوقور، وأن يحسن الظن فينا ويخض الطرف عن عيوبنا، وإن كنا غير متأهلين، ولا لما تجشمناه مستقين بل حملنا على ذلك غبطة الدخول في زمرة أولئك، والإنطواء في حضرتهم هنالك، حقق الله لنا الرجا، وحال بيننا وبين الطريق العوجا، ثم إن تذكيري للمطلوب، للحياء المسكوب في علمه الواقف بالتصفح، وإن ذلك صدق غير مكذوب، وبعد هذا أثني على شيخنا المذكور بمثل ثناء والده على شيخه وأزيد، فكم له عليّ من أيادي لا تحصى، وأيام لا تعد ولا تستقصى، فجزاه رب الجزاء على نيته السابغة، وبلغه ما موله من مقاصده الوافرة، وآلاء المتأولة المتظافرة، وفوائد المتكاثرة المتواليّة، ومنحه الماضية والآتية، والسلام.

الحمد لله الذي لم يزل مقيظا لعلوم الشريعة المحمّدية حاملين، ومحبيّا إليهم صرف أوقاتهم النفيسة في ذلك لرفع أقدارهم بعد أن كانوا حاملين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمر بتعظيم كل قوم كانوا فيهم بعلمهم عاملين وعلى آله وأصحابه الحائزين قصب السبق في إعلاء الدين وكانوا فيه لمّجهم باذلين.

أما بعد: فإن أهم ما يصرف فيه العاقل همته وجميع أوقاته وأن أفضل ما يشتغل به الإنسان في سائر حالاته تعلم العلوم الشرعية والقائها لطالبيها ومتعلميها، وقد منّ علينا سبحانه بأن شغلنا بذلك برهة من الزمان حتى منحنا من فضله في ذلك ما لا نطيق شكره على تعاقب الأوان، وذلك بملاقات سادات أخيار ومذاكرة اخوان أجلة أبرار، وكان من أجل الإخوان المعتمنين في ذلك بالتحقيق، الصارفين كليتهم إلى التحرير في فهمه والتدقيق السيّد الأحب الفائق، الدارك الأنجب الرائق، سيدي محمد بن عبد الرحمن البلبالي، أعجوبة الدهر وفريده الآلي، ذاكّرته في خلاصة ابن مالك ولاميته خصوصا، وباحثه

في مسائل من غيرها ظواهر ونصوصا فالفيتة بحمد الله ذا فهم ثاقب، وفهم بديع ونظر سديد صائب فاستفدت بذلك فوائد جليلة، وحصلت من أجله مسائل كثيرة غير قليلة، وكان حسن السيرة طيب السريرة حتى قاده حسن أخلاقه، وكريم أعراضه لطلب الإجازة من هذا العبيد الفقير، المُقرّ بالجهل والتقصير، مع علمه بنفسه أنه ليس من ناس هذا الميدان ولا من رجال نحو هذا الإيوان، وأنه ليس أهلا لأن يجاز فضلاً عن أن يُجيز.

ولما كان من أهل المحبة التي لا يتزلزل مرصوصها، ولا تُناول نصوصها، ولا تتغير فصوصها لبيت دعوته بعد تأخري، وأسعفت طلبته بعد اعتذاري فلم يقبل عذري فقلت: إني قد أجزت للأخ المذكور على الشرط المألوف في ذلك والمشهور في كل ما أجازني فيه شيخنا الهاللي، أكرمه الله بأعلى الفردوس فوقها المتعالي، ولم استتن عنه في ذلك فصلاً لعلمي بكونه لجميع ذلك أهلا.

على أني أوصيته كما أوصي نفسي أولاً بتقوى الله العظيم، وصرف أوقات العمر حسب الطاقة في محاولة التعلم والتعليم، مع الإخلاص في جميع ذلك، والوقوف عند المشكلات حتى تفتح بالمراجعة للاصول غلقها المغفلات، ومؤكداً عليه في إخلاص الدعوات لي ولوالدي وأحبابي وأشياخي الهداة، وفقني الله وإياه لما يحبه ويرضاه، وعاملني وإياه واحبتنا بلطفه فيما نحذره ونخشاه.

قال ذلك وكتب العبد الفقير لمولاه الغني به عن كل ما سواه محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن يوسف التواتي، عامله الله بعفوه فيما يذر ويأتي.

الملحق رقم 12

جدول خاص بالمواقع الأثرية لفترة ما قبل التاريخ لوارجلان¹

الرقم	إسم الموقع الأثري	الجهة	عيناته الأثرية	عصره
01	عرق التوارق	الجنوبية الغربية على بعد 20 كم	ذات الوجهين Bifaces	الحجري القديم
02	منطقة ملالة	الجهة الغربية على بعد 30 كم	نصال، بيض، نعام، رحي	الحجري الحديث
03	حاسي مويلح 1-2	الجنوبية الغربية على بعد 40 كم	قارورات، بيض، النعام، المكاشط	الحجري الحديث
04	الحمراية	الشمالية الغربية على بعد 40 كم	سهام، إبر، نصال	الحجري الحديث
05	القنيفة أو العروق	الشرقية على بعد 18 كم	سهام، شضايا، نصال	الحجري الحديث
06	باب منديل	الجهة الغربية على بعد 10 كم	سهام، شضايا	الحجري الحديث
07	البكرات	اجهة الشرقية على بعد 20 كم	سهام، شضايا	الحجري الحديث
08	حاسي المخادمة	الجهة الجنوبية الغربية	سهام، شضايا	الحجري الحديث
09	قارة كريمة	الجهة الجنوبية على بعد 18 كم	سهام، شضايا	الحجري الحديث

¹ - من إعداد الطالب المترشح، اعتمادا على: - مجلة ليبيا، Libyca : Tome xx 1972.

الملحق رقم 13
صورة لمسجد سيدي العابد¹



¹ - محمد علي بن رتيمة، مساجد تفرقت العتيقة ودورها في الحركة العلمية خلال القرن العشرين، ص 68.
- تمثل هذه الصورة المدخل الرئيسي لمسجد سيدي العابد من الجهة الجنوبية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : مخطوطات

- 01- إبراهيم أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، مخطوط بمكتبة العطف بني سحن، غرداية.
- 02- أبو زيد عبد الرحمان الجنتوري، معونة الغريم في بعض احكام قضاء الدين، مخطوط بخزانة الشيخ باي بلعالم، اولف، أدرار.
- 03- أبو عبد الله الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، المكتبة الوطنية القديمة، تونس، تحت رقم 44201.
- 04- أبو عبد الله بن احمد الفلاني، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدرار، الجزائر، الورقة 01/ وجه.
- 05- أبو عبد الله محمد الخرشبي، شرح الخرشبي على مختصر خليل، مخطوط بخزانة الطبيب الشاري، كوسام: تيمي، أدرار، الجزائر.
- 06- الأرواني مولاي أحمد بن بابكر، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكتو البهية، مخطوط بالمكتبة الزيدانية للثقافة نيامي النيجر.
- 07- محمد بن يوسف اطفيش، رسالة شافية في بعض التواريخ، مخطوط، معهد الدراسات الإسلامية، تحت رقم A 864 R،:C831.
- 08- محمد بن يوسف اطفيش، مخطوطات خزانة مؤلفات الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، مكتبة القطب، بني يزجن، غرداية، جويلية 2013م.
- 09- البكري بن عبد الكريم، إعلام الإخوان بأخبار بعض السادة الأعيان، مخطوط بخزانة القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار.
- 10- التمنطيطي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، جوهرة المعاني فيما لبث لدي من علماء الالف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، ادرار، الجزائر.
- 11- التمنطيطي، محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار.
- 12- جمعية التراث، فهرس مخطوطات مكتبة آل بدر، غرداية، الجزائر، فيفري 1994م، الصفحات: ي، ك.

- 13- جمعية التراث، فهرس مخطوطات مكتبة عشيرة آل خالد القرارة، الجزائر، مارس 1997م، الصفحات: م11، م12.
- 14- حاج أحمد الصديق، من أعلام التراث الكنتي المخطوط، الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007.
- 15- يحيى بن عيسى بوراس، الحياة الفكرية في منطقة ميزاب في القرنين: 9-10هـ/ 15-
- 16م، مخطوط أجوبة الشيخين سعيد الحربي وعيسى المصعبي أنموذجا، المنهاج، العدد الثاني، جمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، غرداية، الجزائر، فيفري 2023 م .
- 16- عبد الكريم بن محمد احمد التواتي، الرحلة في طلب العلم، نسخة مخطوطة بخزانة الشيخ احمد ديدي بتمنيط، ادرار، الجزائر، الورقة 01/ ظهر.
- 17- عبد الرحمان بن عمر التتلاي، تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التتلاي (فهرست التتلاي) مخطوط بخزانة تينيلان، أدرار.
- 18- مخطوط بخط محمد بن سليمان الغرداوي، خزانة دار التلاميذ غرداية، الرقم: 87 (إ 279)، مؤرخة في: 959هـ.
- 19- الشيخ ابراهيم بن عبد الرحمان اليسجني، المعدن المصون على صورة الكنز المدفون، مكتبة الإستقامة، بني يزجن، غرداية، الخزانة الأولى، الرقم: 9 (97).

ثانيا : المصادر

- 01- أ. ج هويكنز، التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية، تر: محمد فؤاد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، د ت ط.
- 02- أبا الصافي أحمد جعفري، محمد بن أب المزمري حياته وآثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004.
- 03- إبراهيم اليقطان، ملحق السير، ج 2، جمعية التراث، 1988.
- 04- إبراهيم بن الساسي، من أعلام الجنوب الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011.
- 05- ابراهيم بن بكير بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2000.

- 06- إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: إبراهيم بن بكير بحاز، ط1، العالمية، 2013.
- 07- إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الدار التونسية للنشر، 1977.
- 08- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، مج 02، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978.
- 09- ابراهيم عبد الغني الدوروي، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد، 2021.
- 10- ابن بطوطة، تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 2001.
- 11- ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج7، تح: سهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان، 2000.
- 12- ابن سعيد المغربي أبو الحسن، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 13- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983.
- 14- ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي كبير و آخرون ، دار المعارف، القاهرة،
- 15- ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مج3، نشر أدب الحوزة، إيران، 1405هـ.
- 16- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرجي، مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1927.
- 17- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954.
- 18- أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج 1، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د.ت.
- 19- أبو القاسم ابن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، 1884م.

- 20- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تح: محمد غالم، منشورات CRASC، وهران، 2005.
- 21- أبو عبد الله الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة و تحقيق المهدي الغالي، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار أبي رقيق للطباعة والنشر، 2013.
- 22- أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مج 2، تح: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 23- أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوردجاني، رحلة الوردجاني، تح: يحيى بن هون حاج أحمد، ط1، ص.ب، العطف، غرداية، 2006.
- 24- أبي الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ج1، ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979.
- 25- أبي حاتم السجستاني، كتاب النخلة، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، ط1، لبنان، 2002.
- 26- إحسان عباس، مج6، دار صادر، بيروت، 1978.
- 27- أحمد أبا الصافي جعفري، رحال في الشيخ محمد ايداوعلي حياته وشعره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008.
- 28- أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان، ليدن: مطبعة بريل، 1890.
- 29- أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، ط1، الدار البيضاء، الجزائر، 1954.
- 30- أحمد بن يوسف اطفيش، رحلة القطب، تح: وتعليق يحيى بن بهون حاج امحمد، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 31- أحمد جعفري ابا الصّافي، محمد بن أبّ المزمرى حياته وآثاره ، ط 1، الجزائر : دار الكتاب العربي، 2004.
- 32- أحمد جعفري أبا الصافي، رجال في الذاكرة، الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري 1198هـ حياته وشعره، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

- 33- آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، ط3، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.
- 34- سماوي صالح بن عمر، العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب، ج3، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2008.
- 35- اندري بريان وأندري نوشي وأين لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: رابح ومنصف عاشور، المطبوعات الجامعية، 1984.
- 36- البرتلي، أبو عبد الله الولاقي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- 37- الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، تح: محمد تامر وآخرون، م6، دار البيان العربي، القاهرة، 2006.
- 38- الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، تح: محمد تامر وآخرون، م6، دار البيان العربي، القاهرة، 2006.
- 39- حسن حافظي علوي، سجل ماسة وأقاليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، مطبعة فضالة، المغرب، 1997.
- 40- حسن حافظي علوي، سجل ماسة وأقاليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، مطبعة فضالة، المغرب، 1997.
- 41- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1974.
- 42- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1974.
- 43- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، المساجد: مفهوم وفضائل وأحكام، و حقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الخريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، السعودية، د.ت.
- 44- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، المساجد: مفهوم وفضائل وأحكام، و حقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الخريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، السعودية، د.ت.

- 45- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 02 ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دت.
- 46- الصديق حاج أحمد، من علام التراث الكنتي المخطوط، الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته واثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007.
- 47- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001.
- 48- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001.
- 49- عبد الرحمان الجوزي، ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي، د. ط، د، ت.
- 50- عبد الرحمان الجوزي، ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي، د. ط، د، ت.
- 51- عبد الرحمان بن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ والخبر، ج7، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1983.
- 52- محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر رجال الطريقة التجانية، ج1، محمد الراضي، دار كنون، دت.
- 53- محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغرا، تقديم: محمود بوعيداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981
- 54- مؤلف مجهول، الاستبصار في مخالب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- 55- هايريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر دود أبو العيد، ج3، (د،ط)، شركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980.
- 56- الونشريسي احمد، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، تج: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

- 01- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975.
- 02- إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تطبيق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، مطبعة تالة، 2007.
- 03- أبو القاسم سعد الله ، مجموع رحلات - رحلة الآغواطي الحاج ابن الدين-، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2013.
- 04- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، ج6، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005.
- 05- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998.
- 06- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 07- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2005.
- 08- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج1، تح: سعيد الفضلي، ط1، دار السويدي، الإمارات، 2006.
- 09- أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار المصادر للكتاب، لبنان، د ت ط.
- 10- أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية و يليه جغرافية القطر الجزائري، دار البصائر، الجزائر، 2009 .
- 11- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965.
- 12- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ/1931م.
- 13- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2005 .
- 14- أحمد خوضر، تقرت بين الحقيقة والأسطورة والمغالطة، د.ط، دار الخلدونية، الجزائر، 2019.
- 15- احمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2007.

- 16- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، ط3، النهضة المصرية، القاهرة، 1993.
- 17- احميدة عميراي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة -الجزائر-، 2009.
- 18- الأزرق أحمد، الكتابات القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- 19- اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 .
- 20- بالحاج بن بنوح معروف، العمارة الإسلامية ، ط1 ، قرطبة للنشر والتوزيع ، المحمدية ، الجزائر ، 2007 .
- 21- بكري عبد الحميد، سلسلة علماء توات، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008.
- 22- بشير بن عمر مرموري، الفتاة في ميزاب، ط1، جمعية التراث، غرداية، 2005.
- 23- بشير بن موسى الحاج موسى، الشيخ: سعيد بن علي بن يحي الخيري الجيري، ط2، م.ش.ع.س، غرداية، الجزائر، 2006.
- 24- بكير بن سعيد أعوش، ميزاب يتكلم تاريخيا عقائديا إجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر-، 1993.
- 25- بكير بن سعيد أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1991.
- 26- بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، ط1، قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2007.
- 27- بن أبي الفداء، تقييم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، 1830.
- 28- بن بكير سعيد يوسف، تاريخ بني ميزاب، ط2، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2005.
- 29- بن ساسي محمد شعشوع، الدليل الأساسي في توضيح نسب أولاد بن ساسي، ط2، دار هومة، الجزائر، 2010.
- 30- بن قرية صالح و آخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ط1، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

- 31- جابر عوض السيد، العمل مع الجماعات (أساسيات، مبادئ، نماذج)، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1999.
- 32- جعفري أحمد أبا الصافي، رجال في الذاكرة، محمد بن أبّ المزمرى، طبع دار الثقافة، أدرار، 2003.
- 33- جعفري أحمد، أبحاث في التراث مكتبة النهضة، القاهرة، 2009.
- 34- جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2000.
- 35- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، الإسكندرية، دار الوفاء، 2001.
- 36- جمال الدين الديناصوري ، جغرافية العالم (دراسة إقليمية)، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.
- 37- جيلاني صاري، دور البيئة في الجزائر، ط1، الجزائر، 1983.
- 38- الحاج ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي في شمالي إفريقيا والسودان والدرعية، تر:أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان-، 1990.
- 39- الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى(القرادي)، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب، غرداية ، الجزائر، 2008.
- 40- الحاج أيوب بن يحيى القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب، تحقيق: يحيى بن بهون حاج محمد، ط1، العالمية للطباعة والخدمات، العطف-غرداية-، الجزائر، 2009.
- 41- الحاج محمد بن الحاج يوسف(طفيش)، الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب، مطبعة حجرية قديمة، د ت ط.
- 42- حسابي مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- 43- حساني مختار، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، (د-ط)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011.
- 44- حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية-مدن الجنوب-، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

- 45- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.
- 46- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان-، 1983.
- 47- الحسن بن محمد لوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: حجي محمد والأخضر محمد، مج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
- 48- حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، السعودية، 1981.
- 49- حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1991.
- 50- حسين رضوان، نفحات في مطهرات النفوس وروض القلوب المستطاب، المكتبة المصرية، القاهرة، دس.
- 51- حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، 2003.
- 52- حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1981.
- 53- حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، 12 يونيو 2018.
- 54- حلومي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر (طبيعية - بشرية - اقتصادية) ، دمشق، ط2، 1968.
- 55- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب وتح: محمد العربي الزيري، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 56- الحمدي أحمد، الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012.
- 57- هو عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، مطبعة البعث، الجزائر، د.ت.
- 58- خير الدين شترة، محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر، ج1، دار ابن الطفيل، الجزائر، 2011.

- 59- ديس بيلى، معالم تاريخ ورقلة (1872-1992)، تر: علي إيدير، ورقلة، 1995.
- 60- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000.
- 61- الرازي زين الدين، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر وحمزة فتح الله، دار البصائر، دمشق، 1987.
- 62- رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، الجزائر، 1979.
- 63- رشيد بورويبة، مدن مندثرة، سلسلة فن وثقافة، العدد 13، الجزائر، 1981.
- 64- سلطان وارجلان، رسالة إلى الشيخ باسة بن موسى، تح: سليمان بن محمد بومعقل، عمل مرقون، 1995.
- 65- سيد عمر، محمد عبد العزيز، قطف الزهرات من اخبار علماء توات، ط 2، دار هومة، الجزائر، 2002.
- 66- الشيخ إبراهيم بن باحمان (ت. 1817) رحلة المصعبي، تح، يحيى بن باهون حاج أحمد، مطبعة العالمية للطباعة والخدمات P.S.M، الجزائر، 2006.
- 67- الشيخ باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمآثر، دار هومة، الجزائر، 2004.
- 68- الصادق بن أحمد العروسي التجاني، العرف الريحاني في ترجمة سيدي الحاج علي التماسيني، تر: أحمد العروسي التيجاني، المطبوعات الجميلة، 1436-1437هـ/2015م.
- 69- صالح بن عمر أسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، الحلقة الثانية، م.ف.ج، الجزائر، 2008.
- 70- صالح بن عمر (أسماوي)، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، ج2، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2008.
- 71- الصديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 هـ إلى القرن 14 هـ، ط 2، منشورات الحبر، الجزائر، 2011.
- 72- صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البرق، بيروت، 2002.
- 73- ضيف الله ابن أب، الرحلة لزيارة قبر الوالد، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، أدرار، الجزائر.

- 74- الطاهر المنصور، الدار الموصوف في تاريخ سوف، ج2، (د،ط)، مديرية الثقافة لولاية الوادي، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2011.
- 75- عبد الحليم دحماني، انقوسة المدينة المغمورة، ذاكرة تاريخية، دار الشباب، انقوسة، 2001.
- 76- عبد الحميد إبراهيم قادري، التعريف بوادي ريغ، (د،ط)، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، 1999.
- 77- عبد الحميد إبراهيم قادري، سنوات البارود بمنطقة المغير، مديرية الثقافة، الوادي، 2014.
- 78- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات واعلامها من القرن 9 الى القرن 14هـ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005.
- 79- عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008.
- 80- عبد الحميد قادري، تقرت البهجة قراءة تاريخية واجتماعية، مطبعة الإسكندرية، قسنطينة، 2011.
- 81- عبد الرحمان بن إدريس (التنلاي التواتي)، رحلة من توات إلى الجزائر العاصمة 1233هـ/1817م، تح:مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع، نشرت ضمن ثلاث رحلات مغاربية المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 82- عبد الرحمان حاجي، ورقلة تاريخ وحضارة، د د ط، ج2، 2011.
- 83- عبد الرحمان حاجي، ولكم في النخلة حياة يا أولي الألباب، (د د ط)، الجزائر، 2012.
- 84- عبد الرحمان حجازي، التربية الإسلامية في القيروان، المكتبة العصرية، بيروت، 1997.
- 85- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 86- عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
- 87- عبد العزيز بن عبد الله، الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ، ط1، دار نشر المعرفة، المغرب، 2001.
- 88- عبد العزيز راس مال، الزوايا والأصالة الجزائرية - بين التاريخ والواقع - ، دراسة أنتروبولوجية حول صحراء تلمسان وأطرافها، ج2، منشورات تالة، الجزائر، د ت .
- 89- عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط2، دار هومة الجزائر، 2002.

- 90- عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة، د.غ.ن.ت، الجزائر، 2007.
- 91- عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، كنوز الحكمة، تلمسان، الجزائر، 2011.
- 92- عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر (طبيعية-بشرية- إقتصادية)، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقة وشركائها، ط1، الجزائر، 1968.
- 93- عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين (1493-1591)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 94- عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و1954م، دار طليطلة ديار الخمس، المحمدية، الجزائر 2013.
- 95- عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي: 1920-1954م، د.ط.د.خ، المحمدية، الجزائر، 2013.
- 96- عبد القادر نوحه، وادي ريغ في مشبك الأحداث ببلاد المغرب، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2016.
- 97- عبد القادر نوحه، ستارة بين أمجاد الماضي وحواضر اليوم (تاريخ وحضارة)، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2011.
- 98- عبد الله السايح، صفحات من تاريخ ورقلة، دار هومة، الجزائر، 2010.
- 99- عبد الله عبد الرزاق مناع، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1990.
- 100- عبد الله نوح، النظم التقليدية العرفية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993-1994.
- 101- عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة اولف العريقة، (د.ن)، الجزائر، 2006.
- 102- عزيز سامح التز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1989.
- 103- عشراي سليمان، الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

- 104- علي ابن موسى ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، (د،ط)، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970.
- 105- علي بن خليفة، العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني، ط1، مطبعة دار الجائزة، القبة، الجزائر، 2015.
- 106- علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1986.
- 107- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- 108- عمر بن عبد القادر التتلائي، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة ابن الوليد، قصر باعبد الله، أدرار.
- 109- عمر بن محمد العدواني، تاريخ العدواني، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996.
- 110- عمر سليمان بوعصبانة، الحياة العلمية بمنطقة أريغ...، ع 1، الطبيعة العربية ، غرداية، 2007.
- 111- عمراوي احمدية، السياسية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة -الجزائر، 2009 .
- 112- عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقية في مرحلة الكتمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ت.
- 113- عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الوفاء ودار الصحوة، القاهرة، 1991.
- 114- العياشي، أبو سالم، ماء الموائد (رحلة العياشي)، مخطوط بخزانة المطارف، ج 1، ادرار، الجزائر.
- 115- غانم محمد الصغير، مقالات حول تراث منطقة بسكرة و التخوم الأوراسية، منشورات جمعية التاريخ والتراث الأثري بباتنة، ب ت ن.
- 116- فاطمة مسدالي، مكانة الكتابيب القرآنية في التعليم الأولي بالبادية المغربية، مجلة البحث العلمي، المغرب، العدد51، يناير 2009.

- 117-الفتح بن محمد بن محمد بن خاقان، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تح:محمد العناني، ج1، المكتبة العتيقة، القاهرة، 1968.
- 118-فرج محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين 18 و19، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977.
- 119-فون مالتسان هينريش، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر:دودو أبو العيد، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- 120-فيلاي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية، ط1، دار الفن الجرافيك للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، د.ت.
- 121-قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر، ط1، جمعية التراث، غرداية-الجزائر-، 2001.
- 122-قدي عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، (د.ن)، الجزائر.
- 123-لعروق محمد الهادي، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة -الجزائر-، 1998.
- 124-مارمول كرنخال، إفريقيا، تح:محمد حجي ومحمد الأخضر، ج3، دار المعرفة، الرباط، 1989.
- 125-مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- 126-مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين قوات والسودان العربي خلال القرن 12 هـ، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2000.
- 127-المجلس الأعلى للغة العربية، الأدب الأمازيغي في الجنوب الجزائري (أعلامه و قضاياها الفنية و الموضوعية)، منشورات المجلس، 2018.
- 128-مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، د.ط، دار الشؤون الثقافية، العراق، د.س.
- 129-محمد أسد، الطريق إلى الإسلام، تر:عفيف البعلبكي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.
- 130-محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1908.

- 131- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القبة-الجزائر-، 2007.
- 132- محمد الصغير الوفراي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق هوداس، انجي: مطبعة بردين، 1888م.
- 133- محمد الصغير بن العمودي، تقرت عاصمة وادي ريغ، المطبعة العصرية للوائح، تقرت- الجزائر، 1995.
- 134- محمد الطاهر بن دومة، مذكرة أخبار تاريخية لمدن وادي ريغ، تقديم وتحقيق عبد الجواد محمد الطاهر وبيكري محمد السعيد، المطبعة العصرية للوائح، تقرت، 1415هـ/1995م.
- 135- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين (1792-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- 136- محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998.
- 137- محمد بالمشري الحسني السائحي السباعي، روض المحب الفاني فيما تلقيناه من سيدي أبي العباس التجاني، كتاب ناشرون، بيروت، 2013.
- 138- محمد باي بلعالم، الغصن الدابي في ترجمة عبد الرحمن بن عمر التنيلاي، دار هومة، الجزائر، 2004.
- 139- محمد بغداد، تماسين جوهرة الصحراء، دار الحكمة للنشر والترجمة، الجزائر، 2010م.
- 140- محمد بن معمر كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005-2006.
- 141- محمد ححامي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، المغرب 1969.
- 142- محمد ححامي، موسوعة أعلام المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ج7.
- 143- محمد حوتية، توات و الأزواد خلال القرنين 12 هـ و 13 هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، الجزائر دار الكتاب العربي، 2007، ج1.
- 144- محمد رزوق ، دراسات في تاريخ المغرب ، ط 1 ، الدار البيضاء : أفريقيا الشرق ، 1991 م .

- 145- محمد صالح ناصر، القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب (معهد الحياة نموذجاً)، الحياة، العدد 01، المطبعة العربية غرداية، الجزائر، 1997م.
- 146- محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد، ملامح المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1959.
- 147- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 3، المطبعة العربية الجزائرية، 1969، الجزائر.
- 148- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم، الكويت، 1987.
- 149- محمد فتحه النوازل الفقهية والمجتمع في تاريخ الغرب الإسلامي بين القرنين 12- 15 م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999.
- 150- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930.
- 151- محمد السويدي، بدو الطوارق بين التغيير والثبات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- 152- محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد، ملامح المغرب العربي، الإسكندرية، 1959م.
- 153- محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1985.
- 154- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، ج8، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000.
- 155- محمود علي عامر و محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى - ليبيا"، جامعة دمشق، سوريا، 2000.
- 156- محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر هوداس، باريس، 1964.
- 157- مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، دار الهدى للنشر، عين مليلة - الجزائر، 2011.
- 158- مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب، ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

- 159-مذكرات وليام شالر، فنصل أمريكا في الجزائر، ترجمة:إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
- 160-مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1996.
- 161-مصطفى بن صالح باجو، أبو يعقوب الوجيهاني أصوليا، ط2، وزارة التراث والثقافة، عمان، 2007 .
- 162-مصطفى سويف، الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، دراسة ارتقائية تحليلية، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1980.
- 163-معمار علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، ج1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر .
- 164-مؤسسة الشيخ " عمي سعيد"، فهرس مخطوطات خزانة "الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو اليسجني"، غرداية، الجزائر، جانفي 2015م.
- 165-موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 ، الجزائر، 1981.
- 166-مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة في ابراز شخصيات من علماء وصالحى اقليم، توات، منشرات الديوان الوطني للنشر والاشهار، الجزائر، ج3، 2005.
- 167-مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المقاربة للعهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- 168-مولاي بلحميسي،الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1981.
- 169-مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، الدار البيضاء، 2004.
- 170-موهوبي عبد القادر، آل البيت في الجزائر والعالم العربي والإسلامي(تحفة الأوراد في سند الأجداد)، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2009.
- 171-ميلود سرير، دور الزوايا الثقافى والعلمى فى منطقة توات، ج2، فرقة بحث جامعة أدرار، الجزائر، 2000.
- 172-ناصر الدين سعيدوني و المهدي بوعبدلي، الجزائر فى التاريخ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

- 173- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2000.
- 174- النوري حمو محمد عيسى، دور الميزابين في تاريخ الجزائر قديما، مطبعة البعث، ج1، (د،ت،ط).
- 175- الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة-مصر-، ط1، 1999.
- 176- الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، 1999.
- 177- يوسف الكتّابي، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، ج1، بيروت.
- 178- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ط2، المطبعة العربية، غرداية، 2005.
- 179- يوسف بن بكير، الحاج سعد، بلدة بن يزقن من خلال المجتمع المدني، مطبعة الافاق بني يزقن، غرداية، الجزائر، 2013.
- 180- يوسف بن بكير، الحاج سعد، بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، مطبعة الجيش، الجزائر، 2007.

رابعا : ملتقيات ومنشورات

- 01- أحمد العروس، الطريقة التجانية بالجزائر من 1781 - 2004، منشورات الزاوية التجانية، تماسين، 2004.
- 02- أحمد جعفري أبا الصّافي، أدب المقاومة في توات دراسة في الأعلام والمظاهر ، أعمال الملتقى الوطني الرابع " إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث "، جامعة أدرار، 19-20 أبريل 2010 .
- 03- أحمد حمدي وآخرون، فصل الصحراء في السياسة الإستعمارية الفرنسية، دراسات وبحوث، الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة

الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، سلسلة ملتقيات، ورقلة-الجزائر-، 15-16-17
أفريل 1996.

04- أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني
لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954.

05- امبارك جعفري، تنقل علماء توات من حاضرة القرويين بفاس، خلال القرن 12هـ، الملتقى
الوطني الأول المشترك بين جامعتي ادرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر
المغرب الإسلامي، ادرار 14-15 ابريل 2009.

06- باعثمان عبد الرحمن، الدور العلمي للزوايا التيلانية، الملتقى الوطني الرابع حول إسهامات
علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث (1500م، 2000م)، كلية العلوم
الإسلامية والعلوم الاجتماعية، جامعة أدرار، أيام 04-05 جمادى الأولى 1431هـ الموافق لـ:
19 - 20 افريل 2010.

07- بكرأوي عبد العالي ومرشدي شريف، دور المدارس القرآنية -الكتاتيب- في الحد من ظاهرة
العنف، أعمال الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، مخبر الوقاية والأرغوميا،
جامعة الجزائر 2، العدد 04، يومي 07-08 ديسمبر 2001.

08- بن خويا إدريس، خزانة مولاي سليمان بن علي والمخطوطات المتواجدة بها، دراسة وصفية،
الملتقى الوطني الثالث حول البحث العلمي ودوره في خدمة التراث، جامعة أدرار، أبريل 2008.

09- بلقاسم منصور، الطريقة الرحمانية وأثرها في تشكيل الوعي الثقافي، محاضرات ومدخلات
الملتقى الوطني العاشر، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات، بسكرة، 2015.

10- بليل رشيد، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المآثور الشفهي والمناقي والأخبار المحلية،
ع3، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2008.

11- بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر:الهادي أبولقمة ومحمد عزيز، منشورات
جامعة قاريونس، بنغازي-ليبيا-، ط2، 1988.

12- تھامي غيتاوي، سلسلة النواة في ابراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، منشورات
الديوان الوطني للنشر والاشهار، ج02، الجزائر، 2005.

13- رابح رمضان، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة
الأغواطي، مقال ضمن الملتقى الوطني الثاني حول:الحياة الإجتماعية والإقتصادية في الجنوب

- الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، جامعة الوادي، 24-25 جانفي 2012.
- 14- يوسف تلمساني، الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842، أشغال ملتقى مقاومة الشريف بن عبد الله، ورقلة، 1998.
- 15- يمينة بن صغير حضري، الحياة الاقتصادية بمنطقة وادي ريغ، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب، تقرت، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، 1998.
- 16- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009 .
- 17- نجاح عبد الحميد، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الإحتلال إلى الإستقلال، الوادي، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، الآمال للطباعة، 2003.
- 18- مؤلف مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، تح7: مختار حساني، الجزائر، منشورات دحلب، 1999.
- 19- مطبوعة الزاوية التجانية بين الأمس واليوم، منشورات الزاوية التجانية بتماسين، ط3، مطبعة sib، كوينين، الوادي، 2008.
- 20- محمد بن معمر، علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، تقرت، 23-24 أفريل 1998 .
- 21- محمد باي بلعالم، التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية و حضارتها، محاضرة مطبوعة، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988.
- 22- محمد الصالح حوتية، رحلة الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التتلايني إلى ثغر الجزائر المحروسة، في أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والإقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 18 و19م من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي بالوادي، يومي 24-25 جانفي 2012.
- 23- عبد الرحمان بعثمان، الدور العلمي للزاوية التتلاينية، الملتقى الوطني الرابع "اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية ابان العصر الحديث" 19-20 أفريل 2010 .
- 24- عبد الحميد بورايو، الجزائر، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 2008.

- 25- عبد الحميد إبراهيم قادري، التركيبة البشرية لسكان لواد ريغ أيام بني جلاب، أعمال المنتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، أيام 23-24 أبريل 1998.
- 26- رشيد بليل، قصور قورارا وأولياؤها الصالحون في المآثور الشفهي والمناقب والاخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، 2008 .

خامسا: الأطاريح والرسائل

- 01- أبو اليقظان بن الحاج الشيخ أحمد، البث الإذاعي المسجدي في المجتمع الميزابي، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009-2010م.
- 02- أحمد ذكار، الروابط الاجتماعية والإقتصادية بين وارجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث من 1552م إلى 1854م، إشراف: مختار حساني، رسالة ماجستير مقدمة لنيل شهادة علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، 2015-2016.
- 03- الأزهاري عبا، نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال (1603-1884م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013-2014.
- 04- إلياس بن عمر حاج عيسى، مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (10-04هـ / 10-16م)، رسالة ماجستير، إشراف: عبد العزيز لعوج، جامعة الجزائر، 2008-2009.
- 05- بابا عبد الله، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الاجتماعية والاسلامية، جامعة ادرار، 2011-2012.
- 06- باعثمان عبد الرحمان، فهرسة عبد الرحمان بن عمر التواتي، دراسة وتحقيق رسالة ماجستير في التاريخ العام، إشراف: محمد بن معمر، جامعة بشار، قسم التاريخ، 2009.
- 07- بلحاج معروف، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي ميزاب -من خلال بعض النماذج-، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2002.

- 08- بخدا مريم، أعلام العائلة النيلانية، ودورهم العلمي ودورهم العلمي خلال القرنين 11هـ / 12هـ، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة أدرار، إشراف شترة خير الدين، 2013/2012.
- 09- بهية عبد المؤمن، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين (18-19م) من خلال نوازل الغنية البلبلية، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف د. محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006/2005.
- 10- بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستير، قسم تاريخ، جامعة أدرار، 2013-2012.
- 11- بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستير، قسم تاريخ، جامعة أدرار، 2013/2012.
- 12- جمعة مسكين وآخرون، السياسة التعليمية في الجزائر وأثرها في تكوين النخبة (1318-1359هـ/1900-1940م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، المركز الجامعي غرداية، (1431-1432هـ/2010-2011م).
- 13- خواجه عبد العزيز، الضبط الاجتماعي ومعوقاته في وادي ميزاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1999-2000م.
- 14- حناي محمد، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية (1803-1954م)، رسالة ماجستير، تخ: تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الوادي، 2014.
- 15- رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي 1852-1875م، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2006-2007م.
- 16- سالم بوتدارة، الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2015-2016.
- 17- صالح بوسليم، الصناعة التقليدية بمنطقة تيديكلت صناعة الفخار والجلود نموذجاً، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2001-2002.
- 18- طموز عبد الكريم، تحقيق فهرس شيوخ عمر بن عبد القادر التنلاني، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، إشراف: بوبة مجاني، 2010/2009.

- 19- عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيره في بلاد السودان الغربي بين القرنين 9-10هـ/ 15-16م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بشار قويدر، جامعة الجزائر، 2000-2001.
- 20- يمينة حضري بن صغير، قصور وادي ريغ "تمرنة أنموذجا" ما بين القرنين 13-08هـ/19-14م، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2013/2014م.
- 21- يعقوب يحي كوني، منهاج التربية والتعليم عند الإباضية في المغرب الإسلامي -نظام العزابة- نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة اربيس-الو.م.ا، 2015-2016م.
- 22- نفيسة بلخضر، مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: صالح بوسليم، جامعة غرداية، 2015-2016.
- 23- نويجم حدة، آثار الإمام المغيلي في العلوم الشرعية وأماكن العثور عليها، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي 2001/2002.
- 24- ناصر بلحاج، النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة ما بين القرنين 15 و19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 2013-2014.
- 25- معاذ عمراني، أسرة بني جلاب في منطقة واد ريغ خلال القرن 19 و 20م دراسة سياسية و اجتماعية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، كلية الأدب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2002-2003م.
- 26- مصطفى رياحي، الأوقاف الإباضية "دراسة حالة الأوقاف الإباضية بوادي ميزاب"- غرداية-، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي، إشراف: سماتي محفوظ، 2006-2007.
- 27- محمد حناي، الحياة الثقافية في زاوية تماسين التجانية 1830-1954، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2014.
- 28- محمد جوادي، نوازل الزجلوي دراسة وتحقيق رسالة دكتوراه، إشراف: سعاد سطحي، جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، قسنطينة 2010/2011.

- 29- محمد الحاكم بن عون، أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة (1336-1403هـ / 1918-1982م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، علم المخطوط العربي، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011 .
- 30- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان، السنة الجامعية: 2005-2006.
- 31- قبالة مبارك، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، رسالة ماجستير في علم الآثار، تخصص آثار صحراوية، 2009-2010.
- 32- عمر سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان (296-626هـ/909-1229م)، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: محمد ناصر، المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر، 1991-1992 .
- 33- عمر بن محمد زعابة، اليات وطرق حفظ وتسيير التراث المبني في وادي مراب، أطروحة دكتوراه. ل.م.د في العلوم، جامعة أبي بكر، تلمسان، 2015-2016.
- 34- عليق ريجة قصر ملوكة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2001-2002 .
- 35- على بومدين، الفنون والعادات التقليدية وأهميتها في التنمية البشرية، دراسة نموذجية لمنطقة توات، رسالة ماجستير في الفنون قسم الثقافة الشعبية، إشراف: عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2009 - 2010.
- 36- عبد المنعم القاسمي الحسيني، الطريقة الخلوتية الرحمانية (الآثار والأصول) منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص: عقيدة، جامعة الجزائر، 2008-2009.
- 37- عبد القادر خليفة، تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية "دراسة سسيو أنثولوجيا لمدينة تقرت وادي ريغ"، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2010-2011م.

- 01- مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 2000.
- 02- أبي الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج3، د ت ط.
- 03- باجو (مصطفى بن صالح) وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط2، 2000.
- 04- بن ساسي إبراهيم، من أعلام الجنوب الجزائري، مطبعة ENAG، الجزائر 2011.
- 05- سي علي بن محمد، أعلام وأختام، ج1، مطبعة SIB، كوينين، الوادي، الجزائر، 2013.
- 06- سامح كُرَيْم، موسوعة أعلام المجددين في الإسلام من القرن السادس حتى القرن الثاني عشر هجري، ج2، القاهرة، أكتوبر 2008.
- 07- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، مكتبة لبنان، لبنان، 1999.
- 08- يوسف حليس، الموسوعة النباتية لمنطقة سوف (النباتات الصحراوية الشاسعة في منطقة العرق الشرقي الكبير)، ومراجعة وتقديم الدكتور السنوسي محمد مراد، الوليد، الوادي، 2007.
- 09- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1997.
- 10- محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 2000.
- 11- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، مادة: جوز، 2005.
- 12- محمد بن عبد الرحمن البلبالي، غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط بخزانه ملوكة، أدرار، الجزائر.
- 13- محمد بابا عمي وآخرون، معجم اعلام الاباضية قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2005.
- 14- عبد القادر موهوبي، معجم الصفوة، ج1، تين للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.
- 15- معجم مصطلحات الإباضية، الجزء الثاني ص-ي، سلطنة عمان، وزارة الشؤون الدينية، 2008.

16- يوسف حليس، الموسوعة النباتية لمنطقة سوف (النباتات الصحراوية الشاسعة في منطقة العرق الشرقي الكبير)، ومراجعة وتقديم الدكتور السنوسي محمد مراد، الوليد، الوادي، 2007.

ثامنا: المقالات

- 01- أحمد البوزيدي، مؤسسة الزوايا بوادي درعة القرنين 10-11هـ / 16-17م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة أمل: التاريخ والثقافة المجتمع، المغرب، عدد مزدوج 19-20، السنة السابعة، 2000.
- 02- أنساعد سميرة، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة دراسات، العدد الثاني، ديسمبر 2012.
- 03- بشير بن موسى الحاج موسى، نافذة على مخطوطات الخزانة العامة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية، مجلة المنهاج، ع:2 جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش غرداية، الجزائر، فيفري 2013م.
- 04- بوسليم صالح، مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13هـ بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة الواحات، عدد 9، جامعة غرداية، جوان 2009.
- 05- حيمي عبد الحفيظ، من صحراء الجزائر في الكتابات الجغرافية ومدونات الرحالة المغاربة، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 3، العدد 1، يناير 2020.
- 06- حميد زيدور، التاريخ والمؤرخون في وارجلان الإباضية على عهد الموحدين (أبو يوسف بن ابراهيم الوارجلاني نموذجاً)، مجلة عصور جديدة، ع3-4، جامعة وهران، خريف 1432-2011/شتاء 1433هـ-2012م.
- 07- رضوان شافو، من أعلام الحركة الإباضية بورجلان (ورقلة) خلال القرن الخامس هجري، قسم التاريخ، المركز الجامعي الوادي، فبراير 2011.
- 08- رضوان شافو، العلاقات السياسية بين الدولة العثمانية والإمارات الصحراوية في الجزائر (إمارة بني جلاب بوادي ريغ أنموذجاً)، مجلة القرطاس، العدد الثاني، جانفي 2015.
- 09- سعود الخثلان، دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد السودان الغربي فيما بين القرنين 3-5هـ / 9-11م، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، ع5، 1992.

- 10- شارل فيرو، بني جلاب سلاطين تقرت، الجلة الإفريقية، العدد 23، 1879.
- 11- عبو الطاهر، التعايش اللغوي بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري: الزناتية والعربية بمنطقة قورارة أمودجا، مجلة رفوف، مج 08، ع 02، 2020.
- 12- يحي بوعزيز، طريق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، مجلة الثقافي، العدد 59، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1980.
- 13- يحي بن عيسى بوراس، الحياة الثقافية في منطقة ميزاب خلال العصرين الوسيط والحديث، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 14، 2012.
- 14- ناصر الدين سعيدوني، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، الجزائر: وزارة التربية الوطنية، عدد خاص، رقم 41، 1977.
- 15- ناصر بلحاج، الماء في حواضر الصحراء، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، غرداية، 2011.
- 16- مولاي بلحميسي، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، الجزائر: وزارة التربية الوطنية، عدد خاص، رقم 41، 1977.
- 17- مصطفى بن صالح باجو، علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، ط2، جريدة السبيل للنشر، يونيو 2007.
- 18- مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مكتبة الشيخ أبي عبد الله الحاج محمد بن سعيد، المنهاج، ع: 1، جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، غرداية، نوفمبر 2011 م.
- 19- مصطفى بن الحاج بكير، الشيخ أبو عبد الله الحاج محمد بن سعيد، محاضرة بجامعة غرداية بمناسبة تظاهرة ثقافية في قسنطينة، أفريل 2018 م.
- 20- مراح سميرة، سايعي سعاد مسعودة، دور علماء المغرب الإسلامي ببلاد الحجاز خلال العصر الوسيط-الكتاتيب امودجا-، مجلة النوازل الفقهية والقانونية، مج 07، ع 02، جامعة الجزائر، 2023.
- 21- محمود عامر: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع 117-118 كانون الثاني-حزيران، 2012.
- 22- لغربي نسيم، التاريخ الاجتماعي لإقليم وادي ريف من خلال كتب الرحالة، مجلة دراسات تاريخية، مج 10، ع 1، مركز البصيرة، 2022/04/16.

- 23- عبد الله رزوقي، واقع الزوايا في إقليم توات، بين مقتضيات الأصالة ومتطلبات الرسالة، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، العدد 14، جويلية 2010.
- 24- عبد القادر كركار، الجنوب الجزائري من المقاومة إلى الثورة التحريرية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الوادي، 31-12-2012.
- 25- عبد الرزاق ابن علي، النخيل المنشأ والتوزيع الجغرافي والقيمة الغذائية، مجلة القباب، العدد 008، دار الثقافة، الوادي، 2014.

تاسعا: المراجع باللغة الاجنبية:

- 1) ADec, Motylinski, Guerara depuis sa fondation. Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1885.
- 2) AGP Martin ; Les Oasis Sahariennes, Alger, 1908.
- 3) André-RogerVoisin, Le Souf (Monographie), El- walid el- oued, 2004,.
- 4) Aumassip(G),Chaid-saoudiv(Y), préhistoire du sahara et de ses abords,Maisonneuve Ed,Paris, 2004.
- 5) Ben Youcef brahim, Le Mazab parcours millenaire, edition Alpha, alger, 2010.
- 6) Bernard Saffroy , chronique du Touat , Ghardaia : C-D-S, p 05 .
- 7) Brigol Madeleine Rovilois, Le pays de Ouargla (sahara Algerien), paris, 1975.
- 8) Charle Amat, Le M'zab et les Mozabites, librairie algérienne et coloniale, Paris.
- 9) Cherbi, Massensen,Louvain-la-Neuve : De Boeck, DL 2015, cop, 2015.
- 10) Claude Pavard, lumières du m'Zab, sned, Alger,1974.
- 11) Commandant Robin, Le Mzab et son Annexion a la France, Adolphe Jourdan. Alger, 1884.
- 12) Denys pillet, Histoire de Ouargla essai de chronologie, Ouargla, 2011.
- 13) Féraud .Charel, Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les Ben djallab de Touggourt ,in R.A , N°23, 1880.

- 14) Ginette Aumassip, Néolithique sans poterie de la région de l'Oued Mya(Bas-Sahara), Alger, 1972.
- 15) J. C(Echalier), Notule sur une mosquée du Touat, un le saharien, Paris, 1-2 trim. 1969.
- 16) J. Huguet, Le Pays du Mzab (1898), Bax Editions, P.D.F. © 2011.
- 17) Jacob Oliel, Les juifs au Sahara, Le Touat au Moyen Age, GNRS Edition, Paris, 1994.
- 18) Jean Lethielleux, Ouargla cité Saharienne, Paul Geuthner, Paris, 1984.
- 19) Jean-Pierre Durand; Habib Tengour , L'Algérie et ses populations, Bruxelles : Editions Complexe, 1982.
- 20) L. Rouire, Le Sud Ouest Oranais Et Le Touat, Revue De La Société De Géographie, Oran, 1891.
- 21) Le Colonel C.Trumelet, Les Français dans le desert, bibliothèque Algerienne et coloniale, Paris, 1863.
- 22) M.Mauroy, Du commerce des peuples de l'Afrique Septentrionales dans l'antiquité, moyen age et les temps modernes, Paris, 1945.
- 23) Mandiville G: L'Algérie méridionale et le Touat, Paris, 1898.
- 24) Mario vivarer : Au Sujet du Touat, Alger : librairie Michel Ruff ,1896.
- 25) Martin A.G.P : quatre siècles d'histoire marocaine (1504-1904), paris.
- 26) Maurice Jardon,Ouargla, tra: J.Delheure, Algérie, 1970.
- 27) Maurice.jardon: texte berbres; traduit et annotec par.j.delheure, fichier de documentation berbère.fort-national ,Alger. 1970.
- 28) Mauroy, Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale, Paris, 1845.
- 29) P. Huard, p Lefebvre, J. L. Plessis, François-Félix Jacquot (1819-1857), communication présentée à la séance 10 /12/ 1983 , Société Française d' histoire de la médecine.
- 30) P.Passager, Ouargla Sahara Constantinois, Institut pasteur d'Algérie, 1957.

- 31) Paul soleillet, l'Afrique occidentale(Algérie –M' Zab- Tidikelt), Avignon imprimerie de f Seguin aine,1877.
- 32) Paul Solleillet, L'Afrique occidentale : Algérie, Mzab, tidikelt, editeur challamel.Ainé, Paris, 1877.
- 33) R.Furon, le sahara(géologie,ressources,minérales), payot, paris, 1964.
- 34) Reclus Elisée: Nouvelle Géographie universelle, T.XI (L'Afrique septentrionale), Paris, 1886.
- 35) René basset, Les manuscrites Arabes, des bibliothèques des Zaouias de Ain Mahdhi et Temacine et de Ouargla et de Adjaja, Bulletin de Correspondance Africaine ,tome 3,Alger ,1885.
- 36) Rig (capitaine),L'artisanat a Tamenti, Institue d recherche sahariennes , Alger , 1961.
- 37) Robert Come Vin, Histoire de L'Afrique; imprimerie Bussière, Paris, 1962.
- 38) S.Hannachi,Inventaire varital de la palmeraie Algerienne ,Anepm Rouiba Algerie,1999.
- 39) Saoudi Noredine, ALINSAN: Revue de Préhistoire et d'Anthorologie culturelle, N°1, 1983.
- 40) V. ALMAND, D'Alger à Ouargla, Adolphe Jourdan, Alger, 1890.
- 41) H.Cuny , les déserts dans le monde, payot, paris, 1961.

عاشرا : المواقع الالكترونية

- 1- ar/www.almaany.com ، اطلع عليه يوم :2022/12/30 على الساعة 21:48.
- 2- "الصحراء الجزائرية تسبح فوق بحر من المياه العذبة"، www.aljazeera.net، مؤرشف من الأصل في 12 يونيو 2020، اطلع عليه بتاريخ 22-07-2022 على الساعة 15:32. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، أحمد باي بن عبد الله المملوك، الموقع:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D8%A7%D9%8A_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%85%D9%84%D9

83%D9%88% ، اطلع عليه يوم: الثلاثاء 06 فيفري 2024 على الساعة: 22:33

3- الإذاعة الجزائرية، نشر يوم: 2023/04/21، ورقة مسجد سيدي بعفافو منارة دينية من

التراث العريق، اطلع عليه يوم: الخميس 14 سبتمبر 2023، الرابط:

[:news.radioalgerie.dz/ar/node/2573//https](https://news.radioalgerie.dz/ar/node/2573)

قاموس المعاني على الموقع. www.almaany.com: اطلع عليه يوم: الثلاثاء 29 أوت

2023 على الساعة: 15:25.

الملخص:

ملخص باللغة العربية:

تتمحور هذه الدراسة حول إلقاء الضوء على الحواضر الرئيسية التي شهدت نشاطاً ثقافياً وعلمياً ملفتاً في الجنوب الجزائري، وذلك من خلال استعراض جهود العلماء في هذه المناطق ومساهماتهم في تنمية المنطقة على الرغم من التحديات الجغرافية الصعبة.

كما تسلط الدراسة الضوء على الأثر الحضاري لهذه الجهود على المجتمع وفعالياته، وتأثيراتها على البيئة الثقافية والعلمية. وتركز الدراسة على مراكز الإشعاع الثقافي في مناطق مثل وادي ميزاب، توات، وارجلان، ووادي ريغ، حيث أصبحت هذه المناطق محطة للباحثين وطلبة العلم بفضل الإنتاج الفكري والعلمي الذي تقدمه.

الكلمات المفتاحية: مراكز الإشعاع الثقافي - وادي ميزاب - توات - وارجلان - وادي ريغ -

علماء - الجنوب الجزائري.

ملخص باللغة الإنجليزية:

This study focuses on highlighting the main cities that have witnessed significant cultural and scientific activity in southern Algeria. This is done by reviewing the efforts of scholars in these areas and their contributions to the development of the region despite the challenging geographical conditions. The study also examines the cultural impact of these efforts on society and its events, as well as their effects on the cultural and scientific environment. It specifically concentrates on cultural hubs in areas such as the M'zab Valley, Tuat, Ouargla, and the Reg Valley, where these regions have become centers

for researchers and students of science due to the intellectual and scientific output they provide.

Keywords: Cultural hubs - M'zab Valley - Tuat - Ouargla - Reg Valley - Scholars - Southern Algeria.

الفهارس العامة

■ فهرس الأعلام

■ فهرس الأماكن

■ فهرس القبائل

فهرس الأعلام

- أبو القاسم بن يحيى الغرداوي: 74.
- عيسى المصعبي: 56، 76.
- إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم: 89.
- إبراهيم بن سليمان بن حاج إبراهيم المصعبي: 77.
- إبراهيم بن يوسف: 49، 79، 81.
- إبراهيم محمد طلاي: 51.
- ابن الدين الأغواطي: 14.
- ابن بطوطة: 6، 13، 94.
- ابن حوقل النصيبي: 13.
- أبو زكرياء يحيى بن صالح: 84، 85.
- أبو زيان عبد العزيز: 213.
- أبو زيد بن محمد بن زيان: 77.
- أبو مهدي عيسى بن إسماعيل: 87، 88.
- أبو يعقوب يوسف بن حمو بن عدون: 85.
- أبو محمد الجزولي: 125.
- أبي بكر بن ماسكن وعبد الرحمان بن معلى: 236.
- أبي زكرياء الحفصي: 31.
- أبي عبد الله محمد بن أبي بكر: 231.
- أبي نعامة الهاملي القبلي: 130.
- أحمد الجلاي: 224.
- أحمد المملوك: 224.
- أحمد بن الحاج قاسم: 207، 215.
- أحمد بن محمد الرقادي: 140.

- أحمد بن يوسف التتلاني: 143.
- الحاج بابكر بن مسعود الغرداوي: 76.
- الحاج علي التماسيني: 257.
- الحاج محمد بن سعيد المصعبي اليسجني: 75.
- الشيخ محمد بن عبد الله بن أسد بن عبد الله الأغبري النحلي: 75.
- الشيخ محمد بن عيد ازبار: 90.
- الشيخ موسى بن عمر بن يعقوب: 87.
- الشيخ إبراهيم بن بحمان: 77، 211، 212.
- الشيخ إبراهيم بن بيحمان: 85.
- الشيخ أبو الأنوار بن عبد الكريم التنيلاي: 127.
- الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن المعلي: 232.
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: 231.
- الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمد: 88.
- الشيخ أحمد الرقاد: 130.
- الشيخ أحمد بن الحاج الأمين: 126.
- الشيخ أحمد بن عبد الرحمان بن أبي نعامه العقباوي الكنتي: 130.
- الشيخ أحمد بن عمار التغزوتي: 259.
- الشيخ أحمد بن يوسف الونقالي: 124.
- محمد المبروك البوداوي: 148.
- الشيخ الحاج داود: 76.
- الشيخ الحاج عبد القادر الحبشي: 195.
- الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي: 81.
- الشيخ المختار بن عمر الكنتي: 141.
- الشيخ باسة بن موسى: 208.
- الشيخ باي بلعالم: 119.

- الشيخ سيدي محمد بن ساسي: 213.
- الشيخ صالح بن موسى: 188، 211.
- الشيخ عبد الرحمان الجرجري: 255.
- الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني: 131.
- الشيخ عبد العزيز الثميني: 57، 85، 201، 211، 212.
- الشيخ عبد القادر بن الحاج النعيمي: 184.
- الشيخ عبد الكريم بن أحمد الجراري: 135.
- الشيخ عبد الكريم بن امحمد التواتي: 144.
- الشيخ عبد الله البلبالي: 128.
- الشيخ عبد الله بن عيسى اليزجني المصعبي: 76.
- الشيخ عمر العلاني التونسي: 259.
- الشيخ عمر بن محمد المصطفى: 130، 147، 153.
- الشيخ محمد بالمشري الحسني السائحي السباعي: 259.
- الشيخ محمد بن إسماعيل القوراري: 129.
- الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو اليسجني: 80.
- الشيخ محمد بن عزوز البرجي: 193.
- الشيخ محمد بن علي الوقروني: 142.
- الشيخ محمد بن يوسف اطفيش القطب: 81.
- الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني: 194.
- الشيخ ميمون بن عمرو: 128.
- أمحمد بن أبي محمد الأمريني: 135، 136.
- امحمد بن داد عدون بن الحاج يوسف: 78.
- با أحمد بن أفلح: 208، 215.
- بابكر بن الحاج مسعود: 79.

- باحمد بن سليمان بن عبد الله: 90.
- بالحاج بن كاسي ابن أمحمد: 89.
- بلحاج بن كاسي القراري: 78.
- بلقاسم بن حمو: 210.
- بن موسى بن الحاج داود: 208، 185.
- داود بن إبراهيم الثلاثي: 56.
- داود بن أيوب بن داود: 56.
- داود بن يوسف بن باحمد: 89.
- سعيد الحربي: 53، 287.
- سعيد بن علي الجربي: 74.
- سليمان بن سعيد: 83.
- سليمان بن عبد الله بن أحمد: 89.
- سيدي الحاج سعيد المغراوي التلمساني: 260.
- صالح باي: 40، 85، 223، 224، 237، 238، 239.
- صالح رايس: 11، 39، 169، 222، 223.
- عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري: 151.
- عبد الرحمان بن إدريس التواتي: 7، 42.
- عبد الرحمان بن عمر التتلاني: 105، 146، 148، 150، 153، 155، 156.
- عبد الرحمن الملقب بأبي نعامة القبلاوي: 126.
- عبد الرحمن بكلي: 70.
- عبد الرحمن بن إدريس التتلاني: 43.
- عبد العزيز بن سعيد بن عامر النفوسي الجرحيني: 56.
- عبد العزيز بن يوسف: 83.
- عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد الأمريني التمنطيبي: 138.
- عبد الله بن أمحمد بن إبراهيم بحمان: 77.

- عبيد الله البكري: 13، 161.
- محمد العالم الزجاجي: 125، 148، 155.
- محمد الكبير عثمان: 39.
- محمد بن أبّ المزمرى: 147، 153.
- محمد بن إبراهيم بن موسى: 210.
- محمد بن زكرياء الباروني القلعاوي النفوسي: 56.
- محمد بن سليمان الجزولي: 125، 213.
- محمد بن عمر بن موسى: 78.
- محمد بن يوسف بن سعيد: 56.
- محمد عثمان باشا: 39.
- موسى بن باسة: 212.
- مولاي موسى الفيلاي: 169.
- أبو يعقوب يوسف بن عدون: 56.
- ياقوت الحموي : 165.
- يوسف باشا: 223.
- البكري بن عبد الكريم: 131، 142.
- الإدريسي: 94، 97، 98، 108، 164، 232، 261.
- عمر بن عبد الرحمان الأصغر: 149.
- عمر بن عبد القادر التنيلاني: 93، 125، 132، 145.

فهرس الأماكن

- أدرار: 6، 17، 18، 24، 102.
- آفلو: 27.
- البليدة: 40.
- الجلفة: 17، 183.
- الزيبان: 18، 20، 26، 28، 31، 176.
- السودان: 15، 30، 44، 45، 46، 94، 98، 102، 106، 111، 112، 113، 120، 122، 123، 127، 128، 134، 136، 142، 149، 153، 158، 160، 162، 163، 164، 169، 170، 172، 175، 176، 177، 203، 223، 228، 230.
- العبادلة: 17.
- العطف: 17، 30، 43، 45، 52، 56، 59، 76، 88، 89، 90.
- القرارة: 17، 34، 38، 44، 50، 51، 66، 78، 89، 90، 207، 210، 215، 264.
- القصور المنبوعة: 165.
- القيروان: 162، 167، 248، 259.
- المغرب: 7، 10، 13، 15، 30، 36، 75، 80، 95، 97، 98، 102، 107، 113، 117، 119، 120، 129، 137، 153، 162، 163، 167، 175، 179، 204، 213، 228، 229، 230، 233، 235، 243، 254.
- المغرب الأقصى: 13، 16، 31، 46، 97، 103، 106، 112، 132، 149، 158، 196، 240، 247، 256.
- النيجر: 15، 16، 27، 46، 167، 18.
- أوتيقورارين: 18.
- أولاد نائل: 17.
- بتيميمون: 118، 153، 155.
- بجبال الطاسيلي: 22.

- بريان: 17، 34، 51، 66، 196.
- بونورة: 17، 45، 48، 49.
- تادمايت: 16، 21، 102.
- تقديدين: 17.
- تماراست: 23، 24، 27، 102.
- جانت: 17، 18، 24.
- جبال الاهقار: 18.
- حاسي مويلج: 28، 283.
- حيوبن دودو: 88.
- سبخة سفيون: 38، 167.
- سجلماسة: 95، 96، 97، 98، 106، 141، 147، 151، 153، 167، 196، 199، 240.
- شط ملغيغ: 19، 26، 27، 221.
- صحراء نوميديا: 164، 165.
- طرابلس: 104، 112، 113، 142، 230.
- عرق توارق: 28.
- عين صالح: 16، 18، 23، 24، 25، 26، 113، 152، 177.
- غدامس: 46، 112، 176.
- غرداية: 17، 20، 30، 49، 50، 52، 54، 56، 73، 74، 75، 79، 87، 89، 213، 264.
- قمار: 17، 27.
- قمة تاهات: 22.
- كوينين: 17، 27.
- لغيفان: 17.
- متليلي: 20، 38، 176.

- مصر: 15، 46، 83، 84، 85، 86، 88، 105، 132، 142، 152، 167، 213، 219
- مليكة: 17، 44، 51، 56، 87، 88
- منطقة إيرفود: 21
- منطقة توات: 2، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 31، 93، 94، 96، 97، 99، 102، 103، 107، 115، 134، 264، 265، 269
- منطقة واد الساوره: 102
- هضبة المنيعه: 21
- هضبة مويدر: 102
- واد اميقدن: 102
- وادي ايغارغار: 27
- وادي رنج: 2، 3، 8، 11، 17، 26، 27، 30، 31، 32، 43، 46، 84، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 231، 232، 235، 236، 238، 243، 244، 247، 249، 250، 254، 255، 257، 258، 259، 260، 261، 265، 271
- وادي زرقون: 38
- وادي عبدي: 26
- وادي قورارة: 21
- وادي ميزاب: 2، 3، 5، 7، 8، 17، 20، 26، 32، 34، 36، 38، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 48، 49، 50، 52، 53، 56، 57، 58، 59، 65، 67، 68، 70، 71، 73، 74، 75، 78، 79، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 89، 91، 93، 112، 160، 185، 199، 208، 209، 211، 215، 231، 232، 253، 264، 268
- وارجلان: 2، 3، 5، 6، 7، 9، 11، 30، 38، 43، 45، 46، 56، 84، 86، 87، 88، 160، 161، 162، 163، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 175، 176، 177، 178، 181، 183، 185، 186، 191، 192، 193، 194، 195، 198، 199، 200، 201، 202، 205، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 214، 215، 217، 231، 234، 261، 265، 270، 283

- وإسكرام: 22.
- الجزائر: 3، 5، 7، 8، 9، 10، 15، 16، 18، 19، 32، 36، 37، 38، 39، 40، 42، 43، 44، 48، 51، 58، 103، 104، 105، 112، 113، 142، 169، 175، 176، 202، 213، 217، 223، 225، 228، 251، 253، 254، 255، 261، 265.
- العراق: 142.
- إيلمان: 22.
- تقرت: 9، 16، 17، 25، 27، 31، 138، 143، 183، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 226، 228، 229، 232، 237، 238، 239، 240، 242، 245، 247، 248، 253، 255، 256، 260.
- تمنغست: 17.
- تونس: 6، 15، 16، 46، 90، 112، 113، 142، 164، 176، 194، 207، 229، 238، 242، 243، 249، 254.
- جبال أغوطة: 21.
- جبال التاسيلي: 18
- جبال العمور: 17.
- جبال القصور: 17.
- حمادة تغرت: 20.
- ورقلة: 2، 9، 17، 18، 20، 24، 25، 29، 30، 31، 32، 51، 54، 161، 163، 164، 165، 166، 171، 172، 173، 174.
- سبخة تميمون: 21.
- قسنطينة: 39، 40، 85، 112، 113، 164، 176، 224، 225، 230.
- مسعد: 183، 260.
- وادي القنطرة: 26، 32.
- وادي تافاست: 27.
- وادي سوف: 17، 20، 27، 221، 224، 247، 254، 255.

فهرس القبائل

- بني جلاب: 11، 17، 31، 32، 169، 222، 223، 224، 237، 238.
- بني سيسين: 169، 170، 182، 187، 189، 190، 192، 193، 203، 210، 214.
- بني عبد الوادي: 35.
- بني ميزاب: 7، 29، 35، 37، 39، 40، 44، 45، 51، 91، 185.
- بني مصعب: 35، 36، 38، 209.
- بني واقين: 169، 170، 214.
- بني وكين: 182، 192، 193.
- قبيلة زناتة: 36.
- وبني ابراهيم: 169.
- وبني زردال: 35.

فهرس المحتويات العام

فهرس المحتويات العام

إهداء

شكر وتقدير

2..... مقدمة

13..... الفصل التمهيدي

البيئة الجغرافية والتاريخية للجنوب الجزائري

15 المبحث الأول: البيئة الجغرافية للجنوب الجزائري

15..... أولا: الموقع الجغرافي للجنوب الجزائري.

19..... ثانيا: تضاريس الجنوب الجزائري.

28 المبحث الثاني: الأهمية التاريخية للجنوب الجزائري عبر العصور

28 أولا: ما قبل التاريخ

30 ثانيا: العصر الإسلامي

32 ثالثا: العهد العثماني

الفصل الأول

مراكز الإشعاع الثقافي بمنطقة ميزاب

35 المبحث الأول: الأوضاع العامة

35..... 1- أصل التسمية.

38.....	2- موقع منطقة ميزاب.....
38.....	3- الأوضاع السياسية.....
40.....	4- الأوضاع الإقتصادية.....
47.....	المبحث الثاني: مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة ميزاب.....
47.....	1- المساجد.....
53.....	2- المدارس.....
59.....	3- النظام التعليمي والتربوي.....
74.....	4- المكتبات.....
83.....	المبحث الثالث: علماء منطقة ميزاب.....

الفصل الثاني

مراكز الإشعاع الثقافي بمنطقة توات

93.....	المبحث الأول: الأوضاع العامة. Error! Bookmark not defined.
94.....	1- أصل التسمية.....
102.....	2- الموقع الجغرافي والفلكي.....
103.....	3- الأوضاع السياسية.....
107.....	4- الأوضاع الإقتصادية.....
115.....	المبحث الثاني: مراكز الإشعاع الثقافي بمنطقة توات.....

115.....	1- الكتاتيب
117.....	2- المساجد
118.....	3- الزوايا
128.....	4- المكتبات
134	المبحث الثالث: علماء منطقة توات

الفصل الثالث

مراكز الإشعاع الثقافي بمنطقة وارجلان

160	المبحث الأول: الأوضاع العامة
176.....	1- أصل التسمية
182.....	2- الموقع الجغرافي والفلكي
183.....	3- الأوضاع السياسية
185.....	4- الأوضاع الإقتصادية
178	المبحث الثاني: مراكز الإشعاع الثقافي
198.....	1- الكتاتيب
201.....	2- المساجد
208.....	3- الزوايا

المبحث الثالث: علماء منطقة وارجلان 207

الفصل الرابع

مراكز الإشعاع الثقافي في منطقة وادي ريغ

المبحث الأول: الأوضاع العامة 218

1- أصل التسمية..... 218.

2- الموقع الجغرافي والفلكي..... 220.

3- الأوضاع السياسية..... 222.

4- الأوضاع الاقتصادية..... 225.

المبحث الثاني: مراكز الإشعاع الثقافي 231

1- التعليم في وادي ريغ 231.

2- نظام التعليم ومراحله..... 232.

3- المساجد..... 236.

3- الزوايا..... 249.

المبحث الثالث: علماء منطقة وادي ريغ 257

الخاتمة 263-265

الملاحق..... 267-284

الملحق رقم 01: خريطة تمثل تضاريس الصحراء الجزائرية 267

الملحق رقم 02: خريطة تبين الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وادي ميزاب 268

الملحق رقم 03: خريطة تبين الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة توات ... Error! 269

Bookmark not defined.

الملحق رقم 04: خريطة تبين الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وارجلان..... 270

الملحق رقم 05: خريطة تبين الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة وادي ريغ Error! 271

Bookmark not defined.

الملحق رقم 06: من كتاب الدليل والبرهان للوارجلاني..... 273-272

الملحق رقم 07: وثيقة من كتاب المعدن المصون على سورة الكنز المدفون... 275-274

الملحق رقم 08: مخطط يمثل التركيب الهيكلي لمجلس العزابة..... 276

الملحق رقم 09: مخطوط يبين القانون الداخلي للزاوية البكرية..... 277

الملحق رقم 10: صور لمسجد لالة عزة . Error! Bookmark not

278defined.

الملحق رقم 11: إجازة الشيخ محمد بن عبد الرحمان التينيلاني للشيخ محمد بن عبد

الرحمان البلبالي..... 282-279

الملحق رقم 12: جدول خاص بالمواقع الأثرية لفترة ما قبل التاريخ لوارجلان 283

الملحق رقم 13: صورة لمسجد سيدي العابد 284

قائمة المصادر والمراجع..... 317-286

ملخص باللغة العربية..... 318

ملخص باللغة الإنجليزية..... 319

320 الفهارس العامة
321 فهرس الأعلام
327 فهرس الأماكن
332 فهرس القبائل
337-334 فهرس المحتويات العام